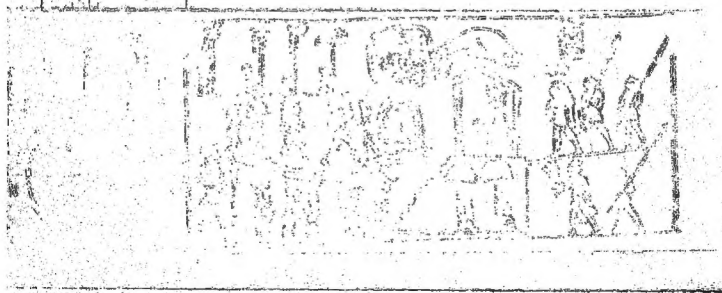


69
69
69



مرآة في العصر العتيق
(الاستبان الأولى والثانية)

ياشراف
الإدارة العامة للثقافة
بوزارة التعليم العالي

تصدر هذه السلسلة بمعاونة

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

مصر في العصر العتيق

(الاسترتان الأولى والثانية)

تأليف
والتر ب. إمري
ترجمه

راشد محمد نووير
محمد على كمال الدين

مراجعة
الدكتور عبد المنعم أبو بكر

ملزم الطبع والنشر
دار النهضة مصر
للطباعة والنشر
القاهرة

هذه ترجمة كتاب :

ARCHAIC EGYPT

تأليف : **Walter B. Emery**

مقدمة

بقلم الأستاذ م. مالوان

أستاذ آثار غرب آسيا بجامعة لندن

بعد عام ٣٠٠٠ ق.م بقليل بدأت الخطوط الخافتة لمصر ما قبل الأسرات في مصر تتخذ شكلاً محدداً ، وأتخذ ولأول مرة تقابلنا وثائق مكتوبة من الأسرتين الأولى والثانية أمكننا بواسطتها أن نرسم في صورة هيروغليفية اسمي نعرمر ومينا ذوى الشهرة الخالدة ، كل منهما كمؤسس لمملكة موحدة . كما أن تعاقب هؤلاء الملوك على العرش في العصر العتيق ، قد وصل إلينا في قوائم عن الأسرات ، يرجع بعضها إلى عصور سحيقة ، كما يرجع بعضها الآخر إلى العصر اليوناني ، ويمتد عصرهم نحواً من ٥٠٠ عام . وقد أيدت الحفائر والبحوث الأثرية أصالتهم التاريخية .

وفي هذه المرحلة على وجه التحديد ، يحق لمؤلف هذا الكتاب وهو الأستاذ (و.ب. إمري) أن يتحدث لأنه قد مارس بنفسه خلال عشرين سنة عملية الكشف في سقارة عن عشر مقابر ، ضمت ذخائر ملوك وملكة واحدة من الأسرتين الأولى والثانية . وتزودنا الرسومات الدقيقة التي رسمها المؤلف ، مع ما اشتهر به من مهارة نادرة ، بأساس صالح لتخيل قصورهم وعمارتهم السكنية والجنائزية في العصر العتيق ، ومن الشيق حقاً أن نرى أنه قد تأكدت الحجج المكتوبة في وثيقة من العصر العتيق مثل حجر بالمو ، ليس فقط بما تواتر إلينا عن ثقة في تاريخ مانيتون ، بل أيضاً بالقرائن الأثرية المفصلة المتزايدة . ولا جدال في أنه لا زالت هناك مسائل عديدة تتطلب البحث : إذ إننا لا نعرف يقيناً من من الملوك كان مينا في الواقع ، ولكن المؤلف قد أوضح الصعوبات بطريقة جليلة مقبولة .

ونحن الآن على وشك الدخول في عصر أثرى جديد ، ويحدونا الأمل في أن تمدنا القرينة المبينة على تاريخ الكربون ١٤ بمقياس زمني أثري يمكننا من التعرف على علاقة التطور بين ممالك العصر العتيق الواقعة في نطاق وادى الدجلة والفرات من جهة ، وبين وادى النيل من جهة أخرى - وقد أوضح الأستاذ إمري في أى النقاط تبدأ هذه الممالك المختلفة جداً ، والمتباعدة كثيراً ، في أن تربنا علامات عن خبرتها المشتركة في الصناعات والفنون . فقد كانت هناك علاقة ما ، ونحن نعرف في الحقيقة أنه خلال الأسرتين الأولى والثانية كان المصريون يتاجرون في الشرق الأدنى ، وكان النحاس الذى يستخرج من مناجم سيناء يصدر إلى جبيل من أجل خشب لبنان وأمانوس ، وإلى كريت من أجل النبيذ والزيت .

وربما كانت الفصول الأخيرة تطلب اللب أكثر من أى فصول الكتاب ، بما حوته من بيانات عما أنجزته مصر صناعياً قبل نحو ٢٧٠٠ سنة قبل الميلاد ، وإلى أى مدى خطا سكان مصر نحو تشكيل الحضارة المصرية التى تقف شاهدة فريدة أكثر من أى حضارة في العالم القديم .

وربما يدهش العديدون عندما يعلون أننا يجوز لنا أن نقنأ ، ونحن على يقين ، بأن التربة المصرية لا تزال تحجب بين طبقاتها لعلماء الحفائر في المستقبل أكثر مما قد خرج منها . ففي سقارة بالذات هناك من الأدلة ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن هناك اكتشافات عديدة هامة لازالت قيد العمل . ونختتم هذا بالتعبير عن أملنا في أن يعود الأستاذ إمري يوماً ما إلى هذه المنطقة (١) ليواصل العمل الذى أيدته فيه زملاؤه المصريون بإخلاص .

(١) يقوم الأستاذ إمري وهذه الآونة بالاشتراك مع مصلحة الآثار باستئناف أعمال الحفر في سقارة ، وقد وفق إلى مزيد من الاكتشافات الأثرية الهامة . (المترجم)

مقدمة المؤلف

ربما كان من السابق لأوانه الآن محاولة التأليف عن مصر في عصرها العتيق ، إذ إن الحفائر الجارية لازالت تكشف عن مادة جديدة ، ربما تعدل أو تغير بطريقة فعالة أشياء كثيرة تغير الآن غير قابلة للنقاش . ويحتاج الرصف الكامل لحضارة وادى النيل خلال الأسرتين الأولى والثانية إلى مجلد أكبر في الحجم مرات عديدة من هذا الكتاب ، ومن الواجب أن يفهم قرأى أنه مطلوب منهم أن يقبلوا هذا الكتاب الذى لا يعدو أن يكون مقدمة لموضوع متنسح .

وحينئذ فهذه محاولة تقديم موجز عام لما نعلمه عن مصر في فجر تاريخها كدولة متحضرة ، يدين لها بالكثير عالمنا المعاصر ، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

وأود أن أعب عن شكرى للأستاذ م . مالوان للتوجيهات العديدة القيمة التى نتج عنها تقديم تحسينات عديدة فى أسلوب فقرات عديدة فى النص ، وفى إدخال نقاط عديدة كانت قد غابت عني .

(بونيفرستى كوليج لندن)

و . ب . إمري

تمهيد

اكتشاف العصر العتيق

لم تكن معلوماتنا عن تاريخ مصر قبل عام ١٨٩٥ تعدو حكم الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة ٢٦٨٠ ق.م الذى كان فى نظر مؤرخى ذلك الوقت شخصية يحيط بها الغموض . وجدير بالذكر أنه كانت لدينا سجلات الأقدمين التى أمدتنا بقوائم طويلة بالملوك ، وبما كان يعتبر أهم الحوادث التى جرت خلال حكمهم . كما كانت لدينا قوائم مصرية بالملوك ترجع إلى عصر ميناء ، الذى ورد ذكره فى الأساطير بأنه أول ملوك الأسرة الأولى ومؤسس مصر الموحدة . ولكن هذه السجلات ، سواء ما كتبه منها المؤرخون القدماء ، أو ما ذكره المصريون فى قوائمهم ، كانت من الضآلة بحيث لا يمكن أن يتخذها الباحث أساساً مؤكداً لبحث تاريخى سليم ، والواقع أن كثيراً من المؤرخين اعتبروا هؤلاء الملوك مجرد أساطير . ومن المؤكد أن أحداً لم تكن لديه فكرة عن مدى الحضارة الرفيعة التى قامت فى وادى النيل قبل عصر الأهرام بمئات السنين .

ولقد تغير كل ذلك فى بضع سنين بفضل معول عالم الحفائر ، فأظهرت اكتشافات « بترى ، فى أييدوس (العراية المدفونة) » و « دى مورجان ، فى نقاده » و « كويل ، فى « هيرا كونيوليس » (الكوم الأحمر) معابد ومقابر وآثار أولئك الملوك الأوائل ، ودفعت حدود التاريخ البشرى إلى الوراء أكثر من خمسمائة سنة .

ولنفحص الآن المادة التاريخية التى كانت ميسرة لعالم الآثار المصرية قبل حدوث هذه الاكتشافات ، نجد أن السجلات المصرية القديمة تتكون من خمس قوائم ملكية هى :

١ - لوحة أيدوس : مدونة على جدران دهليز بمعبد سبتي في أيدوس ، وتذكر مجموعة من الأسماء الملكية المسبوبة بلقب « نيسو »^(١) وعددها ستة وسبعون ملكاً ابتداء من مينا حتى سبتي الأول .

٢ - لوحة الكرنك : الموجودة حالياً في باريس وتذكر أصلاً الأسماء المسبوبة بلقب نيسو لاثنتين وستين ملكاً من مينا حتى تحتمس الثالث، ولكنها لا تقارن بلوحة أيدوس في قيمتها، إذ تستند أساساً إلى الروايات أكثر عما تستند إلى التواريخ المدونة الرسمية .

٣ - لوحة سفارة : التي عثر عليها في مقبرة الكاتب الملكي المسي . « نوزي » وهي توجد حالياً في المتحف المصري بالقاهرة ، وتذكر الأسماء المسبوبة بلقب نيسو لسبعة وأربعين ملكاً ابتداء من « مريابن » (عديج - إيب) وتنتهي برميس الثاني . وقد كان مريابن سادس ملوك الأسرة الأولى ، ومن المحتمل أن سبب إغفال الملوك الخمسة السابقين له يرجع إلى أن لوحة سفارة ذكرت قائمة الملوك طبق سجلات مصر السفلى التي لم تعترف بأحقيتهم في الملك . على أنه من الطبيعي أن تعترف قائمة أيدوس والكرنك اللتان تمثلان مصر العليا بهؤلاء الملوك الأوائل .

٤ - بردية تورين : وقد كتبت بالخط الهيراطيقي ، وهي عبارة عن قائمة ملوك تبين طول حكم كل منهم بالسنوات والشهور والأيام ، وهي بخلاف لوحات أيدوس والكرنك وسفارة ، تبدأ بالفترة التي توحدها فيها القطران والأسرة الأولى ، بل تجاوزت الملوك العشرة إلى أسرات الآلهة . وهناك اختلاف آخر بين هذه البردية واللوحات السابق ذكرها ، يتمثل في أن البردية تقسم مجموعات الملوك إلى عصور ، والظاهر أن هذه البردية كتبت في الأسرة التاسعة عشرة ، وكانت بلاريب وثيقة معبد لجأ إلى مثلها المؤرخون

(١) « نيسو يتي » أو الاسم الراجح من الأسماء الملكية يقرأ الآن « ملك الوجه القليل والوجه البحري » وكان الملك يسمى به عند اعتلائه العرش .

القديما في جمع المادة التاريخية لما كتبوه ورغم ما لهذه البردية بوضعها الرامن من قيمة، إلا أنها تمثل مأساة، لأن ما يزيد عن نصف قيمتها قد ضاع نتيجة سوء علاجها، فقد كانت أصلاً في حيازة ملك سردينيا ثم أرسلت إلى تورين في صندوق دون تعبئة سليمة، فوصلت إلى الجهة المرسلة إليها وقد تهمشت إلى قطع لا تحصى، وأمضى الباحثون سنين في تجميع ما بقي منها والملازمة بينها، ومع ذلك، وفي حالتها الراهنة بعد الترميم، توجد بها ثغرات هامة، ونذبة لذلك لا يزال تسلسل بعض الملوك موضع جدال. ومن بين ملوك العصر العتيق السبعة عشرة هناك عشرة ملوك فقط يمكننا معرفتهم بصفة محددة.

هـ - وأخيراً لدينا ما يعرف بحجر بالرمو - وهو مثل بردية تورين يمثل مأساة أخرى للبحث الأثرى. فقد بقيت لدينا فقط خمسة أجزاء صغيرة من لوحة حجرية كبيرة، كان طولها أصلاً نحو سبعة أقدام وارتفاعها قدمين، ولا يوجد أى بيان يرشدنا عن مكان العثور عليها. ومع أنه من الواضح أن هذه اللوحة قد حطمت إلى أجزاء صغيرة، إلا أنه من الممكن جداً، بل ومن المحتمل أنه كانت هناك قطع أخرى عديدة، وأكثر مما وجد من هذا الأثر القيم، لا تزال باقية إذا عرفنا فقط أين يبحث عنها، ومع ذلك فإننا نعلم، ويرادنا الأمل، أنه كان يوجد سجل باسم كل ملك من ملوك العصر العتيق وعدد سنى حكمه وأهم ما حدث خلال توليه العرش، وأن هذه البيانات قد كتبت أيام الأسرة الخامسة ولما مضى على توحيد القطرين سوى ما يقرب من ٧٠٠ عام، مما يجعل حدود الخطأ في جميع الاحتمالات في غاية الضآلة. واللوحة من حجر البازلت الأسود وقد نقش عليها بحفر دقيق تاريخ الأسماء الخمس الأولى مع أسماء ملوك مصر العليا وملوك مصر السفلى الذين حكموا المملكتين المنفصلتين قبل وحدتهما، وما زالت أكبر قطع اللوحة منذ سنين عديدة جزءاً من مجموعة متحف بالرمو، ومن ثم جاء اسمها. على أنه توجد قطعة أخرى في المتحف المصرى بالقاهرة، بينها احتفظ بقطعة صغيرة جداً في مجموعة بترى بجامعة لندن؛ وقد كرست بحوث

كثيرة لهذا الأثر الهام ، ولكن النتائج التي انتهت إليها مصادر البحث متضاربة ، لم تصل بعد إلى ترميم كامل مقنع حتى لشكلها العام . وعلى أى حال هناك حقيقة قد تبدو مؤكدة ، وهى أن الصفين الثانى والثالث يسجلان تاريخ ثمانية ملوك فى الأسرة الأولى ، أما الصنفان الرابع والخامس فيسجلان ملوك الأسرة الثانية البالغ عددهم تسعمملوك . وبتطبيق تاريخ مانيتون (انظر ما يتبع) على المسافة الدالة على السنين كما ورد على قطعتى الحجر فى بالرمو والقاهرة يبين أن الصفوف الأربعة تتفق فى نهايتها . وعلى هذا فقد يبدو أن تاريخ مانيتون للأسرتين الأولى والثانية صحيح بالبرهان المادى وأنه كان لديه مصدر وثيق استند إليه فى تقسيم مجموعات الملوك إلى أسرات ، ولا نستطيع إلا أن نأمل أنه فى يوم ما سيكشف معول الأثرى فى حفائره عن مزيد من هذا الأثر الذى لا يقدر بمال فى نظر المؤرخ .

وقد كان التاريخ الذى كتبه هيرودوت من المصادر اليونانية القديمة ذات القيمة المحدودة ، لأنه وثق إلى درجة بعيدة فى الروايات التى حكاهها له الأدلاء الذين صحبوه فى رحلاته بمصر ، ومن الواضح أنه لم يبذل جهداً فى التحقق التاريخى من المعلومات التى حصل عليها بهذه الطريقة . ولكن الاقتباسات الجزئية التى اقتبسها يوسيفس أو النامى خان المسيحيان أفريكانوس عام ٣٠٠ ميلادية ، يوزينيوس عام ٣٤٠ ميلادية عن مانيتون ، كانت ذات أهمية عظيمة وشكلت الإطار الذى بنى داخله التاريخ المصرى .

وقد عاش مانيتون وهو أحد أهالى بلدة سمنود بالوجه البحرى فى القرن الثالث قبل الميلاد خلال حكم بطليموس الثانى الذى كلفه بكتابة تاريخ وطنه . وكان مانيتون أهلاً لهذا العمل ، حيث كان على ما يبدو كاهناً فى هليوبوليس « عين شمس » مركز العلم فى مصر ، مما مهد له سبيل الوصول إلى السجلات القديمة المحفوظة فى المعابد . ولدوه الحظ فقد ضاع التاريخ الذى كتبه مانيتون ، وليلدينا سوى الاقتباسات التى نقلها الكتاب المتأخرون بعد موت

المؤلف بستائة سنة ، مع كل ما يترتب على تكرار النسخ من تشويه . وقد قسم ماينتون قائمة الملوك إلى أسرات مع اسم المكان الذى نشأت فيه كل أسرة ، وبالنسبة للأسرتين الأوليين ، تبدو تقاريره صحيحة بالتأكيد ، ويوجد شك ضئيل فى سلامة المصادر التى اعتمد عليها . والمؤرخ المصرى الذى كان يكتب باليونانية أعطى بالطبع الصيغة اليونانية لأسماء الملوك ، ومع أن البحوث الأثرية قد برهنت على وجود الملوك الذين أحصاهم ، إلا أن موضوع تحقيق شخصية كل منهم مازال مبهماً .

وبعد ، فذلك كانت المصادر الوحيدة لمعرفة أساس التاريخ القرونى التى كانت ميسرة لعلماء الآثار المصرية عند نهاية القرن الماضى . وهى هزيلة حقاً ، وليس من الغريب أن يبحث عصر الأسرتين الأولى والثانية فى فى إحدى عشرة صفحة فى الطبعة الأولى من تاريخ « بترى » ، الذى نشر عام ١٨٩٤ .

ولجأة يتقشع ضباب هذا الغموض التاريخى كنتيجة لسلسلة من الأكتشافات الرائعة فى حفائر أيدوس وهيرا كونبوليس وتقادة .

فقد وجد كويل Quibell سنة ١٨٩٤ خلال حفائره بالقرب من إدفو فى موقع هيرا كونبوليس (السكاب) آثاراً لأوائل من عرفوا من ملوك مصر ، وهم الأسلاف المباشرين للأسرة الأولى وهؤلاء هم « سلك » ، Selk « المقرب » ، وكذلك نعرمر ، ومن أميز ما خلفه لنا أولها رأس صولجان كان يستعمل فى الاحتفالات عليه نقوش ، كما أن الثانى قد ترك لنا لوحته الإردوازية الشهيرة ، وكلا الأثرين يعتبر وثيقة تاريخية لها قيمة عظيمة . وكشف كويل أيضاً آثاراً للملكين من ملوك الأسرة الثانية هما خع سخم وخع سخموى .

وفى عام ١٨٩٦ كشف دى مورجان مدير مصلحة الآثار آنذاك عن مقبرة ضخمة فى تقادة ، عرفنا بما عثر عليه فيها من آثار أنها كانت مقبرة

الملك حورعما أول ملوك الأسرة الأولى ، ومع ذلك فقد أوضحت الأبحاث التي أجريت بعد ذلك ترجيح الاحتمال بأنها مقبرة الملكة « نيت ختب » والددة الملك حورعما ، وبغض النظر عن قيمة المعلومات المماثلة التي أمدنا بها هذا البنيان العظيم ، فإن الاكتشاف كان غنياً بالأثار التي من أهمها لوحة صغيرة من العاج منقوش عليها اسم حورعما ومع اسم « من » ، ومن ثم يكون هذا اسم الملك مينا كما ورد عن مايتون .

وفي السنة التالية وجد « أميلينو » Amellineau ، في حفائره في منطقة بأيدوس تعرف باسم أم الجعاب ، مجموعة من مقابر ذات حفر كبيرة عرفت. هندية أنها مقابر عدد كبير من ملوك العصر العتيق . وللأسف كانت تنقص أميلينو الخبرة في طريقة الحفر الأثرى ، واعتبرت طريقته في حفر هذا الموقع — وهو من أهم المواقع التي كشف عنها في مصر حتى الآن ، مأساة أخرى في علم الآثار .

ولما كان من مولوه بالمال من هواة جمع الآثار ، فقد وجه أميلينو كل همه إلى جمع التحف الفنية فقط ، حتى إنه أهمل المبادئ الأساسية في تسجيل سير العمل . وذكر أيضاً أنه كان يحطم الأواني الحجرية المسكورة ليرفع من قيمة ما يحتفظ به . ومن المحتمل أنه قد بولغ في مثل هذه التقارير ، ولكن من المؤكد أن تحطيم آثار لا يمكن تعويضها كنتيجة للجهل والإهمال. كان أمراً شامعاً . وبعد أن ظل أميلينو يزاول عملية التخريب لمدة أربع سنوات، تنحى أخيراً عن الامتياز الذي خوله الحفر . وعندئذ يادر « بترى » بإعادة فتح هذه الحفائر . وفي موسمين أمضاهما في البحث الرائع أنقذ كل قطعة من الأدلة التي لم يكن أميلينو قد لمسها تماماً . وعن طريق العمل الجاد المضني استطاع بترى أن يتتبع التطور المماثل للباني الجنائزية ، وأن يتعرف على أصحابها من الملوك . ومن مجموع ما عثر عليه من خليط ، وضع بترى نظام تتابع ملوك الأسرة الأولى بطريقة سليمة جداً ، حتى إنه مع تعديل

حطيف مازال رأيه في الوضع التاريخي لكل ملك قائماً حتى اليوم وقد أكدته
الاكتشافات التي أجريت في سقارة بعد ذلك بأربعين سنة .

وكان من نتيجة هذه الاكتشافات أن قصة الحضارة المصرية أمدت
في القدم ٦٠٠ سنة أخرى ، ولكن بعد الحماس الأول قل اهتمام الباحثين
كما قلت البحوث التي تتعلق بهذه الفترة . وقد قام بترى في سنة ١٩١٣ بعمل
اكتشافات أخرى في طرخان ، وأكد كويل ، وجود مقابر كبيرة من
العصر العتيق شمال سقارة سنة ١٩١٢ . ولكن مما يثير العجب أن أحداً
غيرهم لم يتتبع هذه الاكتشافات . ويبدو أن همه الباحثين قد هبطت بسبب
قلة ما عثر عليه من مادة مكتوبة ، وكذلك فشلهم النسبي في حل الكثير من
حلاسم الكتابة في العصر العتيق ، وقد أماطت اكتشافات جديدة ومثيرة
اللاثم عن جبانات ومواطن أهالي ما قبل الأسرات في وادي النيل ، واسترعت
دراسة هذه الاكتشافات انتباه علماء الآثار المصرية الذين تخصصوا في دراسة
أصل المصريين ، مما أدى إلى استبعاد أى تقدم يضيف جديداً إلى معلوماتنا
عن ميلاد الحضارة الفرعونية .

واستمرت فترة الهدوء حتى عام ١٩٣٢ عندما أراد راي نر ، Reisner أن
يعد المادة العلمية لمؤلفه العظيم عن تطور العمارة الجنائزية ، وطلب من
سيسل فيرث Cecil Firth كبير مفتشى الآثار عند ذاك أن يوجه اهتمامه
نحو جبانة العصر العتيق في شمال سقارة ، وهي الجبانة التي طال إهمالها والتي
كان قد كشف عنها كويل عام ١٩١٢ . وقام « فيرث » بتنظيف منطقتين
ولسكه مات قبل أن يستطيع تسجيل نتائج عمله تسجيلاً كاملاً ، مما أدى إلى
أن تلقى المؤلف (امرى) تعليمات مدير عام مصلحة الآثار بأن يعيد حفر
المنطقتين السالفتين حتى يمكن النشر عنهما ، ولم يكن « فيرث » قد أتم حفر
المنطقة بالتفصيل . ولما أعاد المؤلف فحص جزء من مقبرة كبيرة من الأسرة
الأولى ، كان فيرث قد كشف عن بعضها وتوصل إلى بعض الاكتشافات

المهمة ، تطلب الأمر أن تتخذ الخطوات لحفر المنطقة كلها حفراً منظماً .
ومنذ عام ١٩٣٦ حتى نشوب الحرب استمر هذا العمل الدقيق ، وتم الكشف
عن مجموعة من المقابر الكبيرة ، وتميز ولا شك الشقيقات الشاليات بالمقابر
ملوك الأسرة الأولى في أيدوس .

وقد استوفيت أعمال الحفر بعد الحرب وأشرف عليها « إمري » حتى
عام ١٩٥٦ باسم جمعية الآثار المصرية بلندن ، ولصالح مصلحة الآثار المصرية ،
وبالإضافة إلى هذا ، فإن زكى سعد الذى ساعدنى أعمال الحفر فى سقارة قبل
الحرب قد قام منذ عام ١٩٤٢ بتنظيف جبانة متسعة لنبله الطبقة الثانية
ولأفراد الطبقة الوسطى فى الأسرة الأولى فى حلوان على الضفة الشرقية
النيل فى مواجهة سقارة . وقد أسفرت الحفريات التى أجريت فى هاتين
الجبانتين الكبيرتين ، اللتين ضمتا موتى منف القديمة منذ ٣٠٠٠ سنة قبل
المسيح ، عن العثور على معلومات جديدة كثيرة ، وحظى علم الآثار المصرية
من جديد بالاهتمام بمشكلة أصول الحضارة الفرعونية .

ورغم أنه قد وجدت مادة جديدة وكثيرة ومدونة ، إلا أن تفسير
كتابات العصر العتيق تفسيراً دقيقاً ظل مع ذلك صعب المنال ، وأخذت
الدراسات تتقدم ، وكلما حصلنا على نصوص أكثر قل الشك فى أن علماء اللغة
سوف يكتشفون فى النهاية المفتاح الذى يكشف عن هذا الكنز الثمين ، الذى
يحوى أسرار الأصول الأولى لتاريخ مصر . ومعلوماتنا الآن عن العمارة
والفن والنقش والفخار والأواني الحجرية والمواد الأخرى قد أصبحت
فى درجة نستطيع معها أن نؤرخ هذه الخلفات إلى أوائل ، أو أواسط ، أو
أواخر الأسرتين الأولى والثانية ، ولم يعد فراعنة مصر الأوائل أشخاصاً
غامضين تحوطهم الأساطير والخرافات ، بل إن التقدم الرتيب فى دراسات
هذا العصر جعلهم أشخاصاً حقيقين ، وكثيراً ما نعرف عن نشاطهم أكثر
ما نعرف عن نشاط خلفائهم من حكموا فى العصور التالية .

ولكن ، مع زيادة معلوماتنا عن هذه الفترة السحيقة من تاريخ مصر ، فإنه لا تزال هناك مظاهر كثيرة لم يتفق عليها علماء الآثار المصرية ، بل كثيراً ما يقف الباحث حائراً أمام اختلاف وجهات النظر في الدراسات المنشورة ، إذ أن مؤلفيها فشلوا في تقديم الأدلة التي تبرر أو تنفي الاستنتاجات التي توصلوا إليها . وهذا عما يدعو للأسف ، ولكن من الممكن فهمه ، لأن الدلائل ضئيلة في كثير من نواحي تاريخ وحضارة العصر بحيث يعتبر مستحيلاً أن نقدم بالتفصيل جميع التفسيرات المتضاربة لزملائنا . ويبدو هذا على الأخص في كتابنا هذا . فإن المدى الضيق المخصص لي يمنعني من إيداء الأدلة التي تعضد أو تختلف في الرأي مع بعض ما وصل إليه المؤرخون ، كما تمنعني مع ذلك من محاولة إيجاد تبرير صحيح للآراء التي قد تختلف عن آراء الباحثين الآخرين . وعلى أية حال فإنني أظن أنه قد يكون من الملائم هنا أن ألخص بعض أهم نقاط الاختلاف .

وأول هذه الموضوعات وأهمها هو موضوع تحديد الزمن التاريخي . وهو موضوع محير ، إذ إنه من الممكن أن نلس تضارب الآراء بين مؤرخي مصر القديمة إذا ما لحصنا المدة التي أمضتها الأسراتان الأولى والثانية في الحكم وفق ما جاء في نخبه من المؤلفات الحديثة نسبياً وهي :-

BREASTED, A History of Egypt, 1921.

٣٤٠٠ - ٢٩٨٠ ق . م = ٤٢٠ عاماً

HALL, Cambridge Ancient History Vol. I. 1924.

٣٥٠٠ - ٣١٩٠ ق . م = ٣١٠ عاماً

WEIGALL, A History of the Pharaohs, 1952.

٢٤٠٧ - ٢٨٨٨ ق . م = ٥٢٠ عاماً

DRIVTON and VANDIER, Les peuples de l'Orient Méditerranéen . l'Egypte, 1938.

٣١٩٧ - ٢٧٧٨ ق . م = ٤١٩ عاماً

SEWELL, The Legacy of Egypt, 1942.

٣١٨٨ - ٢٨١٥ ق . م = ٣٧٣ عاماً

FRANKFORT, Kingship and the Gods, 1948.

٣١٠٠ - ٢٧٠٠ ق. م. = ٤٠٠ عاماً

HAYES, The Scepter of Egypt, 1953.

٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ ق. م. = ٤٢٠ عاماً

فالتحديد الزمني الذي لجأ إليه مؤرخو مصر القديمة الأوائل ، بوضعهم تاريخ وحدة مصر حوالى عام ٤٤٠٠ ق. م. ، قد عدل عنه من زمن بعيد . وفى الواقع دلت الاختبارات المحدودة لتلك الوسيلة الحديثة التى تساعدنا فى البحث الأثرى ، وهى وسيلة الفحص الراديو كربونى ، على أن التاريخ القائم على افتراض دورة ثلاثة لنجم الشعرى الميانية هو بلا شك تاريخ خاطئ^(١) . ومع ذلك فما زال هناك كما أوضحنا تفاوت جسيم بين المؤرخين المعاصرين . وباستثناء « ويجمل » فإن أحداً لم يقبل العدد الذى حدده مانيتون وهو ٥٥٠ سنة للفترة التى تبدأ من اعتلاء مينا العرش حتى نهاية الأسرة الثانية . ولكن مثل هذه الفترة لا تبدو مبالغاً فيها ، إذا ما استندنا إلى الأدلة الأثرية . ومن المؤكد أن المقابر الكبيرة بسفارة فى الفترة المبكرة كانت غريبة تحريماً كاملاً عند نهاية الأسرة الثانية ، فالمبانى التى كانت قائمة بارتفاع ستة أمتار على الأقل تضاءلت إلى ما لا يزيد على متر واحد فوق مستوى الأرض الأصلية ، وبقيت على ما بقي منها مقابر الفترة الأولى من الأسرة الثالثة . ومثل هذا التدمير لمبانى هائلة الحجم والصلابة ، وذات جدران رئيسية تفاوت عرضها ما بين مترين وخمسة أمتار ، ما كان ليحدث إلا على مدى فترة زمنية كبيرة . وفى نظرى أن ٥٥٠ عاماً قد تكون فترة معقولة لتعليل ذلك .

وصحيح أن هناك ما يدعو إلى الشك فى الدقة التامة للأعداد التى ذكرها

(١) كانت التحديدات الزمنية الناتجة عن طريقة الفحص بالإشعاع الكربونى سنة ١٩٥٠

على الخشب المأخوذ من سقف المقبرة رقم ٣٠٣٥ فى سفارة كالانى :

٤٨٠٣ ± ٢٦٠ = بين ٣١١٢ ، ٢٥٩٢ ق. م.
٤٩٦١ ± ٢٤٠ = بين ٣٢٥٠ ، ٢٧٧٠ ق. م.

مانيتون، لأنها تحمل في طياتها كل ما يشير إلى تحريفها نتيجة لإهمال الناسخين.
عنه. ولتأخذ الأسرة الأولى كشال لنا :

عن أريكانوس	يوزابايوس «اللسخه الأرمنية»	يوزابايوس عن سينسلوس Syncellus
٦٢ Menes	٣٠	٦٠
٥٧ Athothis	٢٧	٢٧
٣١ Kenkenes	٣١	٣٩
٢٣ Uenephes	٤٢	٤٢
٢٠ Usaphaidos	٢٠	٢
٢٦ Miebidos	٢٦	٢٦
١٨ Semempaes	١٨	١٨
٢٦ Bieneches	٢٦	٢٦
المجموع	٢٥٢	٢٥٢
المجموع الحقيقي	٢٢٨	٢٥٨

وعلاوة على ذلك فإن قطعة حجر بالرمو الموجودة في القاهرة
قد كشفت عن خطأ لا يتسرب إليه الشك منذ وجدنا عليها أن حكم الملك
سمبسيس (سمرخت) قد حدد بتسع سنين، بينما قد حدده مانيتون في كل
ما نسخ عنه، بثمانى عشرة سنة. ولكن الأعداد التي ذكرها مانيتون تتفق
مع عدد السنوات المذكورة على حجر بالرمو، ومع التفاوت في حكم كل
ملك على حدة، كما ورد عن ناسخيه، فإن المجموع الكلى لسنى الأسرتين

يقى في جوهرة كما هو. وعلى العموم فإن أميل إلى قبول تقديره عن طول هذه الفترة على أنه صحيح أساساً، لأن الدلائل الأثرية تعضده .

والإرتباط بين تاريخ مصر الأول وبين بلاد ما بين النهرين يعتبر ذا قيمة في تقدير الزمن التقريبي لبداية الأسرة الأولى . وقد عثر في مصر على أربعة أختام أسطوانية لانشك في أن أصلها من بلاد العراق القديمة ، وهي من عصر أوروك وجمدة نصر Uruk - Jemdat Nasr حوالي ٣٥٠٠ - ٢٩٠٠ ق . م . ومن الآثار التي عثر عليها مع هذه الأختام يمكن إرجاع تاريخها إلى أواخر العصر السابق للأسرات أو الفترة ٥٠ - ٦٣ ، حسب نظام التسابع التاريخي الذي وضعه بترى ، وهي الفترة التي تسبق عصر الأسرة الأولى مباشرة . ولكن ليست لهذا الارتباط إلا قيمة محتملة ، ونحن في حاجة إلى دليل آخر من هذا النوع قبل قبول أى تحديد تاريخي ثابت . وبقدر ما وصلت إليه معلوماتنا ، لا نستطيع أن تتجاوز في اطمئنان ذلك التقدير التقريبي الذي يحدد وحدة مصر في الفترة ٢٤٠٠ - ٢٢٠٠ وعلينا أن ندع الأمر هنا حتى يستجد جديد .

وهناك ظاهرة أخرى تناولها الباحثون بأراء مختلفة إلى حد كبير ، وهي وجود أو عدم وجود ما يسمى « الجنس » الذي انحدرت منه الأسرات ، . وعلى نقىض النظرية التي أوضحناها في هذا الكتاب ، فإن التقدم السريع لحضارة وادى النيل السابقة مباشرة للوحدة مرده دخول هذا الجنس ، إذ يعتقد بعض الباحثين أن التأثير الخارجى كان محدوداً ، وأن السبب يرجع أساساً إلى التطور الطبيعي للثقافة المحلية في فترة ما قبل الأسرات . على أن مصادر أخرى ، مع قبولها الرأى القائل بأن التأثير الخارجى كان سنياً في تطور النظام الجديد ، فإنها لا تعتبر أنه قد أخذ صورة غزو جماعى ، وم يرجحون أنه كان تسرباً فردياً محدوداً حدث خلال فترة طويلة من الزمن . وتختلف الآراء أيضاً بين الباحثين الذين يؤيدون النظرية التي تتادى بأن الجنس الذي انحدرت عنه الأسرات هو الذى جاء بالحضارة الفرعونية لوادى .

النيل ، إذ تنقسم أراؤهم حول من كان هؤلاء القوم ؟ ومن أين قدموا إلى مصر ؟ على أن الصلات الثقافية بين وادى النيل وسكان نهر الفرات في تلك الفترة المبكرة لاجدال فيها وهي مقبولة بصفة عامة ، ولكن سواء أكانت هذه مباشرة أم غير مباشرة وإلى أى مدى كانت مصر مدينة لبلاد ما بين النهرين ، فإن هذه موضوعات مازالت تحتاج إلى بحث . ومن الواضح أنه لم يكن هناك تقليد دقيق . ولا شك أن الطابع المصرى فى مظاهر عديدة لا سيما فى العمارة كان عتاراً وأ كثر تقدماً . على أن هذا لا يشير إلى أى الامتين تتلذت على الأخرى أو استعارت منها . ومع ذلك تجابهنا الحقيقة بأن بلاد ما بين النهرين تستطيع أن توضح لنا أسس تطورها بينما لا تستطيع مصر ذلك ، ومن ثم فلأولى منهما الحق فى أن تدعى بأنها مصدر الآراء المعمارية مثل الواجبات ذات الدخلات والخرجات . ولكن عندما نقارن هذا النوع من العمارة فى الفترات المعاصرة سواء كانت سابقة أم لاحقة ، يظهر لنا أن تفوق مصر ليس موضع شك .

ويميل الباحثون فى الوقت الحاضر إلى تجاهل احتمال غزو وهجرة إلى كلتا المنطقتين من مكان ، وإن لم يكشف عنه بعد إلا أنهم يفترضون وجوده . ولكن هناك مناطق شاسعة فى الشرق الأوسط والبحر الأحمر وشواطئ إفريقيا الشرقية لا تزال على حالها لم يكتشفها الآثريون بعد ، مما يهدونا إلى عدم تجاهل هذا الاقتراض كلية . وفى الحقيقة فإن وجود جماعة تالكة تكون أعمالها الثقافية قد انتقلت إلى كل من مصر وبلاد ما بين الرافدين على حدة قد يفسر لنا بطريقة مثلى المظاهر المشتركة والفروق الأساسية بين كلتا الحضارتين .

وقد يكون نظام تتابع ملوك الأسرة الأولى هو أهم مشكلة حيوية فيما يتصل بتاريخ هذا العصر ، وهنا مرة ثانية تتشعب آراء الباحثين . والصعوبة لا تكن فى نظام تتابع الملوك طبق أسمائهم الحوريسية . إذ أن هذا النظام

باستثناء الملكة «مريت نيت Meryt - Nit» يرتكز أساساً على أسس أثرية، ولا يمكن أن يكون هناك نزاع في أن «حورعنا» قد خلفه «دجر» ثم «وادجي» ثم أوديمو ثم جدج إيب ثم «سمرخت» ثم قاعا على التوالي . والصعوبة وموضع النزاع يكمنان في التعرف على الأسماء المحورية ومطابقتها على تلك الأسماء التي أوردها مانيتون وكذلك على الأسماء التي تظهر في القوائم الأثرية ، وقبل ذلك كله ، من كان مينا ؟ وقد ندرك اختلاف الرأي بين مؤرخي الآثار المصرية إذا ما قارنا جداول الملوك الآتية التي قدمها المؤرخون المعاصرون في كتبهم التي نشرت خلال الثلاثين سنة الأخيرة :

رابـ زر	سميث	هــول
١ - حورعنا (مينا)	نعرمر	المقرب
٢ - نعرمر	حور - عنا	نعرمر
		حور - عنا
٣ - دجر	دجر	دجر
٤ - وادجي	وادجي	وادجي
٥ - أوديمو	أوديمو	أوديمو
٦ - جدج - إيب	جدج - إيب	جدج - إيب
٧ - سمرخت	سمرخت	سمرخت
٨ - قاعا	قاعا	قاعا

ويجل	بـنرى	هايس
١ - حور - عنا (مينا)	نعرمر	نعرمر (مينا)
٢ - دجر	حور - عنا	حور - عنا
٣ - وادجي	دجر	دجر

٤ - مريت - نيت	وادجى	وادجى
٥ - أوديمو	أوديمو	أوديمو
٦ - عدج - إيب	عدج - إيب	عدج - إيب
٧ - سمرخت	سمرخت	سمرخت
٨ - قاعا	قاعا	قاعا

وكاسرى ، فإن العقدة فى كل مشكلة التتابع تكمن فيما إذا كان «مينا» هو نعرمر أو حورصا ، وأى من هذين الملكين ، على ضوء هذا التعرف ، يجب أن يكون الملك الأول فى الأسرة الأولى ؟ ولنفحص أولا الأدلة التى تؤيد التحقق من أن نعرمر هو مينا

١ - لوحة نعرمر التى عثر عليها فى هيراكونبوليس (مدينة الكاب) : يظهر الملك فى المناظر التى تمثل الاحتفال بانتصار عسكري وقد لبس كلاً من التاج الأبيض للوجه القبلى والتاج الأحمر للوجه البحرى ، وهو بهذا يمثل حاكم الوجهين معاً .

التعقيب المضاد : لا يمكن أن يكون هناك شك فى أن نعرمر قد أصاب الوجه البحرى بهزائم عسكرية منكرة ، وله بحق النصر أن ينتحل لشخصه شعارات الحكم التى كانت لخصمه المهزوم ، ولكن هذا لا يجعله بالضرورة الحاكم الشرعى للوجه البحرى .

٢ - رأس صولجان نعرمر الذى عثر عليه فى هيراكونبوليس يظهره فى منظر احتفال جالساً على عرشه لباساً التاج الأحمر للوجه البحرى . وقد اقترح البعض أن المنظر إنما يمثل احتفالاً بزواج يدخل فيه نعرمر المنتصر فى تحالف مع الأميرة الشرعية للمملكة الشمالية ويحتمل أن تكون هذه الأميرة هى نيت حتب^(١) .

(١) Newberry, Article on Menes in Great Ones of Ancient Egypt, p. 37.

التعقيب المضاد : وقد يتسم الفرض بأنه معقول جداً ولكنه لا يجعل من نعرمر الحاكم المقبول لمصر الموحدة (انظر التعليق المضاد السابق ذكره في الدليل الأول) .

٣ - سدادات الآواني الفخارية التي عثر عليها في أييدوس والتي يظهر عليها الاسم الحوريى لنعرمر في تبادل مع العلامة التي تشير إلى « من » وقد قبل كثير من المؤرخين هذا الدليل واعتبروه برهاناً قاطعاً على أن نعرمر هو مينا على أن كثيراً من سدادات الآواني الفخارية في الأسرة الأولى تبين الاسم الحوريى للملك في تبادل مع مجموعة من العلامات يظن أنها اسم « نبتى » للملك الذى نحن بصدده .

التعقيب المضاد : قد وضحت عدم صحة هذا الدليل بعد الكشف عن السدادات التي يرجع تاريخها إلى عصر الملك « حورعحا » والتي يقابل اسمها عليها مع ثلاث من العلامات تختلف اختلافاً تاماً واضحاً ، وربما يحتمل أن تكون هذه العلامات ألقاباً^(١) وعلاوة على ذلك فلو صح أن هذه المجموعات هي أسماء « نبتى » ، لتوقعنا أن تكون مسبوقة بالعبارة العادية التي تكون علامتى السيدتين « نجت ووادجيت » .

٤ - قطعة حجر بالرمو بمتحف القاهرة : يتفق معظم المؤرخين حالياً استناداً إلى أدلة أثرية بحتة - على أن نعرمر قد سبق في الحكم مباشرة « حورعحا » . ونجد على قطعة حجر بالرمو الموجودة في القاهرة الاسم الحوريى للملك دجر مصحوباً بخرطوش يقرأ « إيتيتى » Iteti ، وقد ذكر هذا الاسم في قائمة ملوك أييدوس على أنه ثالث ملوك الأسرة . ومن ثم فإن « حورعحا » قد يكون الملك الثانى وأن نعرمر كان الأول، وعلى ذلك يكون هو مينا .

التعقيب المضاد : من المؤكد أن « إيتي ، Iteti هو « أثوتيس ، Athothis الذى وضعه مانيتون كثنائى ملك فى الأسره . وإذا سلمنا بهذا الوضع فإن الملك دجريمود للركر الثانى ، ويكون حورعحا الذى يسبقه مباشرة هو الملك الأول . ولكن معرفتنا أخيراً بأن إيتيرتى Iterty هو اسم نبتى (السيدتين) للملك وادجى نير الربة فى الفرضين أيضاً ، لأن ذلك يضع هذا الملك فى المكان الثانى ، الأمر الذى يستحيل قبوله استناداً إلى ما لدينا من أدلة أثرية . ويشير كل هذا إلى أن الأسماء الثانى والثالث والرابع فى قائمة أيديوس مختلفة وليست نقلاً محرفاً لما كان فى الأصل نفس الاسم . ولا جدال فى أن هذه الأسماء تتشابه بشكل يدعو إلى الربة ويعتبرها بعض المؤرخين مترادفة وقد أدرجوا الملوك الثانى والثالث والرابع فى قائمة أيديوس على أنهم يحملون نفس الاسم ^(١) . وإذا قبلنا هذا الفرض ، ضاعت كل قيمة للدليل الموجود على قطعة حجر بالرمو الموجودة فى متحف القاهرة .

هـ — بطاقة حور — عحا التى وجدت فى نقادة : أراد كاتب البطاقة أن يحى ذكرى الحادث التالى : عند موت الملك نعرمر ، الذى عثر عليه بطريقه فريدة ، وذلك بأن ذكر اسمه المسبوق بلقب نبتى ، وهو أمر له أهميته إذا ما كان صاحبه قد توفى ، فشيده ابنه حور — عحا خيمة جنازية ليؤدى طقوس العبادة لوالده الملك الذى كان اسمه مسبقاً بلقب (نبتى) وهو فى هذه الحالة يكون (من) . وقد أسس هذا الفرض على ما يلى :—

(١) إن الخطوط الثلاثة المحيطة باسم «من» ، يعطوه لقب «نبتى» (السيدتين) تعتبر محاولة بدائية لتصوير مكرر لثلاثة أكوخ ذات سقف مقبى مقام من البوص وتعتبر المبنى التقليدى الذى كان يستخدم فى احتفالات التأليه عند إقامة جنازة لملك قد توفى .

(ب) من مبادئ الكتابة في العصر العتيق أن الكاتب عندما يقرن الاسم النبتى مع الاسم الحوريسى^(١) للملك لا يزال حياً فإنه يرتب مجموعتي العلامات بحيث تواجه إحداهما الأخرى. وهذا ليس كذلك فيما يخص بطاقة نقادة، فإن الاسمين الحوريسى والنبتى يتخذان نفس الاتجاه مما يدل على أنهما ليسا اسم فرد واحد.

(ج) يطلق الاسم الحوريسى بصفة حاسمة على الملك في أثناء حياته، ويعيش هذا الاسم بعد موته فقط في أسماء الأماكن والمباني، ومنذ حكم الملك سمرخت وهو سابغ ملك في الأسرة الأولى، أصبح الملك الميت يعرف باسمه المسبوق بلقب نيسو - بيت^(٢) مع اسمه المسبوق بلقب نبتى. وبعد ذلك أسقط نبتى وأصبح نيسو - بيت يكون اسماً منفصلاً قائماً بذاته. وتذكر القوائم الملكية في أيديوس وسقارة وتورين أسماء الملوك المسبوق باللقاب نيسو - بيت، لأن هذه القوائم تخص الملوك الراحلين، ونستطيع على ذلك القول بأن اسم «نبتى» الموجود على بطاقة نقادة هو اسم ملك متوفى، بينما الاسم الحوريسى هو اسم ملك حى.

التعقيب المضاد: لا أساس للقول بأنه عندما يقرن اسم نبتى واسم حورسى الملك حى بعضهما إلى البعض تكتب مجموعة علامات نبتى بطريقة عكسية لمجموعة علامات حورس. وحقاً أن الاسمين الموجودين على بطاقات الملك «قاعا» و«اجهان» بعضهما البعض، ولكن لذلك مفرى، إذ إن التغيير في اتجاه مجموعات العلامات الهيروغليفية في هذا العصر لم يكن غير عادى، وهو ظاهرة عامة في عدة بطاقات خشبية وعاجية. وقضلاً عن ذلك فإن اسم نبتى وحورس لنفس الملك يظهران على أختام في اتجاه واحد كما هو الحال في بطاقة نقادة^(٣).

(١) أى يقرن اسم الملك مسبوفاً بلقب «السيدتين» مع اسمه مسبوفاً بلقب الصفر (حورسى). المترجم

(٢) أى ملك الجنوب والشمال. (المترجم)

(٣) Petrie, Royal Tombs 1 Pl, XXVIII, No. 72 of Semerkhet.

ولا شك في خطأ الرأى الذى يذهب إلى أن الاسم الحورى كان يستعمل فى العصر العتيق عند الإشارة إلى الملك الحى فحسب وأن اسم نبتى كان للملك بعد وفاته . وفيما يتعلق بالاسم الحورى فإنه من الصعب أن نوفق بين هذا الاعتقاد وبين الحقيقة التى تقول بأن الاسم الحورى هو المستعمل بصفة نهائية على لوحات الملوك الجنازية التى عثر عليها فى مقابر أيدوس . وبالإضافة إلى ذلك ، فإننا نجد على تماثيل من الجرانيت فى المتحف المصرى أن الأسماء الحورية للملوك الثلاثة الأوائل فى الأسرة الثانية وهم « حوتب سخموى » و « رع نب » و « نتر إن Neteron » قد نقشت طبق نظام تولهم العرش . والمفروض أن اثنين على الأقل من هؤلاء الملوك الثلاثة كانوا قد وافقهما المنية عند الكتابة ، وكان يجب بناء على ذلك أن يشار إليهما بأسمائهما المسبوق بلقب نبتى . كما أنه لدينا بطاقة الملك قاعا وعليها أسماء حورس ونبتى مكتوبين سوياً .

والأدلة على أن « حور — حعا » هو مينا نسردها فيما يلى :

١ — بطاقة « حور حعا » التى عثر عليها فى نقادة : إن اسم مينا المسبوق بلقب قننى والمجاور مباشرة لاسم « حور — حعا » المسبوق بلقب حورس ، يدل على أنهما اسمان لشخص واحد ، كما هو الحال على بطاقات أخرى مثل بطاقات الملك قاعا . وقد ظن البعض أن العلامة التى تقع أسفل مجموعة نبتى ليست العلامة التى تتعلق « من » ، ولكنها تمثل المقاعد والسرادق المصوب للاحتفال بعيد « سد »^(١) . ومع ذلك ، فقد اتفق معظم الباحثين على أنه لا يمكن أن يكون هناك جدل فى أن هذه العلامة هى حقيقة علامة « من » ، ويدين ذلك بمقارنتها مع قطعتى اللب اللتين شاع استعمالهما فى العصر العتيق . وفضلاً عن ذلك فقارنة ذلك بعلامة (من) المرسومة بالأسود والأحمر

Vikontief, The Nagadeh Tablet, Annales du Service (١)
des antiquités de l'Égypte, Tome XXXIII.

خلف بطاقة « حور عحا ، التي عثر عليها في أيدوس والتي تعتبر في حد ذاتها إشارة أخرى على أن الملك « حور - عحا ، هو مينا تؤكد الرأي (١) .

التعقيب المضاد :

نستطيع بناء على قوة الدليل المكتوب والمذكور عاليه ، أن نستخلص أن اسم نبتى يشير إلى الملك السابق « لحور - عحا ، .

٢ - المبنى الجنازى الكبير الذى شيده « حور - عحا ، فى سقارة (وسقارة هى جبانة العاصمة منف التى أسسها مينا) :

تعتبر المقبرة رقم ٣٣٥٧ أقدم مبنى منذ عهد الأسرات فى سقارة ، ولم يعثر فيها على أى مخلفات أو بقايا للملك نعرمر . ولهذا أهمية خاصة ، حيث عثر على مبان من عهد نعرمر فى بلدة طرغان التى تقع بعيداً إلى الجنوب . وهذا يوحى بأنه رغم أن دولة الشمال قد هزمت فإنها عند موته لم تكن قد هدأت تماماً ، كما يوحى بأن إنشاء العاصمة الاستراتيجية الجديدة منف لم يكن قد تم بعد .

التعقيب المضاد :

لو كنت منشئاً لمدينة منف لا يعنى بالضرورة أنه يجب أن تدفن فى جبانها ، وحتى ينتهى الكشف التام عن موقع المدينة ، يكون من التهور أن نقرر عدم وجود أثر ما لنعرمر فيها . وعلاوة على ذلك فرغم أن منطقة المقابر الكبيرة للأسرة الأولى قد تم حفرها ، إلا أن هناك مناطق مجاورة لها لا تزال تنتظر الكشف عنها .

وأظنى قد أوردت موجزاً معتدلاً للنقط البارزة فى وجهات النظر مؤيداً ومناهضاً الفروض المتناظرة بأن نعرمر أو حور عحا كان هو مينا .

وهناك رأى بديل آخر : وهو أن مينا كان شخصية أسطورية مركبة تجسدت فيها أعمال كل من نعرمرز وحرور عحا . ولكننى أرى على ضوء الدليل الذى أمدت بنا به بطاقة نقادة ، أنه من الصعب أن نأخذ بهذا الحل المريب ، وإنى أعتبر كفة الأدلة ترجح أن حرور عحا هو مينا ، وأظن أن عدم وجود أى أثر لإطلاقاً لنعرمرز فى جبانة العصر العتيق فى سقارة هو أقوى حجة تعزز وجهة النظر هذه . والفروض التى تتركز على معلوماتنا المبدئية حالياً عن كتابة هذا العصر البعيد لا يمكن أن تعادل الحقائق الثابتة التى أظهرها معول الأثرى فى حفائره .

ومن الحماقة حقاً محاولة إعطاء أحكام نهائية فى المعضلات المعقدة العديدة التى تتصل بهذا العصر العتيق من تاريخ البشرية . ومع ذلك فقد أحرزنا تقدماً ، وهناك نظريات عديدة ترجع إلى سنين قليلة مضت قد أصبحت حقائق ثابتة ، بينما عدل عن نظريات أخرى عديدة . وحتى مع نظرتنا الحالية المبهمة ، فإننا نستطيع أن نتعرف على سكان وادى النيل فى بداية الألف الثالث قبل الميلاد وأنهم كانوا أحسن تنظيمياً وأكثر حضارة من وجهة نظرنا الحديثة مما كنا قد افترضنا .

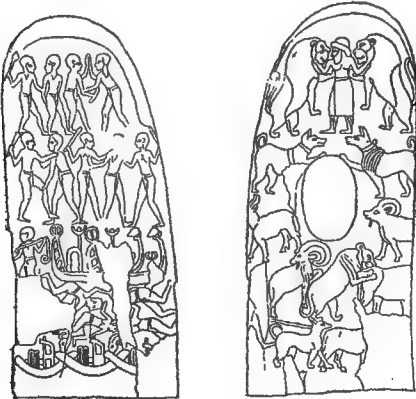
الفصل الأول

الوحدة

لقد حدث تغيير كبير في مصر منذ نحو ٣٤٠٠ سنة قبل الميلاد . وتحولات الدولة بسرعة من ثقافة العصر الحجري الحديث المتقدمة ، مع ما تقتلظ به هذه الثقافة من صفات قبلية ، إلى مملكتين لهما نظام سليم ، إحداهما تشمل منطقة الدلتا والأخرى وادى النيل ، وفي نفس الوقت ظهر فن الكتابة ، كما تطورت العمارة والفنون والحرف تطوراً مذهلاً ، وتشير كل الدلائل إلى وجود حضارة تقسم بحسن النظام والرخاء . وقد تم كل ذلك في فترة قصيرة نسبياً ، ذلك لأنه يبدو أن هذه التطورات الجذرية في الكتابة والعمارة كان أساسها السابق ضئيلاً إن لم يكن معدوماً .

وقد اختلفت آراء الباحثين حول سبب هذا التقدم الحضارى المفاجئ . ولكن من المرجح أن السبب الرئيسى يرجع إلى أن شعباً جديداً قد غزوا وادى النيل ، جالباً معه أساس الحضارة ، التى يجوز أن نسميها بالحضارة الفراعونية ، حيث يعوزنا اسم أفضل ، هذا ولم يثبت بعد ما إذا كان هذا الغزو قد أخذ شكل تسرب تدريجى أم أنه كان غزواً جماعياً ، ولكن إذا وازنا القرائن التى لدينا — وأهمها ما أمدتنا به النقوش التى تزين يد سكّين من العاج عثر عليها فى جبل العرق ، والرسوم التى وجدت على جدران إحدى مقابر العصر السابق للأسرات فى مدينة هيراكونبوليس — رجحت فكرة الغزو الجماعى . فعلى يد السكّين نرى أسلوباً من الفن يظن البعض أن أصله ربما كان فناً عراقياً أو سورياً قديماً ، كما نرى منظرأ قد يمثل معركة بحرية ضد غزاة ، وهو الموضوع الذى رسم أيضاً بطريقة بدائية على جدران مقبرة هيراكونبوليس . وفى كلا المنظرين إنرى مراكب مصرية أصلية بحتة ، كما نرى مراكب غريبة

هالة المقدمة والمؤخرة ، ولا يمكننا أن نخطئ في أن أصلها عراقي قديم (شكل ١) . وعلى أية حال ، لحوالي نهاية الألف الرابع قبل الميلاد نجد القوم المعروفين في الأساطير « أتباع حوريس » ، يكونون على ما يبدو السادة المتحضرين ، أو الجنس السيد الذي يحكم مصر كلها . وما يميز النظرية القائلة بوجود هذا الجنس ذي السيادة ، اكتشاف مقابر من أواخر العصر السابق للأسرات في الجزء الشمالي من الوجه القبلي ، تحتوي على بقايا آدمية لقوم بجامهم أكبر حجماً وأجسامهم أضخم من أجسام السكان الأصليين^(١) . وكان الاختلاف يبنأ حتى يستحيل القول بأن هؤلاء القوم انحدروا من السكان الأصليين السابقين . ولا بد أن اندماج الجنسَيْن كان ملحوظاً ، ولكنه لم يكن من السرعة بحيث يمكن اعتباره قد تم عندما توحدت البلاد ، إذ كان من



(شكل ١) مقبض سكّين جبل العرق

Derry, D. É. The Dynastic Race in Egypt; Journal of (١)
Egyptian Archaeology, vol. 42, 1956.

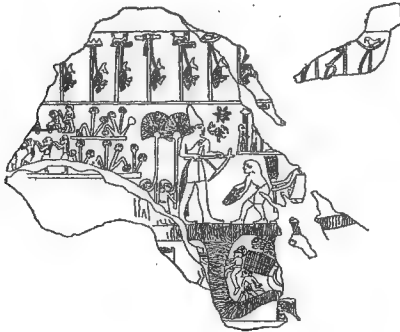
المستطاع خلال العصر العتيق كله التمييز بين طبقة السادة المتحضرين وبين عامة الشعب، لاسيما فيما يخص بعاتات الدفن. ونجد عند نهاية الأسرة الثانية فقط الدليل على أن الطبقات السفلى من الشعب تستعمل العمارة الجنائزية وطريقة الدفن التي يستعملها سادتهم.

والجنس الأصل لمؤلاء الغزاة غير معروف، كما أن الطريق الذي دخلوا منه إلى مصر لا يزال أيضاً غامضاً. وإن أوجه التشابه في الفن الزخرفي، والاشترك مع آفي استعمال الختم الاسطواني، وفوق هذا كله نظام الدخلات والخرجات في عمارتهم الأثرية، لتشير دون خطأ إلى وجود صلة بحضارة ما بين النهرين في ذلك الوقت. ومع وجود أوجه التشابه هذه، فهناك أيضاً أوجه اختلاف كبيرة. ومن الجراء حقاً ونحن على هذا القدر من المعلومات أن نبت برأى قاطع في هذا الموضوع البالغ الأهمية. وإذا فرضنا أن مجيء مؤلاء القوم الذين كونوا الأسرات إلى مصر كان على هيئة غزوة جماعية، وأنهم قد أتوا من الشرق، فإن الدلائل تشير إلى أن دخولهم كان عن طريق وادى الحمامات، ذلك الطريق التجارى العظيم الذى يعبر الصحراء الشرقية، ويربط ساحل البحر الأحمر عند القصير بالنيل عند بلدة فقط (شكل ٢). ولكنه قد ثبت أن طريق وادى الحمامات لا يخلو من عقبات كثيرة تعترض أية قوة حربية كبيرة، بسبب نقص الماء في مسافة تزيد على ٢٠٠ كيلو متر، وكبدل لهذا الطريق في دخول مصر، يحتمل أن يكون الغزو قد سلك طريق وادى الطميلات، الذى يقع في شرق الدلتا، وهو طريق قديم يمكن الجيوش المهاجمة من اكتساح الدلتا وإذا ما سارت على حافة الصحراء وصلت إلى المجرى الرئيسى للنيل فتخضع في النهاية الوجه القبلى وتجعله تحت سيطرتها، ومثل هذا الغزو بأى الطريقين، لم يكن ليتم إلا على مدى فترة زمنية طويلة (١).

(١) يرى المؤلف أن هذا الغزو يهبط إلى حد كبير غزو الساكون لبريطانيا وكانت النتائج متشابهة.

ما ورد في تاريخ مانتون . ويبدو أن العاصمتين الأصليتين لها تين الدولتين كانتا « بوتو » في الوجه البحرى و « هيرا كونيوليس » في الوجه القبلى ، ولكن عندما تمت الوحدة النهائية كانت أهم المدن الرئيسية في هاتين القوتين هما « سايس » في الشمال و « طينه أو أيدوس » في الجنوب . وهناك من الأسباب ما يدعونا إلى الظن بأنه في تاريخ أسبق هزمت « ملكة الشمال » ملكة الجنوب وأن ملوك الشمال قد سيطروا على مصر كلها فترة من الزمان غير أن ميزان القوى قد انقلب أخيراً ، وأصبحت الدلتا في النهاية خاضعة لحكام الوجه القبلى . وقد عثرنا في مدينة هيرا كونيوليس ، وهى العاصمة الدينية القديمة للجنوب ، على وثائق الحروب الخاصة بالوحدة ، وأهم هذه الوثائق النقوش المحفورة على رأسى صولجانين من الحجر الجيرى كانا يستعملان في الاحتفالات ، وكذلك نقوش وجهى لوحة كبيرة جنائزية من حجر الشست الأخضر . وهذه الآثار يرجع تاريخها إلى ملكين مختلفين ، ولكنها جميعاً تسجل هزيمة الشمال أولاً « بواسطة ملك يسمى « العقرب » ، ثم على يد نهرمر ، الذى يعتبره كثير من المؤرخين الملك مينا .

فراص صولجان الملك العقرب من الحجر الجيرى (شكل ٣) عليه



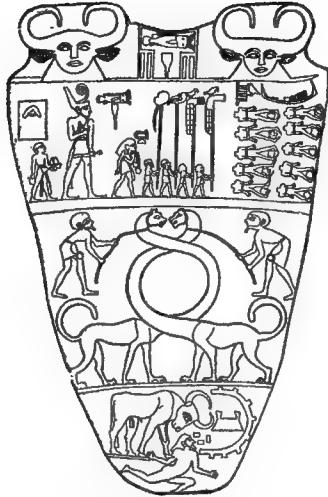
(شكل ٣) رأس صولجان أو ديموس قتال الملك العقرب

نقوش في ثلاثة صفوف ، يبين الصف الأول طيوراً ميتة معلقة في أعلام قبائل الجنوب ، وهذه الطيور تمثل ولايات الشمال المتحالفة . أما الصف الثاني فإنه يصور الملك لابسا تاج الوجه القبلي الأبيض ويقوم بفرقة وسط منظر يمثل أفراساً ، ويرمز هذا بوضوح إلى إعادة تنظيم الدولة . ونرى في الصف الثالث رجالاً قد انهمكوا في الأعمال السلبية الزراعية ، وعلى هذا فإن رأس الصولجان تسجل لنا بذلك لانتصار وإعادة التنظيم والسلم .

وتمدنا لوحة نعرمر وكذلك رأس الصولجان الثاني الذي يرجع إليه أيضاً ، بأدلة أكثر مادية ، ولا يتسرب الشك بأي حال من الأحوال إلى الأحداث التي صورت عليها . فعلى لوحة نعرمر (شكل ٤ اوب) نرى الملك لابساً تاج



(شكل ٤ - ١) لوحة نعرمر (من الوجه)



(شكل ٤ - ب) لوحة نعرمر (من الخلف)

الوجهين القبلي والبحري ، ومن الجلى أنه بهذا يدعى حكم الأرضين ، ونراه سائراً في احتفالات ومعه موظفوه وحلة أعلام جيوشه يستعرض جنث أعدائه الشماليين وقد ربطوا بالحبال وقطعت رموسهم ، كما نراه واقفاً تلك الوقفة التقليدية التي يقفها الفرعون المنتصر ، يهوى بدبوس القتال (الصولجان) على رأس عدوه المطروح أرضاً .

أما رأس الصولجان (شكل ه) ، فترى عليه نعرمر لابساً التاج الأحمر لدولة الشمال المزرومة وجالساً على عرشه تحميه الإلهة نخبت إلهة هيراكونبوليس في شكل رخية ، وأمامه حلة ألوية جيشه وكذلك شخص يجلس في محفة وأشخاص يمثلون أسرى وأرقام وعلامات تمثل ١٢٠,٠٠٠ رجل ، ٤٠٠,٠٠٠



(شكل ٥) نقش على رأس صولجان الملك نعرمر

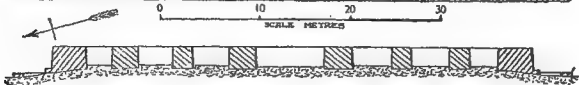
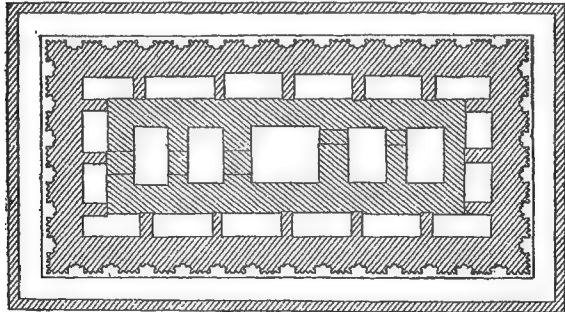
نور ، ١،٤٢٢،٠٠٠ ما عزوهمى غنائم الحرب . ويفسر بعض المؤرخين صورة الشخص الجالس بأنها صورة رجل ، ولكن بمقارنته بأشخاص مشابهين على بطاقة خشبية «عثر عليها في سقارة» يتضح عدم احتمال ذلك ، وأن هذه الصورة تمثل سيدة بكل تأكيد ، وقد اقترح أنها أميرة من الشمال وقعت في الأسر ، ربما انخفضها الملك المنتصر زوجة له . ومع أن هذا مجرد فرض ، إلا أنه ليس من غير المحتمل بتاتاً ، وربما تكون لدينا هنا صورة لاقران نيت حتب بنمرمر ، فهناك دليل قوى على أن فاتح الشمال قد حاول أن يجعل موقفه شرعياً باتخاذ أميرة الشمال زوجة له . ولا نعرف إلى أى حد قد عزز نمرمر فتوحاته ، ولكن يلاحظ أننا لم نعر على مبان كبيرة من عصره شمال مدينة طرغان ، كما أن زوجته الملكة نيت حتب قد دفنت في الجنوب في نقادة . هذا رغم أنه قد وجدت قطعة من الحجر الجيري عليها شكل يمثل الملكة في إحدى مقابر حلوان المقابلة لمدينة منف القديمة . وبالإضافة إلى نشاطه الحربى ، فإن نمرمر قد أرسل بعثات تجارية إلى الصحراء الشرقية ، وقد وجد اسمه على صخور وادى القاش جنوب الطريق التجارى العظيم الذى يربط بين قفط والقصور (شكل ٦) . وقد أمكن التحقق من أن مقبرة نمرمر هى المقبرة المعروفة برقم ١٠ فى المجموعة الشمالية الغربية من مقابر أيدوس وهى تتكون من حفرة كبيرة كسيت جوانبها



(شكل ٦) نقش نعرمر بواى القاش

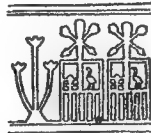
بالبن وطولها الكلى ١١ × ٩,٤ أمتار . وهذه المقبرة فى غاية الضآلة إذا قورنت بمقبرة الملكة نيت حتب فى نقادة . ونستطيع أن نستنتج أنها لم تكن سوى مقبرته الجنوية ، وأن المكان الحقيقى الذى دفن فيه لا يزال ينتظر الكشف عنه ، ربما فى طرخان أو فى سقارة .

ومقبرة الملكة (شكل ٧) تعتبر أثراً رائماً وأطولها الكلية ٥٣,٤ × ٤٦,٧



(شكل ٧) مسقط أفق ومسقط رأسى لمقبرة نيت حتب فى نقادة
(م ٢ - المصر القديم)

أما، ومع أنها أول مقبرة من الطراز الشمالى لها بناء علوى ذو دخلات وخرجات، إلا أنها أكثر بدائية فى تصميمها من شيهاتها فى سقارة ، وذلك لأن حجرات الدفن فيها قد بنيت على مستوى الأرض داخل المبانى العلوية . ومن العجيب أن تضطر الملكة إلى أن تدفن هكذا بعيداً فى الجنوب، ولا يسعنا إلا أن نستخلص من ذلك أنها قد ماتت قبل أن يتم إخصاع الشمال . ومع أن اسم الملك نمرور قد وجد على بعض القطع الأثرية التى عثر عليها فى المقبرة، إلا أنه يبدو أن ابنها حورعما هو الذى قام بدفنها ، إذ وجدت قطع عديدة فى هذه المقبرة تحمل اسمه وكذلك أسماء الملكة (شكل ٨) .



(شكل ٨) الكتابة الموجودة على خاتم إناه الملكة نيت حبيب

الأسرة الأولى

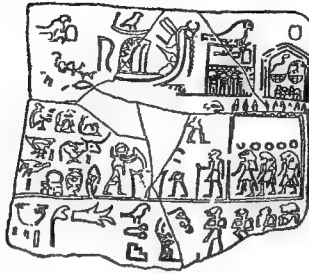
حورصا (شكل ٩):

بموت نعرمر آل عرش مصر الموحدة تقريباً إلى الملك حورصعا، الذي
يستهتر في رأى المؤلف أول ملك من ملوك الأسرة الأولى، وربما يكون
هو الملك مينا الذى ذكره المؤرخون القدماء، وقد كان اسمه الأول حور
ععا (الصقر المقاتل) بوصفه حاكماً لشعب حورس في الوجه القبلى، ولكنه
بوصفه ملكاً للدولتين المتحدتين فقد اتخذ لنفسه اسم «من» (الثابت) مسبقاً



(شكل ٩) الاسم الحورى لحور عا

بلقب «نتى»، وهذا يرمز إلى الحقيقة التى تعنى أن حامله كان القوة الموحدة
للأراضي الشمال والجنوب. وقد ثبتت العلاقات الاسمين عندما عثر في مقبرة
الملوك نيت حتب بنقادة على لوحة صغيرة من العاج، كتب عليها جنباً إلى جنب
الاسم الحورى، وهو حورصعا والاسم النبتى وهو مينا (شكل ١٠). وقد
كان لهذه اللوحة من الأهمية ما حدا بالعالم جارستانج أن يعيد حفر مقبرة
بنقادة، وهدفه الأساسى العثور على قطعة كانت ناقصة من هذه اللوحة. وقد نجح
نجاحاً ما كان يتوقعه، ففضلاً عن العثور على الجزء الناقص فقد اكتشف جزءاً
كبيراً من لوحة أخرى ذات رسم مشابه، واستطعننا بفضل هذا الجزء الثانى
من اللوحة أن نكمل جزءاً هاماً وسط الصف الأوسط له أهمية تاريخية كبيرة،
ولو أنه يعتبر ثانوياً بالنسبة للاسمين المتراجلين اللذين يأتیان بعد نبتى
حوريس ونبتى، ويبدو أن هذا المنظر يمثل بعض الاحتفالات التى أقيمت



(شكل ١٠) بطاقة عاجية من نقادة

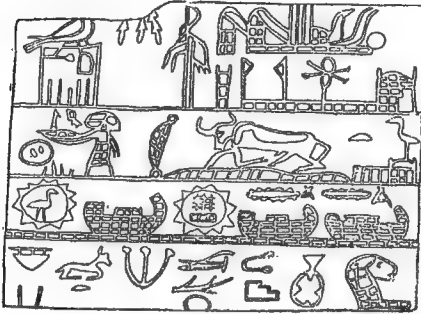
بمناسبة ذكرى توحيد الأرضين اللتين يمثلهما شخصان يوديان عملاً ما على شيء غير معروف — وقد كان هذا الاحتفال يسمى (استلام الجنوب والشمال) .

وإذا فرضنا أن حورعنا هو ابن نمرمر من نيت حنب ، فإن حقه في حكم القطرين في الجنوب والشمال يكون قائماً على أساس متين ، سواء عن طريق الفتح أو عن طريق الميراث ، رغم أنه قد يبدو أن بعض أجزاء الشمال تعارض حكمه ، إلا أن معظم البلاد كانت خاضعة له ، وكان المصريون والليبيون يدينون له بالطاعة وقد مولا له الجزية ، وكان بحق ملكاً للأرضين ، وساد الهدوء الدولة ، حتى إنه وجه همه نحو الجنوب حيث هزم التوبيين ، وثبت حكمه في أعلى النهر حتى الشلال الأول (شكل ١١) ، وكمثل يضرب



(شكل ١١) بطاقة خشبية من أيدوس

لسياسته الحكيمه فى تهدئة الوجه البحرى فان لدينا وثيقة بناء معبد فى مدينة
سايس (صا الحجر) للإلهة نيت حامية الشمال (شكل ١٢) .



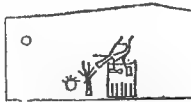
(شكل ١٢) بطاقة خفية من أيديوس

أما أعظم ما أنجزه حورعما فى مضمار البناء فكان تأسيس عاصمة
جديدة لمصر المتحدة فى منطقة تبعد نحو ٢٠ ميلا جنوب رأس الدلتا قريبا
من الحدود الطبيعية بين الشمال والجنوب . وبناء هذه المدينة التى قدر لها
أن تكون مركز الحكم والثقافة لمدة ثلاثة آلاف سنة ، ليعتبر من الأعمال
الهندسية العظيمة ، إذ كان من الضرورى تحويل مجرى النيل . ويذكر لنا
هيرودوت أن الأمر استدعى تجفيف الأرض من الماء ببناء سد كبير . وقد
سميت العاصمة الجديدة « الحائط الأبيض » ، وعرفت بعد ذلك بمنف ، ومن
هذه النقطة الاستراتيجية حكم حورعما مصر الحديثة العهد بالوحدة . وهناك
فى عاصمته الجديدة بنى معبداً كبيراً كرسه للإله بتاح ، الذى ظل المعبود
الخاص للمدينة طوال تاريخها الطويل . وهناك أيضاً على شافة الصحراء وإلى
الغرب من المدينة شيد مقبرته الشمالية ، وهى الأولى فى سلسلة طويلة من
المباني الجنائزية ، التى كان على خلفائه من بعده أن يقوموا ببنائها . ويقص

علينا المؤرخ ديودور عن فرعون مصر الأول قصصاً أسطورية قليلة القيمة، ومن الصعب تصديقها . فيقول إن الملك خلال رحلة صيد قام بها في الفيوم ، قد هاجمه كلاب صيده بخيانة، ولم ينج منها إلا بإلقاء نفسه في بحيرة موريث ، حيث حمله تماسح إلى الضفة المقابلة ، ولكي يحكي ذكرى هذا الهرب العجيب شيد مدينة هناك وكرس البحيرة للتمساح . ويذكر ديودور أن الملك أيضاً بنى هرمًا ليدفن فيه بجوار هذه البقعة . كما يذكر أن المصريين قد تعلموا أول ما تعلموا كيف يعبدون الآلهة وكيف يعيشون في حالة متحضرة، وربما كان ذلك صدى لأعمال التهذبة التي قام بها نحو البلاد بعد فترة طويلة شاعت فيها الفوضى والمذابح خلال الكفاح من أجل الوحدة .

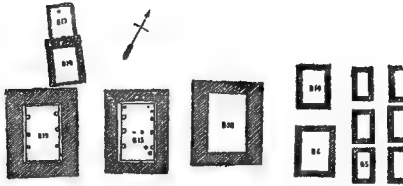
ويذكر مانيتون (رواية أفريكانوس) أن الملك العظيم قد مات في السنة الثالثة والستين من حكمه بسبب الإصابات التي لحقت من فرس النهر . وليست هذه الرواية بغير المحتملة ، لأننا نعرف أن صيد فرس النهر كان رياضة شغف بها ملوك الأسرة الأولى، ومع ذلك فيجوز أن تكون هذه القصة رواية أخرى بديلة لقصة التماسح التي ذكرها ديودور .

وقد عثر في نقادة وأيدوس على قطع أثرية صغيرة من العاج وبطاقات تحمل اسم بئر - أيب الذي يجوز ترجمته « حلو القلب » (شكل ١٣) . وقد أمكن التعرف على مقبرة هذا الشخص في الشمال الغربي من مجموعة



(شكل ١٣) بطاقة عاجية من أيدوس

أيدوس (شكل ١٤) وعلى مقربة جداً من المقبرة المنسوبة إلى حور صعا ، وعلى ذلك فن المحتمل أن تكون بئر - أيب ملكته .

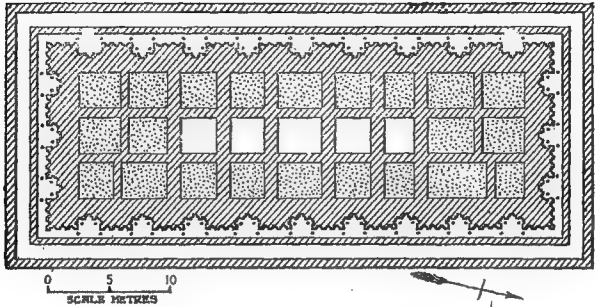


(شكل ١٤) مسقط أفق للمجموعة الشمالية القريبة من مقابر أيدوس

وفيما عدا المقبرة الكبيرة الموجودة في نقادة ، وهي المقبرة التي ربما بناها حورعما لو والدته الملكة نيت - حنوب ، فلا يزال يوجد مقبرتان كبيرتان لهذا الملك في أيدوس وسقارة يبدو أنهما مقبرتاها الشمالية والجنوبية .

أما عن مقبرة أيدوس المرقومة برقم ١٩ شكل ١٤ وهي أكبر مقبرة في المجموعة الشمالية الغربية فقد أمكن التحقق من أنها مقبرة حورعما وذلك من القطع الأثرية التي عثر عليها عند عمليات الحفر . وككل مقابر العصر العتيق في أيدوس قد أزيلت مبانيها العلوية تماماً ولم يبق سوى حجرة كبيرة سفلية . كسيت جدرانها باللبن ، ووجدت في أرضيتها حفر لتثبيت الأعمدة الخشبية التي كانت تحمل سقفها . وتبلغ الأطلال السككية لهذه المقبرة شاملة الحوائط الساندة الضخمة ١١.٧ x ٩.٤ أمتار . وقد عثر بئر في مقبرة صغيرة ملاصقة للمقبرة ب ١٩ على قضيب ذهبي لا يعرف الغرض منه ، مخفور عليه اسم حورعما .

والمقبرة الشمالية في سقارة (شكل ١٥، ١٦) ، وهي المرقومة برقم ٢٣٥٧ أكبر حجماً بكثير ، كما أن حوائطها أكثر روعة . ومع أنها أصغر من



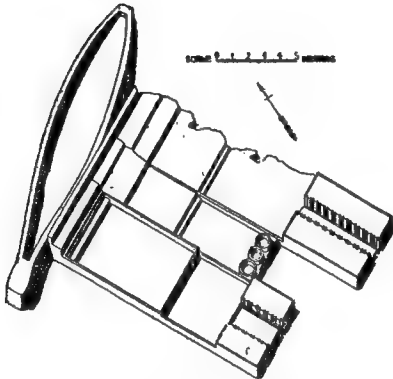
(شكل ١٥) مسقط أفقي للقبرة ٣٣٥٨ في سقارة



(شكل ١٦) قطاع للقبرة ٣٣٥٧ في سقارة

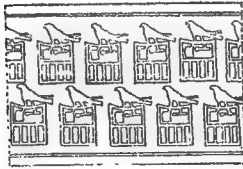
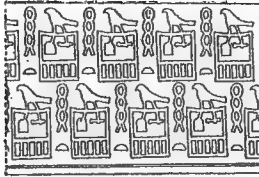
مقبرة الملكة نيت - حتب وتشبهها في التصميم العام ، إلا أنها أتقن صنفاً ، وتوضح تطوراً أحدث لاسيما في حجرة الدفن السفلية . وهي تكون من حفرة كبيرة قطعت في طبقة الحصى والصخر وقد قسمت إلى خمس حجرات منفصلة بجدران قاطمة . وقد كانت هذه الحجرات السفلية مسقوفة بالخشب ويوجد فوقها وعلى مستوى الأرض بناء علوى من اللبن مستطيل الشكل ، وجزؤه الداخلى أجوف ، ومقسم إلى مجموعة من المخازن عددها ٢٧ سبعة وعشرون خصصت لحفظ المعدات الجنائزية الأخرى . والبناء العلوى مع جدرانه الخارجية المحلاة بذهخات وخرجات والذي يحيط به سوران ، له أطوال كلية مقدارها ٤٨,٢ × ٢٢ متراً . وفي الجانب الشمالى للقبرة كانت هناك مجموعة من المباني النموذجية الصغيرة وحفرة كبيرة لمركب مبنية

بالبن (شكل ١٧) وكان بداخلها في الأصل مركب شمس مصنوع من الخشب ، بقصد أن تسافر فيه روح الملك العظيم مع الآلهة السماوية في رحلتها عبر السماوات نهاراً ، وعبر العالم السفلي ليلاً .

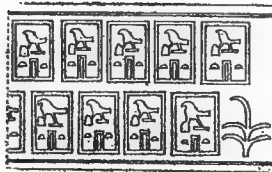
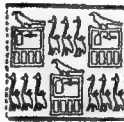
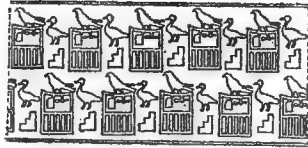


(شكل ١٧) نموذج لمجموعة مباني حورعحا وخفرة مركبه

وقد أمدتنا مقبرتا أيدوس وسقارة بقطع أثرية تحمل اسم حورعحا على بطاقات خشبية في غالب الأحيان، وعلى سدادات للأواني من الصلصال (شكل ١٨) . وفي مقبرة سقارة عثر على مئات من الجرار الفخارية الصغيرة تحمل كل منها الاسم الملكي ومحتوياتها .



«(شكل ١٨ د ١) نماذج أختام جرار مكتوبة للملك حورعما»



(شكل ١٨ «ب») نماذج أختام جرار مكتوبة للملك حورصالح

الملك دجر Djer (شكل ١٩)

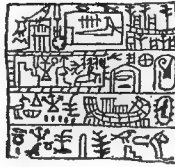
بعد وفاة حورعما خلفه على عرش البلاد الملك دجر ، وربما يكون هو الحاكم الثاني الذي ذكره مانيتون ، والذي يقرر أنه حكم مدة ٥٧ سبعة وخمسين عاماً . ويروى مانيتون أيضاً أن هذا الملك الذي أطلق عليه اسم «أثويس» Athosis بنى قصراً في منف ، ولأنه كان طيباً ألف كتباً في التشرية كانت لاتزال موجودة في عهد مانيتون ، أى بعد ذلك بحوالى ٢٨٠٠ سنة .



(شكل ١٩) الاسم الحوري
للملك دجر

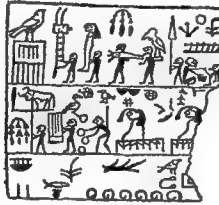
ومن وثائق عصر الملك دجر بطاقتان بالفتا الأهمية ، إحداها من العاج وقد عثر عليها في أيدوس ، والأخرى من الخشب وقد وجدت في سقارة ، والظاهر أن البطاقات التي من هذا الطراز كانت تشير إلى السلعة التي كانت البطاقة ملتصقة بها . ولكنها أرخت ياخذى سنى حكم الملك ، وبجملتها عليها الحوادث الرئيسية في تلك الفترة ، وللأسف فإن معلوماتنا عن اللغة المصرية في العصر العتيق محدودة لدرجة لا نستطيع معها الآن إعطاء ترجمة موثوق بها لهذه النصوص التي لا يمكن تقدير قيمتها ، ونستطيع فقط أن نفتق كلمات غريبة ومجموعات من العلامات التي لا تعطينا سوى أكثر التفسيرات غموضاً . ومن هاتين اللوحتين يبدو أن لوحة أيدوس (شكل ٢٠) تسجل زيارة الملك لبلدتي بوتو وسائس* وهما البلدتان المقدستان في الوجه

(*) بوتو هي حالياً تل القراعين مركز دسوق ، وسائس هي بلدة صا الحجر مركز بسيون



←
(شكل ٢٠) بطاقة
عاجية الملك دجر من
أيدوس

البحرى . كما يظهر أن لوحة سفارة (شكل ٢١) تسجل احتفالاً دينياً هاماً



(شكل ٢١) بطاقة خشبية الملك دجر من سفارة

قدمت فيه ضحايا بشرية . وقد واصل دجر حروب سلفه في النوبة، وتوقلت
جيوشه جنوباً حتى الشلال الثاني ، إذ يوجد بالقرب من وادى خلفا على
الضفة الغربية للنيل نص صخرى (شكل ٢٢) يربنا الاسم الحورى للملك



(شكل ٢٢) نص صخرى الملك دجر

دجر وأمامه يقف شخص في مقابر الأسير ممسك بالقوس وهو علامة تمثل بلاد النوبة ، وهناك أسير آخر يرى مربوطاً في مركب حربي مصري بأسفله أجسام لأعداء مذبحين. ويستحيل البت فيما إذا كان هذا الأثر البدائي يسجل دجر مجرد حلة تأديبية قام بها دجر أم أنه انتصار فعلي ، ولكنه قد عثر في بلاد النوبة السفلية على أشياء من هذا العصر لا يشك في صناعتها المصرية . ومن الممكن أن يكون دجر قد شن حرباً عند الحدود الشرقية ، إذ وجدت في مقبرته في سقارة لوحة من الرمر عليها نقش بدائي يبين الملك في وقته المألوفة كفرعون المنتصر بصرع أسيراً ليبياً (شكل ٢٣) . وقد

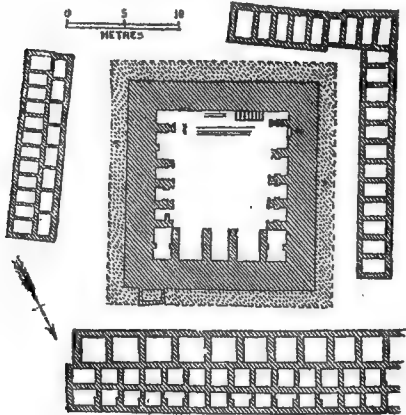


(شكل ٢٣) بطاقة مكتوبة للملك دجر

أسفرت الحفائر الحديثة في سقارة عن الكشف عن مقبرة كبيرة للسلطة - حور - نيت ، وما عثر عليه فيها من آثار مكتوبة يمكننا اعتبارها زوجة للملك دجر .

واستمر تدعيم وحدة مصر طوال حكم الملك دجر ، إذ لا توجد أية وثائق عن وجود نزاع داخلي ، بل على العكس هناك ما يصح أن يكون خطوة هامة في سبيل الرخاء . ويتبين ذلك من التوسع في الإنتاج الفني والصناعي . ومن أميز أمثلة هذا التوسع تلك الحلى التي اكتشفت في مقبرة الملك الجنوية في أيديوس ، وكذلك المجموعة الضخمة من الأواني النحاسية والآلات والأسلحة التي وجدت في المقبرة الشالية بسقارة والسكين الفطران البديعة ذات المقبض الذهبي المحفوظة الآن في متحف تورنتو .

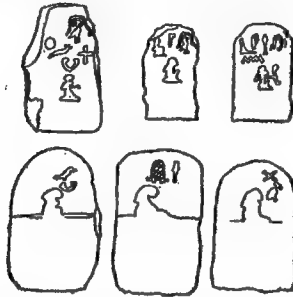
ومقبرة دجر الجنوية في ايدوس (شكل ٢٤) أكبر بكثير من مقبرة سلفه الموجودة بنفس المنطقة . فهي تتكون من حفرة كبيرة مستطيلة مكموسة باللبن، ولها مخازن غير منتظمة في ثلاثة جوانب . ويظهر أن حجرة الدفن الأصلية كانت مبنية بالخشب، وكانت المقبرة كلها في الأصل مستقوفة بكتل وألواح خشبية ، على أننا لم نعث على أى أثر للبنى العلوى، ولكن الخطوط المنقطة الميئة على الرسم (شكل ٢٤) توضح المظهر المقترح . والممكن قبوله بصفة عامة لما كان عليه البناء العلوى في الأصل . وتبلغ



(شكل ٢٤) مسقط أفق للمقبرة و (٥) في أيدوس

الاطوال الكلية لهذه المقبرة بما في ذلك المبنى العلوى ٢١ و ٢٠ مترًا . وكان يحيط بالمقبرة صفوف من مقابر جانبية عددها ٣٣٨ مقبرة ، حوت رفات الخدم الذين ضحى بهم عند دفن الملك، وكان معظم هؤلاء الضحايا من النقباء، ووجد مع كثير منهم لوحات حجرية خشنة الصنع تحمل أسماءهم .

(شكل ٢٥) . وعثر أيضاً في المقبرة على قطع من اللوحة الملكية الكبيرة



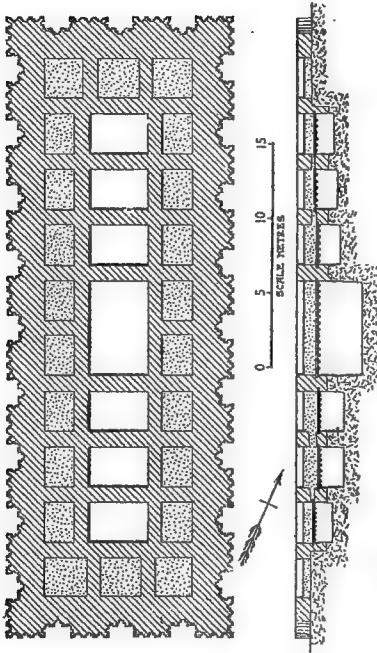
(شكل ٢٥) نماذج لوحات من المدافن الجانبية في أيديوس
(شكل ٢٦) ، ولكن أعجب ما عثر عليه كان تلك الحلى التي أشرنا إليها
سابقاً ، والتي تشمل أساور ثمينة من الذهب والفيروز والحشيت واللازورد



(شكل ٢٦) لوحة الملك دجر التي عثر عليها في أيديوس

التي وجدت على عظام ذراع آدمية تركها اللصوص لسبب لا يمكن تعليله ،
ويريد في دهشتنا تقاضى لصوص أتوا بعد ذلك عن هذه الحلى .

أما المقبرة الشمالية في سقارة والتي يعزوها البعض مؤقتاً إلى الملك دجر
(شكل ٢٧) فهي أكبر بكثير من مقبرته في أيديوس ، وتشبه في الحجم إلى حد



(شكل ٢٧) مسقط أفق ومسقط رأسي للقبة ٣٤٧١ في سقارة

كبير مقبرة حورصا الشمالية ، ولكنها أكثر إتقاناً وتبين تقدماً عظيماً في تطور العمارة لاسيما فيما يختص بحجرة الدفن السفلية والمخازن السبعة المنحوتة إلى عمق أكبر . ولم يكشف حول المقبرة عن سياجها أو مقابرها الجانبية، ومن الممكن أنها دمرت عند بناء مقابر العصور المتأخرة ، وتبلغ الأطلال الكلية للمقبرة ١٥,١٥ × ٤١,٣٠ متراً .

وقد كشف أيضاً في سفارة عن مقبرة أخرى ذات تصميم ومقاييس مشابهة ، عثر فيها على سدادات أو ان عليها أختام، وربما يستنتج من ذلك أنها أيضاً من عصر الملك دجر .

الملكة مريت — نيت (شكل ٢٨)

إن الوضع التاريخي والاجتماعي لمريت — نيت غير مؤكد ، ولكن هناك ما يحتملنا على الفرض بأنها ربما كانت خليفة الملك دجر ، ووالدة ملوك هذه الأسرة ، ذلك لأنه عند الكشف عن المقبرة المرقومة بحرف (ي) في أيدوس سنة ١٩٠٠ وجد فيها بترى لوحة كبيرة تحمل اسم مريت — نيت فقط دون أن



١ (شكل ٢٨) اسم مريت — نيت

يحيط به واجهة القصر التقليدية التي يعلوها الصقر (شكل ٢٩) . وكان يعتقد في ذلك الوقت أن مريت — نيت اسم ملك، ولكن الأبحاث التي أجريت بعد ذلك أوضحت أنه اسم امرأة . وإذا حكمنا بناء على ثراء المقبرة فإنها تكون ملكية . ومع أن اسمها ظهر على أو ان حجرية وجلت في المقبرة، إلا أنه لم يثر فيها على أختام سدادات الأواني باسم مريت — نيت ، وإنما

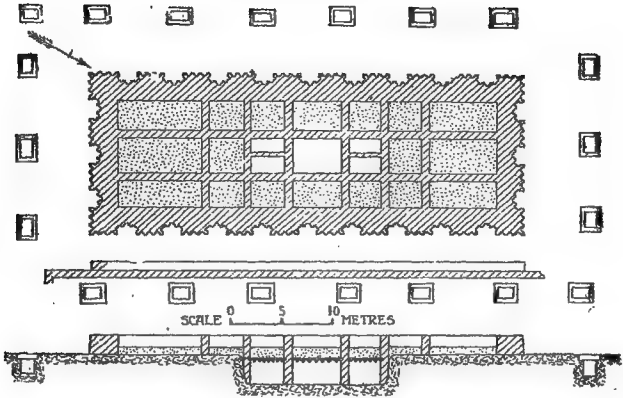
ونجدت سدادات كثيرة تحمل اسم أوديمو خامس ملوك الأسرة، ونتيجة لذلك رأى بعض المؤرخين خطأ أنها زوجته . ومن المؤكد أن اختتام أوديمو دخيلة على هذه المقبرة لأن مقبرته ملاصقة لها . وبعثة مثل هذه القلم كان للأسف مظهراً من مظاهر الحفائر التي أجراها أميلينو ، ومع



(شكل ٢٩) لوحة مريت - نيت من أيديوس

ذلك فقد كشفت الحفائر الحديثة بسقارة عن مقبرة أخرى يظهر أنها للبلكة مريت نيت . وذلك لأن النصوص التي وجدت على الأواني الحجرية وعلى اختتام سدادات الأواني متشابهة مع تلك التي عثر عليها في أيديوس وأحدها يظهر أنه اسم داخل واجهة القصر سرخ ، يملوه سهام نيت المتقاطعة وهذه الاختتام تشبه اختتام نيت - حنب التي عثر عليها في نقادة - (شكل ٢٨) .

ومقبرة سقارة رقم ٣٥٠٣ (شكل ٣٠) أكبر بكثير من مقبرة أيديوس ، ويمكن تأريخها استناداً إلى تصميمها وإلى ماعثر عليه فيها ، إلى أوائل الأسرة بكل تأكيد ، فقد عثر فيها على اختتام سدادات للبلك دجر الذي يبدو جيداً

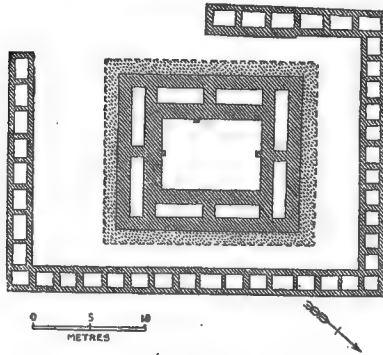


(شكل ٣٠) مسقط أفقي ورأسى للمقبرة ٣٥٠٣ في سقارة

أنه قد سبقها في الحكم . ويشبه البناء العلوى لهذه المقبرة المباني العلوية في مقبرتي حورعحا ودجر اللتين تقعان على مقربة منها . والواقع أن مريت نيت تمتلك وحدها دون كل سيدات الأسرة الملكية مقبرتين كبيرتين ، إحداهما في أيدوس والأخرى في سقارة بجوار مقابر الملوك ، مما يوحي بأنها كانت أكثر من زوجة ، بل ربما كانت هى شخصياً ملكة حاكمة .

ومقبرتها في أيدوس (شكل ٣١) تعتبر من أكبر مقابر المجموعة وأحسنها بناءً . وتتكون من حفرة كسيت جوانبها بالبن ، وتقسّمها جدران متقاطعة إلى حجرة دفن كبيرة في الوسط تحيط بها ثمانية مخازن ، وكان البناء السفلى كله في الأصل مسقوفاً بالخشب كما كان لحجرة الدفن أرضية خشبية . وتبلغ الأطوال الكلية للمقبرة بما في ذلك البناء العلوى المهدم إذا تخيلنا الصورة التي كان عليها ١٩,٢ × ١٦,٣ متراً . ويحيط بالمقبرة ٤١ مبراً جانبياً وجد فيها عدد قليل من اللوحات التي تشبه ما عثر عليه في مقبرة

للملك دجر . ولقبرة سقارة أيضاً مدافن جانبية تحيط بالبناء العلوى الذى تبلغ أطواله الكلية ٤٢,٦ × ١٦ متراً . ولهذه المدافن أهمية كبيرة إذ وجد الكثير منها سليماً ، ويضم أجسام الضحايا من الخدم الذين دفنوا ووضعت مع كل منهم الأدوات التى تشير إلى ما كان يؤديه لسيدته الملكة ، وذلك



(شكل ٣١) مسقط أفق للبقرة ى (٢) فى أيدوس

مثل نماذج قوارب ومعها قبطانها ، وأوانى الطلاء موضوعة مع الفنان ، والأوانى الحجرية ، والآلات البرنزىة مع صانع الآوانى ، وغير ذلك .

ومثل حورعنا كان للملكة حفرة مركب مبنية باللبن إلى الشمال من مقبرتها ، وكانت أصلاً تحوى مركب شمس طوله ١٧,٧٥ متراً ، وذلك لكى تجر فيه روحها مع إله الشمس .

وبالإضافة إلى مقبرتى أيدوس وسقارة ، فقد عثر فى أيدوس على مجموعة أخرى من المدافن عددها ٧٧ مدفناً لخدم مريت - نيت سويت

في صفوف منتظمة حول الجوانب الثلاثة لمستطيل . وعلى مقربة من هذا توجد مستطيلات مماثلة للدافق خدم كل من الملكين دجر وأودجي . ولم يتضح لنا بعد بطريقة مرضية المقصود من هذه الجبانة الغريبة ، ولكن يرى البعض أن المدافن قد صفت حول مبان عظيمة اختفت تماماً ، ومهما كان الأمر فهنا أننا للمرة الثانية نجد مقبرة للملكة مريت - نيت ذات حجم مساو وعلى مقربة من مقابر الملوك ، ونستطيع أن نحكم من اسمها وهومريت نيت أى « نيت منتصرة » ، أنها أسوة بالملكة نيت حتب كانت أميرة من الشمال وعلى ذلك كانت عاملاً قوياً في الميزان السياسى فيما بعد الوحدة التى لا بد أنها كانت مزعومة في ذلك التاريخ المبكر من بدايتها . وكما أشرنا سابقاً ، فإن هذه الوحدة لم تدعم بواسطة حق الفتح لحسب ، بل بواسطة الوحدة الزوجية أيضاً .

أودجي Udji (شكل ٣٢)

إذا فرضنا أن مريت - نيت كانت ملكة حاكمة ، سواء قبل الملك



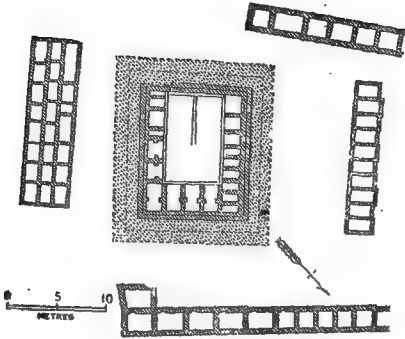
(شكل ٣٣) الاسم الحورى لـ أودجي

دجر أو بعده مباشرة فإن أودجي قد يكون الملك الرابع في الأسرة . ويبدو محتملاً إذا فحصنا إحدى بطاقات سفارة المكتوبة ، أن لقب نيتى لهذا الملك كان يسبق الاسم « إيترتى » Iterti ، وهو اسم يجوز أن ينطبق على أى من الأسماء الثانى أو الثالث أو الرابع من الأسماء الموجودة على قائمة ملوك أيدوس ، ويبدو أيضاً أن إيترتى هو نفس أثوئيس Athosis في عرف مانيتون الذى اعتبره الملك الثانى في الأسرة ، وهو اعتبار يستحيل قبوله .

بالنسبة لأوادجى الذى تولى الملك بعد دجر ومريت نيت . وقد وجد اسم أوادجى على صخرة طبيعية فى الصحراء الشرقية جنوب إدفو ، يشير إلى إحدى البعثات المرسلة إلى هذه المناجم وربما إلى شاطئ البحر الأحمر . وخلال حكمه استمر التقدم فى الأعمال المعمارية والفنية ، ومع أن مقبرته الجنوية فى أيدوس تمثل تطوراً ضئيلاً بالنسبة إلى مقابر أسلافه المباشرين ، إلا أنه قد كشف حديثاً فى سقارة عن إحدى المقابر العظيمة التى يحتمل أن تكون مقبرته ، وهى تبين خطوة حاسمة للأمام ، سواء فى التصميم أو فى فن البناء .

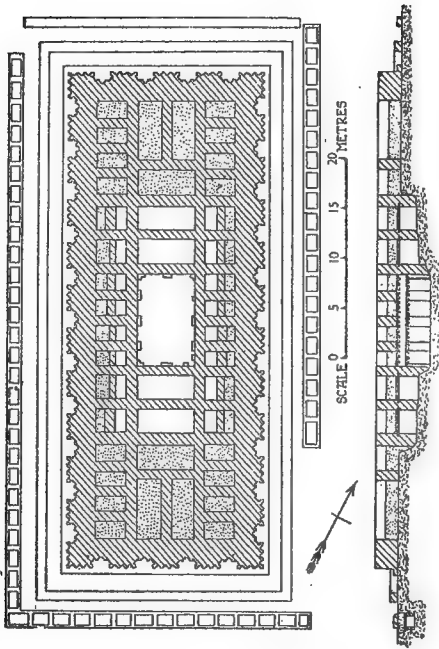
وقد كشف عن لوحة أوادجى الجنائزية فى مقبرة أيدوس ، ويمكن اعتبار هذه اللوحة أول عمل عظيم فى الفن المصرى وصلنا من مصر القديمة . وهى توضح كلاً فى التصميم والصناعة تعذر التفوق عليه فى العصور التالية الجوفاء . وهى الآن من أعظم كنوز المجموعة المصرية فى متحف اللوفر (لوحة ٣ ب) . وقد أمدتنا المقبرة الشمالية فى سقارة أيضاً بقطع أثرية لها قيمتها الفنية الهامة ، لاسيما تلك المصنوعة من الخشب المنقوش والآثاث وقطع اللعب المصنوعة من العاج . وهناك شخص يدعى سنخم — كا ، ربما كان موظفاً هاماً فى ذلك الوقت ، وطالما ظهر اسمه مقروناً باسم الملك على قطع أثرية عثر عليها فى مقبرة سقارة .

وتسكون مقبرة أوادجى الجنوية فى أيدوس (شكل ٢٣) من حفرة كبيرة وجدت بها بقايا حجرة دفن خشبية ، يحف بها من ثلاثة جوانب مجموعة من المخازن المبنية باللبن . وتبلغ أطوال المقبرة كلها مع إضافة البناء العلوى ، كما اقترحنا ترميمه ١٩ × ١٥ متراً . وكان يحيط بالمقبرة ١٧٤ مدقفاً للضحايا من خدام الملك عثر فيها على نحو عشرين لوحة خاصة من النوع العادى غير المصقول ، وكان للملك أوادجى أسوة بما كان للملك مريت نيت مستطيل كبير يضم ١٦١ مقبرة للخدام فى الأرض التى هى أكثر انخفاضاً عن أيدوس .



(شكل ٣٣) مسقط أفق للمقبرة ز (Z) في أيدوس

ويبدو أن المقبرة الكبيرة رقم ٣٥٠٤ في سقارة (شكل ٣٤ و ٣٥) كانت المدفن الشمالى الملك ، مع أن تكرار اسم الموظف الكبير المسمى سخم - كما على قطع أثرية عثر عليها في المقبرة يرجع أن المقبرة له وليست مقبرة الملك ، إلا أنه من المستحيل غالباً أن يتصور الإنسان أن نبيلاً مهما كانت عظامته ، يمكن أن يمتلك مقبرة أعظم بكثير من مقبرة سيده ، ذلك لأن المقبرة تكاد تكون ضعف مقبرة أيدوس في الاتساع والتصميم العام للبنى يمثل تطوراً في طراز المقابر التي بنيت في سقارة خلال حكم الملوك حورعحا ودجر ، ولكن فيما عدا هذا فإنها تعتبر أكبر ، وأطولها المكية هي ٥٦ر٤٥ × ٢٥ر٤٥ متراً . ويتكون البناء السفلى من حفرة كبيرة نحتت تحت مستوى الأرض ، وتقسماً جدران مقاطعة إلى خمس حجرات ، الوسطى منها هي حجرة الدفن ، وكان لها في الأصل لوحات من الخشب المطعم بشرائط من صفائح ذهبية . ولهذه الحجرات الخمس مجموعة من المخازن المبنية في الجانبيين الشرقى والغربى . وقد سقف بالخشب كل المبنى السفلى وحجرات



(شكل ٢٥٣) مسقطان أحدهما أفقي والآخر رأسي للمبنة ٣٥٠٤ في سقارة

الدفن والحجرات الجانبية ، أما البناء العلوى الكبير فقد كان أجوف ، ومقسماً إلى ٤٤ مخزناً ، وزين من الخارج بالدخلات والحجرات العادية . ومن مظاهر هذا البناء العلوى عما لم ينعثر عليه في المقابر الأخرى من الأسرة الأولى ، وجود نضد منخفض يحيط به ، كما صفت عليه نحو ٣٠٠ رأس صجل شكلت من الطين ولها فرون حقيقية (لوحة ٨ ، ٩) . وكان هناك خارج السور الذى يحيط بالمقبرة اثنان وستون مدفناً للخدم ، لكل منها بناؤه العلوى الخاص . ومثلاً حدث بكل المقابر الملكية الأخرى تقريباً في الأسرة الأولى ، دمرت النيران حجرة الدفن والحجرات السفلية . ولكن الملك قاعا آخر ملوك هذه الأسرة قام بترميم مادم فى هذه المقبرة . وللموضوع تدمير المدافن الملكية بالنيران أهمية خاصة ، سوف نبينها فيما بعد فى هذا المجال التاريخى .

وقد كشف فى الجيزة عن مقبرة أخرى عظيمة من عصر الملك أوداجى . وهى أكثر تعظيماً ، ولكنها تشبه تقريباً فى ضخامتها مقبرة سقارة ، ومن الممكن أن تسمى هذه المقبرة إلى زوجته التى لم يعرف اسمها . وهذه المقبرة مثل مقابر سقارة وأيدوس ، كانت محاطة بمدافن الضحايا والخدم . وقد ذكر مانيتون أن الملك الرابع ويسيه يفيغيس Unephes قد حكم ثلاثة وعشرين عاماً (أفريكانوس) أو اثنين وأربعين عاماً (يوزيديوس) .

ويقص علينا المؤرخ المصرى مانيتون أنه خلال حكم هذا الملك قاست مصر من قسط كبير ، وأنه قد بنى هرمأ بالقرب من كوشيمى Kochimeï . وهى منطقة عرفت الآن بأنها سقارة .

أوديمو Udimu (شكل ٣٦)

باعتلاء أوديمو ، خليفة أوادجي عرش البلاد ، أصبحت الوثائق والمواد التاريخية أكثر وضوحاً ، كإبدات تظهر أدلة أقرب إلى الحقيقة ، ونذكر



(شكل ٣٦) الاسم الحوري لأوديمو

على سبيل المثال ما أكدته نص وجد مكتوباً على إناء حجري في هرم سقارة المدرج من تسلسل أوديمو وخلفائه في الأسرة الأولى على العرش ، حيث حفر على هذه القطعة الهامة الأسماء الثانوية لأوديمو وعندج - أيب وممخت وقاعا في تسلسلهم المتفق عليه . ويمتاز أوديمو عن أسلافه بأننا نعرف اسمه الذي يلحق نيسو - بيت (ملك الوجه القبلي والبحري) وهو وسمتي، Senti وهذا يكون من الممكن اعتباره حسيبي^(١) الذي ذكرته قائمة أيدوس ، أو الملك أوسافايدوس^(٢) الذي ذكره مانيتون ، والذي يقول عنه إنه حكم مدة عشرين عاماً . ويزودنا العديد من البطاقات المكتوبة وأختام الجرار ببيانات عن حوادث بعضها يبدو مكرراً في الجدول السنوي لأحد الملوك غير المعروفين على حجر بالرمو . وقد نستطيع أن نستنتج من ذلك بأن هذه السجلات التاريخية القصيرة التي كتبت في الأسرة الخامسة تشير إلى حكم الملك أوديمو . وقد سجلت الحوادث الرئيسية لمدة أربع عشرة سنة ، ومن موضعها على الحجر يبدو أنها حدثت في النصف الأخير من حكمه . فالسنة ٢ + ٢ سجلت هزيمة البدو ، كما ترى لوحة حاجية من أيدوس الملك أوديمو في وقتها التقليدية كفرعون منتصر يضرب زعيماً لمؤلا البرابرة مع

عبارة « أول مرة لضرب الشرق » . وكانت الحرب ضد سكان الصحراء الشرقية ضرورية لتأمين الطرق التجارية في وادي المغارة لاستيراد النحاس والذهب من مناجم سيناء وهي مواد بالغة الأهمية .

والسنة س + ٣ تسجل مهرجانات تسمى « ظهور ملك الوجه القبلي » ثم (ظهور ملك الوجه البحري) ، والاحتفال بالعيد الثلاثيني لذلك وهو المعروف بعيد « سد » ، وهذا الاحتفال كان إحياء للزمان الذي لم يكن مسموحاً للحاكم فيه أن يتخطى مدة ثلاثين سنة ، ولكن بحلول الأسرة الأولى تطورت هذه العادة إلى عيد ثلاثيني واحتفال سحري ، كان الملك يحدد فيه صباه ويستمر في الحكم وهناك لوحة أخرى من أيدوس وخاتم سداة من الطين من سفارة يسجلان أيضاً هذه الحوادث .

والسنة س + ٤ تسجل إحصاء لجميع سكان المقاطعات في الغرب والشمال والشرق ، كما تذكر السنة س + ٥ الحلول الثاني لعيد الإلهة أواجيت ، المعبودة الحامية لمدينة يوتو ، وهي إحدى المدن الرئيسية في الوجه البحري .

والسنتان س + ٦ ، ٧ تذكران تصميم ووضع أساس قصر أو معبد يسمى « هروش الالهة » وفي السنة س + ٨ يذكر افتتاح البحيرة المتصلة بهذا المبنى . وفي هذه السنة أيضاً سجلت حادثة صيد فرس النهر ، وهي حادثة ذات أهمية كبيرة جاء ذكرها أيضاً على ختم سداة إمام عثر عليه في أيدوس .

والسنة س + ٩ تسجل مقراً من المفروض أنه خاص بالملك عند بحيرة الإلهة حرسافيس في هيرافليوبوليس (إهناسيا) ويبدو أن هذا أيضاً قد سجل على بطاقة من أيدوس رسم عليها ميكل المعبود .

والسنة س + ١٠ تسجل تدميراً حريماً لمنطقة غير معروفة تسمى « وركا » ، والسنة س + ١١ تحدد فيها احتفال يقال له ميلاد الإله سده .

والسنة من + ١٢ تسجل احتفالاً يسمى « ظهور ملك الوجه البحرى » وكذلك « الحلول الأولى لجرى أيس » ، وهذه الحادثة الأخيرة لها أهمية عظيمة ، حيث نجد أنها تظهر أيضاً على ختم سداة إناء من سقارة . والاحتفال « بجرى أيس » ، يظهر أنه كان من طقوس الإخصاب التى كانت مرتبطة برباط وثيق باحتفال عيد سد (انظر الفصل ٢) .

والسنتان من + ١٣ ، ١٤ تسجلان احتفالات الالهة « صفات » ، و « مفدت Meddet » ، وظهور ملك الوجه القبلى .

ولأسف تنتهى قطعة حجر بالرمو عند هذه النقطة ولا تعطينا حلاً لبده الحكم أو نهايته .

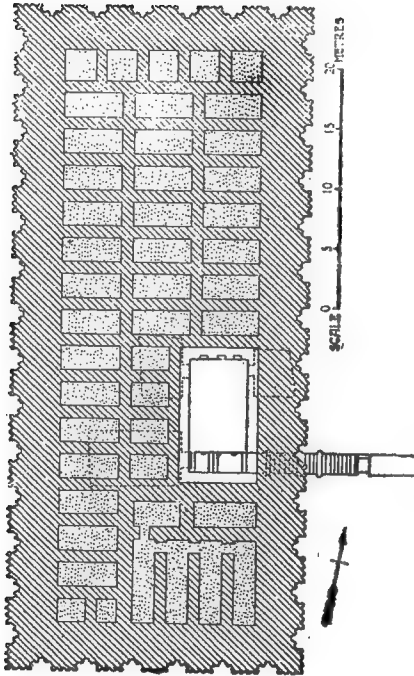
ونلس فى حكم أوديمو تقدماً مطرداً فى الفنون والحرف ، ودليلاً واضحاً على حالة التحضر فى ظل حكومة حسنة التنظيم . وقد قام نبيل يسمى حاكاً بدور هام فى هذه الحكومة ، حيث كان كبيراً للقضاة وله مكانة مرموقة ويحمل لقب « المسيطر على قلب الملك » ، ويظهر اسم هذا النبيل العظيم مراراً على بطاقات (شكل ٣٧) وعلى اختتام السدادات من أيديوس



(شكل ٣٧) بطاقة أوديمو الخشبية من أيديوس

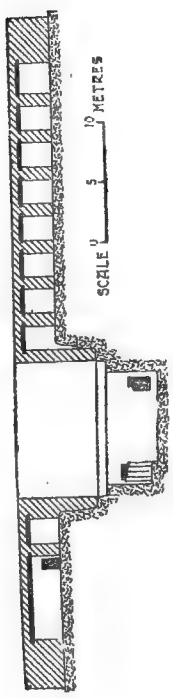
وسقارة ، كما يظهر عليها أيضاً اسم آخر لموظف كبير في هذا العصر يسمى 'دعخكا' . وقد كشف في سقارة في سنة ١٩٣٥ على مقبرة كبيرة ، ظن حينذاك أنها مشوى حاككا ، ولكن الاكتشافات الحديثة في مقبرة أخرى في سقارة قد بينت على وجه التأكيد خطأ هذا الظن ، وأنه من الواجب الآن أن تعتبر هذه المقبرة الكبيرة رقم (٣٠٣٥ شكل ٣٨) أنها لم تكن مقبرة كبير القضاة ، ولكنها الضريح الشمالى للملك أوديمو . ومهما كان الأمر فإنها تعتبر أكبر مقبرة من عصر هذا الملك . وحجمها يكبر بكثير عن حجم مقبرة الملك الجنوبية في أيديوس . وتبلغ الأبعاد الكلية للمقبرة ٥٧×٢٦ متراً . وتحتوى على بناء سفلى من ثلاث حجرات منحوتة في الصخر تفتح على حفرة كبيرة مكشوفة كان لها في الأصل سقف من الخشب (شكل ٣٩) . وقد كان الوصول إلى البناء السفلى عن طريق درج منحدر تحت الأرض ، أغلق على مسافات بواسطة سدادات حجرية مستطيلة ، كانت توضع في أماكنها بعد الدفن . وكان يوجد في الجزء العلوى بناء مستطيل مبنى باللبن يحوى ٤٥ مخزناً ، وله جدران خارجية بنيت كالعادة بطريقة الدخلات والخرجات . وبعض هذه المخازن قد نجا من سطو اللصوص القدماء ، وكهف عنها سليمة مع مجموعة من القطع الأثرية التى ظلت حيث هى لم تلمسها يد إنسان مدة ٥٠٠٠ سنة . ووجدت بكثرة آلات وأسلحة ولعب وأوان من البلور الصخرى والمرمر والشيست ، وهى تكون حالياً أكبر مجموعة كشف عنها من آثار العصر العتيق .

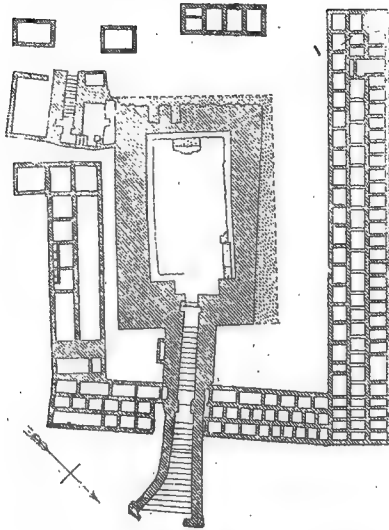
ومع أن مقبرة أوديمو في أيديوس (شكل ٤٠) أصغر بكثير من مقبرة سقارة إلا أنها تدل على تقدم مهبرى كبير ، وإذا قورنت بمقابر الملوك السابقين كانت هارتها أعظم تأثيراً . وبها مثل مقبرة سقارة درج ينحدر إلى أسفل حيث يودى إلى حفرة كبيرة كانت مسقوفة أصلاً بالخشب ولها أرضية من كتل الجرانيت . وقد اختفى البناء العلوى تماماً ، ولكن من المحتمل أن أطواله كانت ٢٣×١٦ متراً ، ويحيط بالمقبرة نحو ١٣٦ مدفناً



(شكل ٢٨) سقف أفق للبقرة ٣٠٣٥ في سقارة

(شكل ٢٩) مقطع رأسى للقبعة ٣٠٢٥ فى سفارة





(شكن ٤٠) مسقط أفق للمقبرة ت (T) في أيدوس

للخدم، منها ما كان يضم زفات رجال ونساء . وجد فيها الكثير من اللوحات العادية الخشنة الضخم ، كما عثر على أختام جزار الملك أوديمو في المقبرة التي ظن أنها للملكة «حر نيت» زوجة الملك دجر، ولا يوجد أدنى شك في أنها دفنت خلال حكمه .

ويبدو أن حكم أوديمو كان أزمى حكم في الأسرة الأولى كلها ، وظلت ذكرى الملك العظيم في الأذهان في العصور التالية فسجلت بردية أيرس^(١)

(١) كشف عنها بالأقصر عام ١٨٦٢ وإشغرها العالم الألماني آيرس وترجع إلى عام ١٥٥٠ ق م وتشير لنفها إلى أنها منسوخة عن كنبطية أقدم من الأسرة ١٢ وجاء بإحدى عباراتها أنها منسوخة من عهد الأسرة الأولى .
وهذه البردية نجوى ٨٧٧ وصفة طبية وعقاقيرها وطريقة التداوى بها . (المترجم)

الطبية وصفة طبية تعزى إلى هذا الوقت ، وترجع إلى الوراثة ١٥٠٠ سنة كما أن الفصل الرابع والستين من كتاب الموتى يعزى إلى حكمه ، ومن أشهر القطع التي حصلنا عليها من مقبرة أيدوس غطاء صندوق من العاج لا بد أنه كان في الأصل معداً لحفظ خاتمه الذهبي المخصص للأحكام ، وذلك حيث كتب عليه ما يفيد ذلك .

عندج - إيب^(١) (شكل ٤١)



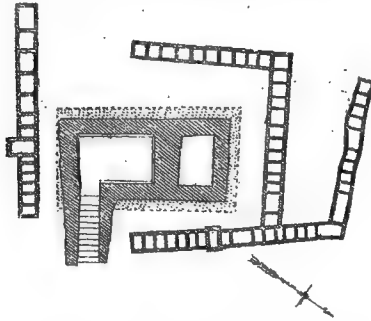
(شكل ٤١) الاسم الحوري للملك عندج - إيب

خلف أوديمو على العرش الملك عندج - إيب ، وكان اسمه المسبوق بلقب " نيسويت " ، هو مرابن^(٢) وعلى ذلك يمكن معرفته باسم مييدوس Miebidos طبقاً لماثيتون ، الذي أفاد بأنه حكم ستة وعشرين عاماً . وكان عندج إيب أول ملك ورد ذكره في قائمة سفارة الملكية ، ومن هذا نستنتج أنه كان أول حاكم من طينة اعترف الوجه البحرى به كحاكم شرعى . ومن الجدير بالاهمية أن اسمه المكتوب على الأواني الحجرية قد أزيل مراراً بواسطة خلفه سمرخت ، وهذا بدوره قد أزيل اسمه أيضاً من قائمة سفارة . وكل ذلك يوحى بتزاع في الأسرة بين المتنافسين على الملك الذين قال واحد منهم تعصداً من الوجه القبلى ، بينما عصى الوجه البحرى الآخر . ومع ذلك فلا يبدو ما يدل على حدوث انقسام معين في وحدة القطرين خلال حكم عندج - إيب على أقل تقدير ، وذلك حيث توجد مقبرة ن ، إحداها لا يشك في أنها مقبرته وهى تقع في أيدوس بينما يحتمل أن الأخرى وهى

(١) Andjeb عندج إيب (وقد يقرأ هدج إيب) وبالإنجليزية Enezib

(٢) Merbapen

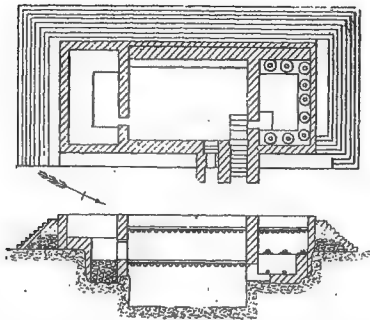
من عصره أيضاً كانت متواه في سقارة ، ومع هذا يلاحظ أن مقبرته في أيدوس هي أصغر وأقصر المباني في المجموعة كلها . وحتى مقبرة سقارة مع إبداع تصميمها وعمارتها فهي ولا شك أصغر من المقابر الأخرى من هذا الطراز في المنطقة . وتتكون مقبرة أيدوس من حفرة يكسوها بناء من اللبن وتقسم بواسطة جدار قاطع إلى حبرتين يمكن الوصول إليهما بواسطة درج ينحدر من الشرق إلى الغرفة الرئيسية (شكل ٤٢) وكان لحجرة الدفن



(شكل ٤٢) مسقط أعلى للمقبرة من (X) في أيدوس

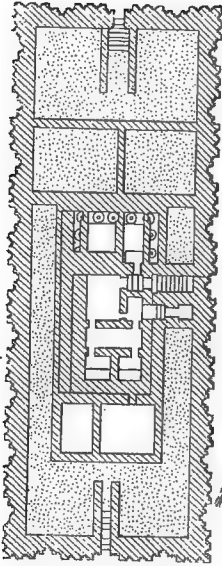
في الأصل أرضية وجدران وسقف من الخشب . وأطوالها الكلية ، بما في ذلك البناء العلوي كما تتخيله ١٦,٤ × ٩ متراً . ويحيط بالمبنى الرئيسي أربعة وستون مدقناً فقير البناء الضحايما من الخدم .

وتقدم إلينا مقبرة سقارة رقم ٢٠٢٨ (شكل ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) مظاهر معمارية هامة وشيقة لم تحفظها لنا حتى الآن أية مقابر أخرى من ذلك العصر . فالبناء يرجع تاريخه إلى « عندج - إيب » ومع أن اسم أحد الموظفين ويدعى « نبت كا Nebitka » قد وجد على اختتام سدادات الجرار

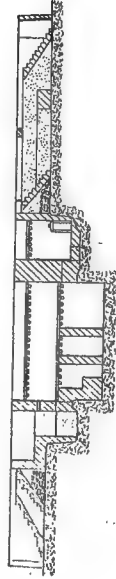


(شكل ٤٣) - مقطان أفقى ورأسى للمقبرة ٣٠٣٨ فى سقارة

وعلى أشياء أخرى ، إلا أنه يبدو محتملاً أن هذه المقبرة هى المكان الذى
دفن فيه الملك . وعندما كشف عنها فى بادىء الأمر ، ظهر أن البناء العلوى
للمقبرة يتبع التصميم الشائع لمنصة مستطيلة ، قد زين خارجها بدخلات
وخرجات ، ولكن مع موالاة الحفر ظهر مبنى هرم مدرج مخبأ بداخلها
(شكل ٤٣) . ولم يبق من البناء المدرج سوى جزء منخفض ربما استمر
بناؤه إلى أعلى مكوناً بذلك شكل هرم مدرج كامل . وقد اتضح أن مقبرة
الملكة حرتيت فى سقارة كانت ذات مظهر مشابه ، مع أنها من نوع أكثر
قدماً ، وقد أخذ هذا المظهر شكل رابية ترابية مستطيلة يكسوها بناء من
الطين ، ومن الواضح أن هذا طراز سابق لدخل المبنى العدى لمقبرة هندج
إيب . وقد وجدت بقايا هذه الركة الترابية فى مقابر أخرى بسقارة ،
وهناك ما يدعو إلى أن نفترض أن المبنى التالى ، وهو البناء اللبنى المدرج ،
كان مظهرأ عادياً لمعظم المقابر الكبيرة فى الشمال فى النصف الأخير من



(شكل ٤٤) مسقط أفقى للتصميم الثانى للقبعة ٣٠٣٨ فى سفارة



(شكل ٤٥) مسقط رأسى للتصميم الثانى للقبعة ٣٠٣٨ فى سفارة

الأمرة . وسبب إخفاء تصميم داخل آخر ذى فكرة مختلفة جذرياً يدعو إلى الحيرة ، ولكننى أظن أن التفسير المحتمل لذلك هو أنه يمثل الارتباط بين تصميمات المباني العلوية في الوجهين القبلى والبحرى فى مبنى واحد ، وهو الركعة الترابية أو المبنى المدرج فى الجنوب والمبنى المستطيل ذو الدخلات والخراجات فى الشمال . والتأثير الممكن لهذه الظاهرة المعمارية الغريبة على تطور تصميم الحرم سوف تكون مدار بحث فى الفصل الرابع (انظر أدناه) . وهناك ظاهرة غير عادية أخرى لمقبرة عندج لإيب الشمالية وهى الدرج ذو المدخلين أحدهما لحجرات الدفن السفلية ، والآخر إلى حجرة فوقها وإلى مخزن حبوب به صوامع قع مبنية .

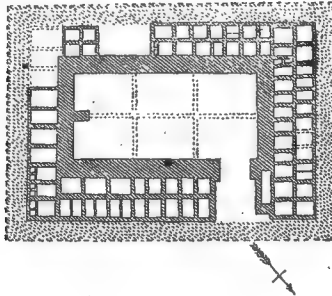
والأطوال الكلية لهذه المقبرة هى $١٣,٨٥ \times ٣٧$ متراً .

سمرخت Semerkhet (شكل ٤٦)

يرى بعض المؤرخين أن سمرخت كان مقتصباً لذلك ، ولكن إلى جانب نحوه لاسم سلفه على الآوانى الحجرية وإغفال اسمه من قائمة سقارة لا يوجد برهان قوى على ذلك . ومع ذلك يظهر أن حكمه لم يكن مستقراً ، لأن اسم سمنبتاح Semonptah الذى كان يأتى بعد كل من لقبى نيتى ونيسويت يمكن بالتأكيد أن يكون سمبسيس Somempses الذى ذكره مانيتون والذى ورد عنه أنه خلال حكم هذا الملك كانت توجد نذر شؤم عديدة وكرانة عظيمة . ويقدر مانيتون مدة حكمه بثمانى عشرة سنة ، ولكن قطعة الحجر الموجودة بالقاهرة من حجر بالرمو تعطيه تسع سنوات فقط . وإلى وقت قريب كان يعتقد أن لوحة صخرية كبيرة فى وادى المغارة بشبه جزيرة سيناء سجلت انتصارات سمرخت فى غزوة بتلك المنطقة . ولكن الاسم الموجود على هذا الأثر أمكن معرفته الآن باسم « سمخخت » وهو أحد

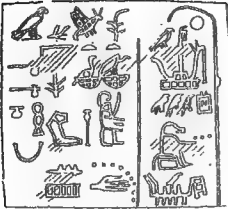


الملوك الأوائل في الأسرة الثالثة، وقد كشف عن هرمه النافس في سقارة سنة ١٩٥٤. ولم يعثر حتى الآن على أى أثر للملك سمرخت في سقارة، ولكن مقبرته في أييدوس (شكل ٤٧) تفوق بكثير مقبرة سلفه عندج - لرب وبتكون من حجرة دفن سفلية كسيت جدرانها بالبن ويمكن دخولها من الشرق بواسطة عر منحد. وكانت المقبرة في الأصل ذات سقف خشبي، يحيط بها مدافن منتظمة جيدة البناء للخدم الملكي، ويظهر أنه من المحتمل أن البناء العلوى كان يغطى حجرة الدفن كما يغطى المدافن الجانبية وتبلغ أطواله الكلية نحو ٢٩,٢ × ٢٠,٨ متراً. وقد

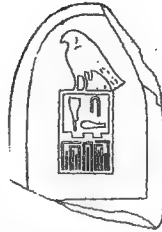


(شكل ٤٧) مسقط أفقى للمقبرة U في أييدوس

عثر في المقبرة على لوحة كبيرة من حجر الكوارتز الأسود وعليها اسم الملك يعسوه لقب الصقر (شكل ٤٨). ويظهر على بعض بطاقات عاجية وجدت في مقبرة سمرخت اسم المدعو - حنوكا Henoka^(١) الذى يمكن اعتباره موظفاً كبيراً خلال حكم هذا الملك وحكم خلفه.



(شكل ٤٩) بطاقة سمرخت العاجية
من أيديوس وعليها اسم حنوكا^(١)



(شكل ٤٨) لوحة الملك سمرخت
من أيديوس

قاعا (شكل ٥٠)

بعد أن حكم سمرخت البلاد لفترة قصيرة خلفه على ما يبدو الملك قاعا ،



(شكل ٥٠)
الاسم الموريسي
للك قاعا

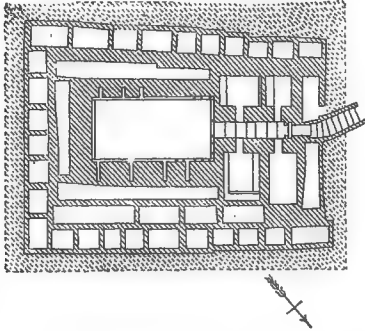
الذي قد يكون الملك كبهو Kebhu الذي ورد اسمه في قائمة أيديوس . ويعطى مانتون اسم بيئخيس Bieneches لآخر ملك في الأسرة ، كما يذكر أنه حكم مدة ستة وعشرين عاماً ، ولكن لا يوجد دليل ما يؤكد انطباق هذا الاسم على الملك قاعا ، ومن الممكن أن المؤرخ المصري قد أخطأ على الأقل في الاسم مع جواز أن يكون ما قرره عن مدة حكمه صحيحاً .

ويلاحظ بوضوح تقدماً في التصميم المعماري خلال هذه الفترة وعدا مقبرته الجنوية أو التذكارية في أيديوس ، فقد كشف حديثاً في سفارة حل

(١) وجد المترجم خلال حفائره في طره الاسمنت لوحة طابية مائلة لهذا اللوطف مع اختلاف يميز في طريقة كتابة المواد التي كانت تشير إليها البطاقة .

أربع مقابر كبيرة من عهد الملك قاتا ، إحداها وهى رقم ٣٥٠٥ هى بكل تأكيد المكان الذى دُفن فيه فعلا .

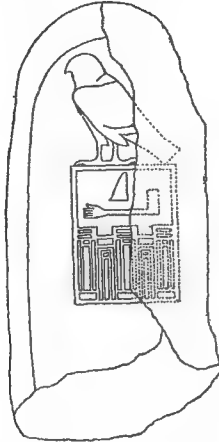
ومقبرة الملك فى أيدوس (شكل ٥١) أكثر إتقاناً فى البناء من مقبرة



(شكل ٥١) مستط أفتى للقبرة ك (Q) فى أيدوس

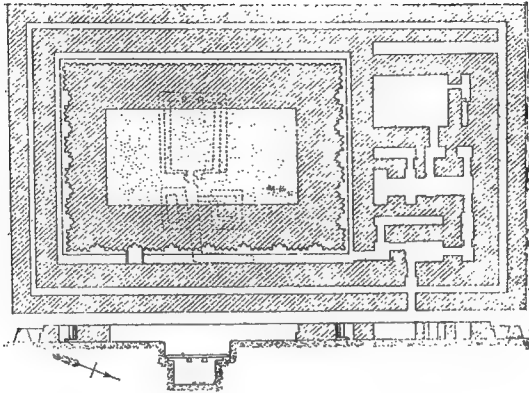
سلفه، والتصميم العام لمبناها العلوى يضاهى بدقة مبنى نفس العصر فى سقارة .
وهى تتكون من حفرة مستطيلة عميقة ذات مدخل على شكل درج ينحدر من الشمال الغربى ، وعلى كلا جانبي الدرج يوجد مخزنان . وقد كان لهذه المخازن ولحجرة الدفن سقف خشبي . ويحيط بالمبنى الأوسط مخازن أكثر وكذلك أربعة وعشرون مدفناً للخدم ، لها جميعاً أرضية على مستوى أعلى من حجرة الدفن والدرج . وهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن البناء العلوى المهدم كان يغطى فى الأصل المقبرة كلها ، وكانت أطواله تبلغ ٣٠ × ٢٣ متراً .
وإلى جانب اختتام سدادات الجرار أو البطاقات فإن المقبرة يمكن تمييزها بما كشف فيها من بقايا لوحين فى الجانب الشرقى للبناء وكلاهما يحمل

الاسم الحوريى للبلك قاعا (شكل ٥٢) . ولكن هذه المقبرة الهائلة فى



(شكل ٥٢) لوحة قاعا من أيدوس

أيدوس تعتبر صغيرة وقيمة المنظر إذا قورنت بالمقبرة الكبيرة المكتشفة عام ١٩٥٤ فى سقارة (شكل ٥٣) . فيتكون المبنى من بناء علوى مستطيل من اللبن مزين من الخارج بالدخلات والخرجات العادية التى وجد عليها طبقة جصية (فرسكو) متعددة الألوان فى حالة جيدة من الحفظ ، وتشكون من رسوم هندسية تقلد زخارف الحصىر ، ويوصل عمر منحدر إلى حجرة الدفن المنحوتة فى الصخر وإلى مخازن تخطيطها يشبه تخطيط مقبرة أيدوس ويحيط بالبناء العلوى ذى الدخلات والخرجات سور سميك ، بداخله على الجانب الشمالى من المقبرة معبد جنازى يتكون من تيه من الحجرات والدهاليز يشبه المعابد الجنائزية للأهرامات . وفى الحقيقة يمكن اعتبار



(شكل ٥٣) مستطان أفقي ورأسى للمقبرة ٣٥٠٥ في سقارة

هذا المبنى العظيم الذي يرجع تاريخه إلى نهاية الأسرة الأولى الطراز السابق لمباني الأهرامات وملحقاتها في العصور التالية . وتبلغ الأطوال الكلية لهذه المقبرة ٣٧×٦٥ متراً . ولم يثر حول المقبرة على مدافن إضافية للضحايا من الخدم ، ويظهر أنه في عهد قاعا تلاشت هذه العادة الهمجية في الشمال الأكثر تحضراً . صحيح أن هناك مقبرة جانبية على قدر من الحجم قد كشف عنها في الجانب الجنوبي من مدخل المقبرة ، ولكنها كانت مقبرة نيل ، من المحتمل أن يكون قد أعطى شرف الدفن داخل حرم القبر الملكي . وقد وجدت لوحة هذا النيل المسمى «مركا» ، لوحة ٣٠ (١) على مقبرة من المقبرة . وهذا الأثر المكتوب بالإضافة إلى لوحة أخرى أصغر لنيل يدعى «سأف» ، وجدت في مقبرة أيديرس وبينان بما عليهما من قائمة طويلة

بالألقاب ، إنه في زمن قاعا كانت الكتابة قد تطورت في العصر العتيق .
وفضلا عن ذلك فإن ألقاب هذين النبيلين كانت تقريباً بالشكل التقليدى
الذى أصبح القاعدة في العصور التى تلت ذلك .

وهناك مقبرة أخرى كبيرة في سقارة وهى رقم ٣٥٠٠ ترجع أيضاً
إلى عصر الملك قاعا ، وربما كانت تخص زوجته أو تخص شخصية أخرى
هامة من الأسرة الملكية . وقد وجدت أربع مقابر جانبية ملاصقة لهذه
المقبرة ، ومع أنها جميعاً تدل على أن دفناتها كانت في نفس الوقت إلا أنها
لا توحى بالتمضية الجماعية التى رافقت دفن الملوك في أيدوس .

وفيما عدا مركا وصابف ، فإن النبيل حنوكا استمر يتقلد وظيفته خلال
حكم الملك قاعا .

موجز الأسرة الأولى

الاسم	الطائر المسماة	المراجع
حورعما	المقبرة رقم ب ١٩ في أييدوس للمقبرة ٣٣٥٧ في سقارة مقبرة نيت حنب في نقادة	(Petrie, Royal Tombs) (Emery, Hor - sha) (De Morgan, Recherches sur les origines de l'Egypte, Tambon royal de Nagadeh Borchardt, Das Grab des Menes. Zeitschrift für Agyptische Sprache, 36)
دجر	المقبرة O في أييدوس المقبرة ٣٤٧١ في سقارة المقبرة ٢١٨٥ في سقارة	(Petrie, Royal Tombs) (Emery, Great Tombs, 1) (Quibell, Archaic Mastabas)
مریت — نيت	المقبرة Y في أييدوس المقبرة ٣٠٠٣ في سقارة سياج مدافن الضحايا	(Petrie, Royal Tombs) (Emery, Great Tombs 11) (Petrie, Tombs of the Courtiers)
أودجى (النبيان)	المقبرة Z في أييدوس المقبرة ٣٥٠٤ في سقارة مقبرة الجيزة	(Petrie, Royal Tombs) (Petrie, Great Tombs 11) (Petrie, Gizeh and Rifeh)
أوديو	المقبرة T في أييدوس المقبرة ٣٠٣٥ في سقارة المقبرة ٣٠٣٦ في سقارة المقبرة ٣٥٠٦ في سقارة	(Petrie, Royal Tombs) (Emery, Tomb of Hemake) (Emery, Great Tombs I) (Emery, Great Tombs 11)
عندج — إيب	المقبرة ٣٠٣٨ في سقارة المقبرة S في أييدوس	(Emery, Great Tombs 1) (Petrie, Royal Tombs)

المراجع	القبور المعاصرة	الاسم
(Petrie, Royal Tombs)	القبور U لى أيدوس	سموخت
(Petrie, Royal Tombs)	القبور Q لى أيدوس	ثاما
(Emery Great Tombs III)	القبور ٣٥٠٥ لى سقارة	
(Emery, Great Tombs III)	القبور ٣٥٠٥ لى سقارة	

الأسرة الثانية

حطب سخموى (شكل ٥٤) Hotepsekhemui

لأنعرف سبب سقوط الأسرة الأولى كما أن الفرق بين البيتين المالكيين غير واضح. ويذكر ما نيترون أن كليهما كانا أصلاً من طينة، ولكن مقارنهم الجنوبية — باستثناء مقبرتي خا سخموى وبر لب سن — إن كان لهماين



(شكل ٥٤) الاسم الحوريسى الملك حطب سخموى

المقبرتين وجود، لم يمر عليها بعد في المنطقة، وهي بالتأكيد لا تشكل جزءاً من مجموعة أيدوس في أم الجعاب. وعلى ذلك نستنتج أن ما ذكره مانيتون عن تغيير في الأسرة إنما يستند إلى أساس ثابت. وهو يخبرنا بأن الأسرة تكونت من تسعة حكام حكموا جميعاً مدة ٣٠٢ سنة. وقد ثبت بناءً على أسانيد أثرية نظام تعاقب الاربعة الأول من هؤلاء الملوك ولكن بعد ذلك أصبح تسلسلهم أو التعرف عليهم غير مؤكد. وكان الاسم الحوريسى لمؤسس الأسرة هو حطب — سخموى، الذى يمكن أن يكون بوزاو Buzaw الذى ورد في قوائم الملوك وكذلك بوذوس Boëthos في عرف مانيتون. ويظهر اسمه «حطب سخموى» مع اسماء اثنين من خلفائه المباشرين على تمثال من الجرانيت وجد في منف، وقد ظن البعض كنتيجة للعثور على إناء من الطران في الجيزة أن ترتيب الأسماء على التمثال ليس من الضروري أن يكون مطابقاً للتاريخ، ولكن هذا الظن ليس محتملاً؛ ويبدو أن تسلسل

الاسماء كان صحيحاً . ولم يعثر على مقبرته بعد ، ولكن استناداً إلى الكشف في دهليز سفلى بالقرب من هرم أوناس في سقارة عن اختتام سدادات جرار تحمل اسمه يجعل من المحتمل أن مقبرته كانت تقع في هذه المنطقة . ويذكر ما نيتون أنه خلال حكمه الذي استمر ثمانية وثلاثين عاماً ، حدث تشقق في الأرض في بربسطة وأن كثيرين قد هلكوا . ونظراً لأن في هذه المنطقة من الدلتا دلائل جيولوجية تشير إلى اضطرابات بركانية ، فمن المحتمل أن يكون لهذه القصة أساس من الحقيقة .

رع - نب (شكل ٥٥)

خلف حتب سخموى على عرش البلاد الملك رع - نب وهو يسمى كا كاو Kakaw في قوائم الملوك وكايخوس Kaichos طبقاً لما نيتون ، ولم يكشف عن مقبرته بعد ، غير أنه كخلفه حتب سخموى ، قد وجد اسمه على



(شكل ٥٥) الاسم الحويسي لرع - نب

اختتام طينية عثر عليها في الدهاليز السفلية بالقرب من هرم أوناس في سقارة حتى أن مقبرته يحتمل وجودها في مكان ما في هذه المنطقة . وعلى مقربة من طريق تجارى قديم يوصل للواحات الغربية خلف أرمنت ، وجد اسم رع - نب مكتوباً على صخر بطريقة خشنة (شكل ٥٦) .

ويذكر ما نيتون أنه خلال حكم رع - نب ، استقرت عبادة عجل أيس



(شكل ٥٦) اسم منقوش على الصخر لرع - نب

في منف ، وعجل منيفيس Memovis في هيلوبوليس ، والماعز في منديس .
ولكننا كما لاحظنا نرى أن عبادة أيبس كانت قائمة منذ الأسرة الأولى .
ويذكر المؤرخ المصري أن رع - نب حكم تسعة وثلاثين عاماً .

نترن Neteren أو نترمو Netermu . (شكل ٥٧)

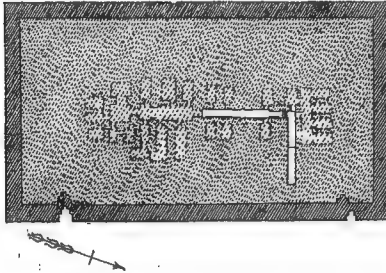
يمكننا التعرف على نترن ، خليفة رع - نب ، باسم بانتيرو Banentiru الذي ورد في قوائم الملوك وأيضاً باسم بينوثرس Binothris الذي ذكره مائنتون ، والذي يقول عنه ، أنه حكم مدة سبعة وأربعين عاماً . وقد حفظ لنا حجر بالرمو أخباره فيما بين السنة السادسة والسنة العشرين من حكمه ، ولكنها ليست أخباراً عظيمة الأهمية ، لأنها تنصب أساساً على الأعياد الدينية وأرقام الإحصائيات العادية ، ومع ذلك فإنها تسجل إنشاء قصر أومين آخر هام يسمى حور - رن Hor-ron في السنة السابعة ، ومما هو أكثر أهمية وجود إشارة في هذه الأخبار إلى حرب أهلية في السنة الثالثة عشرة ، وفيها ما يشير أيضاً إلى تدمير شمرا Shemra وها Ha (بيت الشمال) . وتذكر الأخبار أيضاً ، جرى أيبس ، في السنة التاسعة والسنة الخامسة عشرة .



(شكل ٥٧) الاسم الحوري للملك نترن

وبناءً على ماذكرة مانيتون ، فإنه قد تقرر خلال حكم تزن أن المرأة قد تستطيع أن تتولى العرش ، وهذا يثير سؤالاً هاماً بالنسبة إلى ما يحيرنا عن مركز الملكة مريت — نيت في الأسرة السابقة .

والظاهر أنه لم يثر بعد على مقبرة تزن ، ولكنه قد عثر على أخنام أو ان تحمل اسمه بالقرب من الجيزة ، ولابد من أن نوضح أنه من الممكن أن تكون هذه المقبرة هي المكان الذي دفن فيه رغم وجود ثلاث مقابر كبيرة في سقارة لا يشك في أنها من عصره ، وإحداها رقم ٢٣٠٢ (شكل ٥٨) ، وهي ذات



(شكل ٥٨) مسقط أفقي للمقبرة ٢٣٠٢ في سقارة

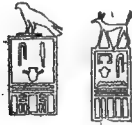
حجم كبير يمكن اعتبارها المكان الذي وجد فيه راحته الأبدية . ومع ذلك فقد عثر داخل المبنى العلوي لهذه المقبرة على بقايا إناء حجري يحمل اسم أمير يدعى راوبن Rapon والبناء العلوي الذي تبلغ أطواله ٥٨ × ٦٤ و ٢٢ متراً قد بنى باللبن وحشيت جدرانه بالطمي الأسود — والبناء الخارجي للمقبرة بسيط وله مشكاة عند الطرف الشمالي والجنوبي من الجانب الشرق وينحدر الدرج من الشرق ويميل زاوية قائمة ناحية الجنوب مؤدياً عبر سداة إلى سلسلة معقدة من الحجرات السفلية المنحوتة في الصخر وقد وجدت

سدادات جراد تحمل اسم تزن على مقربة من هرم أوناس في سقارة . وفي مجموعة ميخايليدس في القاهرة تمثال صغير جالس من المرمز يمزى إلى تزن ، وذلك بناء على نص مكتوب على العرش . وقد صور الملك لابساً التاج الأبيض ومرتباً بـ رداءه التقليدي الذي يلبس في احتفال عيد سد .

سخم — إيب (شكل ٥٩)

خلال حكم سخم — إيب ، الذي عرف في قائمة الملوك باسم وادج نس

Waznes ، كما عرف باسم تلاس Tlas ، عند



مانيتون ، قامت بـ وادج إحدى الثورات السياسية

والدينية ومع أننا لانستطيع التأكد من كنهها ،

إلا أنه يبدو محتملاً أن السكان الأصليين

لوادى النيل كانوا لا يزالون يحتلون مساحة

واسعة من البلاد حيث كانوا يعبدون ست

الملك الإله مصر قبل أن يدخلها أتباع حوريس .

ولم تعرف البواعث السياسية وراء عمليات

سخم — إيب ، ولكن في وقت ما خلال

(شكل ٥٩)

الاسم الحوري سي لسخم إيب

واسم بر — إيب من يعلوه

الإله ست

حكمه القصير ، الذي استمر سبعة عشر عاماً ، كما يذكر مانيتون ، يبدو أنه

قد تنازل عن ولائه للإله حوريس وعبد الإله ست وغير اسمه إلى بر إيب —

سن ، وكتب هذا الاسم في إطار « سرخ » ، يعلوه حيوان الإله ست بدلا

من الصقر الذي كان يعلو اسمه الأصلي « سخم — إيب » . وكما صنع إخناتون

في الأسرة الثامنة عشرة ، فإن الملك عا اسمه الأصلي من لوحته الجنائزية

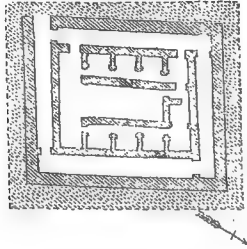
التي أقامها في مقبرته الجنوبية في أيدوس ووضع مكانه اسمه الذي حمله من

جديد يعلوه رمز الإله ست . وقد وجد اسم سخم — إيب مع لقب « قاهر

البلاد الجنوبية » ، على قطع إناء حجرى عثر عليه في الهرم المدرج . ولكن

عدا ذلك لم يثر على أية بقايا تمزى إليه في سقارة . والأثر الوحيد الذي

تركة يتمثل في مقبرة أيدوس (شكل ٦٠) . وما يشير الدهشة أن هذه المقبرة تقع ضمن مجموعة المقابر الملكية للأسرة السالفة . وقد تحطم تماماً بناء المقبرة



(شكل ٦٠)

مسقط أفقى للمقبرة ب (P) في أيدوس

العلوى ولم يبق منها سوى حفرة البناء السفلى التي كسيت باللبن ، والتي تحوى حجرة الدفن الوسطى تحيط بها بعض المخازن ، ومبناها هزيل ، لا يمكن حتى مع بنائها العلوى أن تتعدى بكثير الأطوال الكلية ٢١ × ١٨,٥ مقرا . ومن المظاهر غير العادية أن المدخل في الشرق ، وقد عثر بالقرب منه على اللوحتين اللتين تغيرت نقوشهما . ولم يعثر الآن على أى دليل يمكن أن يعطل ارتداد حاكم من أسرة من طينة إلى عبادة الإله ست ، ولكن وجهة نظر سخم إيب برليب سن موضحة تماما في تغييره لاسمه على لوحته الجنائزية في أيدوس وصور ست فوق اسم برليب سن على أختام كثيرة ولا سيما على ختم لآحد نبلائه عثر عليه في مقبرته . ويقرأ هذا الختم : إله أومبوس ، Omboe مركز قبائل ست في الوجه القبلى ، إلى ابنه برليب سن . ومن المحتمل أن أتباع ست الذين كانوا يمثلون أهل البلاد قد زادت قوتهم إلى درجة كبيرة خلال تداعى قوة طينة ، حتى أن الملك رأى أن من السياسة الحكيمة أن يعبد إلههم ، ومن

المؤكد أن خليفته خع سخموى أيضاً وكان أكثر منه قوة ، رأى أن من الضروري أن يضع فوق اسمه صورة ست مع حوريس على قدم المساواة. ومعلوماتنا عن هذا العصر ضئيلة ، لدرجة يستحيل معها أن نفترض أية نظرية تتفق مع كل الحقائق ، ولكن يبدو من المؤكد تماماً أنه خلال حكم سخم إيب قد حدثت ثورة ما دينية أضعفت من حكم قوة ملوك طيبة . وهناك حقيقة أثرية ربما تفسر حوادث هذا العصر المضطرب حقاً ، ألا وهي حرق المقابر الملكية . وقد وجدت كل المقابر الملكية تقريباً في كل من أيديوس ونقادة وسقارة مدمرة تماماً بواسطة الحريق ، وقد ظن بادى الأمر أن ذلك الحريق كان من عمل اللصوص الأوائل الذين أرادوا محو كل ما يشير إلى انتهاكهم حرمة هذه المقابر . ولكن الحفائر الحديثة في سقارة قد قدمت دليلاً يوعز بقوة إلى أن هذا الإحراق كان عمداً وبموافقة رسمية ، وربما نلّس هنا أهداف الجاهات المخارية التي كانت تسعى وراء تدمير الحياة الأخرى لخصومهم من جنس الأسرات . وقد حدث بلا شك تدمير هذه المقابر بواسطة الإحراق في تاريخ مبكر ، وربما لا نكون مخطئين إذا عزّوناه إلى هذه الفترة التي ساد فيها الغليان الديني والسياسي بشكل واضح. ومهما كانت آثار هذه التغييرات على ولاته الديني فإن روح سخم إيب حظيت بالاحترام والتبجيل ، وظلت عبادته قائمة في منف مع عبادة خليفته المباشر سندجى Sondji ، وذلك حتى الأسرة الرابعة .

سندجى :

لا توجد آثار من عصر سندجى ، الذى خلف على ما يبدو سخم إيب في حكم البلاد ، ومن المحتمل أنه كان يسمى « سيثينيس » Sethenes في عرف ما نيتون الذى يذكر أنه حكم مدة واحد وأربعين عاماً . ومع قلة المعلومات حالياً عن هذا الملك ، إلا أنه من الواضح أنه فيما عدا حكمه الطويل كان حاكماً هماماً ونحن نعرف أن عبادته ظلت قائمة حتى عصر متأخر ،

وفي الواقع فإن تمثالا برنزيا يحمل اسمه قد نحت في الأسرة العشرين بعد موته بأكثر من ألفي سنة .

نتركا Neterka :

كان مانيتون يسمى سادس ملوك الأسرة وخايريس Chaires ، وقد حكم سبعة عشرة عاماً . ولم يشر على وثائق تاريخية يمكن أدعى إليه من العصر الذي عاش فيه ، ولكن تبعاً لما ذكر في قائمة الملوك بتورين ، فإن سندجى قد خلفه على عرش البلاد شخص يدعى «نتركا Neterka» ومع أن قائمتى سفارة وأيدوس لم تذكر شيئاً عنه ، إلا أنه من الجائز أن نتركا وخايريس كانا اسمين لشخص واحد .

نفر كارع Neferkara :

وطبق ما أوردته مانيتون فإن خايريس قد خلفه في الحكم نفر خيريس Nephcheres الذي يمكن التعرف عليه تحت اسم نفر كارع كما ورد في قائمة ملوك أيدوس . ويخبرنا المؤرخ المصرى أنه حكم مدة خمس وعشرين سنة ، وأنه توجد أسطورة تقول إنه خلال حكمه فاض النيل فصلا مدة أحد عشر يوماً .

خع سخم Kha-Sekhem :

تنتهى الأسرة الثانية بملكين : خع سخم وخع سخموى ، ويعتقد بعض المؤرخين أن كليهما شخص واحد . وأن الاسم الأول كان نسخة سابقة للاسم الآخر الذى اتخذهُ الملك عندما أعاد توحيد مصر بعد الحروب الدينية التى قسمت الدولة ، ومعنى الاسم الثانى « ظهور القوتين » بدلاً من « ظهور القوة » ، ولكن بالموازنة يظهر أن خع سخم وخع سخموى كانا شخصين مختلفين . ومن المحتمل أنهما التامن والتاسع من ملوك الأسرة .



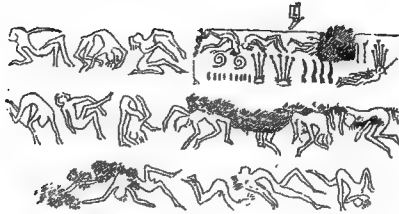
(شكل ٦١)

الاسم الحوري لى خع سخم

وعلى ذلك يمكن التعرف على خع سخم تحت اسم
«حوزيفاء» Huzofa (نفر كاسكر Neferka-Sokar)
الذى ورد ذكره فى قائمتى ملوك سقارة وتورين،
وكذلك تحت اسم «سيزوخريس» (Sesochres)
الذى ذكره مانيتون، والذى يقول عنه أنه حكم
مدة ثمانية واربعين عاماً . ومع ان اسم الملك قد
أغفل فى جدول أيدوس ، إلا أننا قلنا فشك فى
أن سلطانه امتد على مصر كلها ، وذلك لأنه قد
عثر من هذا العصر فى مدينة هيراكونبوليس على

آثار له . ولكن يبدو أن حكمه كان عاصفاً ، وتسجل الآثار الوحيدة التى
عثر عليها من هذا العصر ، ألا وهى تمثالان ولوحة وثلاث أوان حجرية ،
الحرب التى شنها الملك وكذلك انتصاره . ومع أنه يجوز أن بعض هذه
الحوادث قد حدثت فيما وراء حدود مصر ، إلا أنها تشير إلى فترة من
الاضطراب الداخلى . والتمثالان أحدهما من الشبست (لوحة ٣١) والآخر
من الحجر الجيرى ، ولهما قيمة فنية لا تقدر ، وهما يمثلان خع سخم جالسا
على عرشه وفوق رأسه تاج الوجه القبلى مرتدياً الرداء الذى يلبس فى احتفال
عيد سد . وحول قاعدة التمثالين صف من صور آدمية ملتوية ، تمثل أعداء
مذبوحين ، وعلى مقدمة التمثال كتب «الأعداء الشماليون وهدم ٧٢٠٩»
(شكل ٦٢) . وقد روى أن الأعداء الشماليين كانوا من الليبيين الذين
اغاروا على الدلتا ، ولكن يجب ألا نفعل إمكان حدوث ثورة داخلية فى
الوجه البحرى .

وقد وصلنا برهان آخر على ثورة الشمال فى شكل نص مدون على
ثلاثة أوان حجرية كتب عليها «عام مقاتلة العدو الشمال ، داخل مدينة
نخب ؛ والإلهة نخب على شكل نسر تقبض على دائرة ختم بداخله كلمة



(شكل ٦٢) نقوش وكتابة على قاعدة تمثال خع سخم

« بش Besh ، (ثوار) ، بينما يرتكز خلفها الآخر على رمز وحدة مصر أمام خع سخم (شكل ٦٣) .

وهذه القطعة من اللوحة تبين جزءاً من أسير رابع على منصة تنتهي برأس شخص أجنبي على رأسه قوس (شكل ٦٤) . وفي أسفل هذا المنظر



(شكل ٦٤) جزء من لوحة خع سخم



(شكل ٦٣) نقوش وكتابة للملك خع سخم على إناه حجري

يرى اسم خع سخم مع عبارة « تخضع البلاد الأجنبية » ، وجدير بالملاحظة أن الملك يرى على تماثيله لابساً التاج الأبيض فقط ، وهو تاج الوجه القبلي ، وعلى الأواني الحجرية يرى الصقر الذي يعلو اسمه يلبس أيضاً التاج الأبيض . ويلوح لنا من هذا الدليل المحدود والمقبول أن خع سخم كان أحد حكام الأسرة الطينية في مصر العليا ، وهي الأسرة التي وجدت وحدة وادى النيل بعد الحروب الدينية بين أتباع حوريس وأتباع ست ، التي يحتمل أنها قسمت الدولة منذ حكم الملك برليب من . ومجرد اسمه « ظهور القوة » لا يخلو من مغزى ، كما أن عدم وجود أى أثر له في هذا الوقت بسقارة يوحي بشدة بأن حكمه كان مركزاً في أقصى الجنوب ، إذ لم يكشف بعد حتى في أيدوس أى أثر له . لجميع الآثار السابق وصفها قد وجدت في هيراكوبوليس وهي العاصمة الأصلية لأتباع حورس . ولم يعثر بعد على مقبرته ومن المحتمل أنه دفن في هذه المنطقة .

وإذا سلمنا بأن خع سخم هو الملك الثامن في عرف مانيتون ، فلا بد أنه كان قائداً ، إذ أن هذا المؤرخ قد ذكر أن طول سيزونخريس Sathorches كان خمسة أذرع وثلاثة كفوف ، مما يجعل منه عملاقاً طوله نحو مترين ونصف المتر .

خع سخموى (شكل ٦٥)



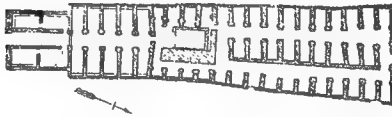
تولى العرش بعد خع سخم الملك خع سخموى ، الذى ربما كان أبرز ملك في هذه الأسرة ، ففي عهده استقرت وحدة الدولة نهائياً ، ووضع أساس التوسع المذهل وتطور القوة الفرعونية في الأسرة الثالثة وحيث أن ترتيبه التاسع بين ملوك الأسرة الثانية فإنه يمكن اعتباره

(شكل ٦٥) حوريس وست
يعتليان اسم خع سخموى

الملك جاجاى Zazai الذى ورد اسمه فى القوائم الملكية، وأيضاً الملك خينيريس Cheneres تبعاً لماينتون الذى نسب إليه مدة حكم بلغت ثلاثين عاماً .

وقد انتهى النزاع بين أتباع حوريس وأتباع ست وبعد أن كان اسمه منع سخموى «ظهور القوتين» أضيف إلى اسمه الكامل «الإلهان فى سلام» ونجد دائماً على الكثير من أختام سدادات الجرار أن صورة الصقر وحيوان الإله ست قد اعتلت اسم الملك ، وهذه إشارة أخرى إلى أن نوعاً من الوحدة القائمة على المساواة قد تحقق .

وتعتبر المقبرة الجنوبية لحج سخموى فى أيدوس مقبرة غربية البناء لا تتشابه أبداً مع المقابر الأخرى بالمنطقة، أو حتى مع أى مباني من هذا العصر فى شقارة (شكل ٦٦) . وللأسف لا يوجد لها الآن أى مبنى علوى،



(شكل ٦٦) مسقط أفقى للمقبرة ف (٧) فى أيدوس

شأنها فى ذلك شأن المقابر الأخرى فى أيدوس وليس لدينا سوى المبنى السفلى الذى يدل على ضخامة حجم المبنى . ويبلغ طوله ٦٨,٩٧ متراً ، ويتراوح عرضه بين ١٧,٦ و ١٠,٤٦ متراً . وهو يتكون من ثلاثة أقسام، فيوجد فى الناحية الشمالية باب يؤدى إلى ثلاثة صفوف تضم ثلاثة وثلاثين محزناً للقرابين والآثاث الجنائزى، ثم حجرة دفن مبنية بالحجر يحف بهامنى كل من الجانبين أربع حجرات، وعلى ذلك عشرة مخازن أخرى، خمسة منها على

كل من جانبي الردهة الموصلة إلى الباب الجنوبي الذي يحف به أربع حجرات أخرى .

وكان المعتقد في وقت ما أن حجرة النفن هي أقدم مثل العمارة الحجرية القائمة . ولكن حفائر سقارة وحلوان بينت أن البناء بالحجر كان معروفاً في الأسرة الأولى * . ومن المظاهر الغريبة في مقبرة خع سخموى عدم انتظامها والخطأ في تخطيطها ، ومع أن حجمها كان هائلاً ، إلا أنه من الصعب أن نعتقد أن سنين قليلة فقط تفصلها عن هرم زوسر المدرج الرائع البناء في سقارة . وعلاوة على بقايا الأثاث الجنائزي من أوان حجرية ونحاسية وأدوات من الطران والنحاس والآواني الفخارية والسلال ، فقد وجدنا في المقبرة صولجان الملك المصنوع من الذهب وحجر السارد الأحمر .

وقد شيد خع سخموى أيضاً مبان عديدة في هيرا كونبوليس ، حيث عثر على كتف باب من الجرانيت عليه الاسم المزدوج للملك يعلوه الصقر وحيوان ست . ومن المحتمل أن مصدر هذا الحجر هو معبد تهدم منذ زمن بعيد وصناعة الحجر متقدمة وتشبه بوضوح ، في طرازها وفي طريقة التنفيذ ، أعمال النحت في أوائل الأسرة الثالثة ، حتى أنه يمكن أن يؤرخ هذا الحجر بلا جدال بنهاية الأسرة الثانية . وعلى ظهر الكسوف يوجد نص أزيل جزء منه يصور الملك والإلهة سشات في احتفال يبدو أنه كان لوضع أساس . ويبدو أن خع سخموى شأنه في ذلك شأن أسلافه من أوائل الأسرة الأولى . قد طبق الخطط السياسية بزواجه من إحدى أميرات الشمال ، ويبدو أن زوجته كانت الملكة في معات حب ، وهي طبقاً لحتم إناه من أيديوس ، كانت تحمل لقب الأم الملكية (شكل ٦٧) وقد عُدت في الصور التالية بصفتها جدة ملوك الأسرة الثالثة .

* وجد العرب أيضاً في الحفائر التي أحرق عليها في منطقة طرة الاسمنت مقابر مبنية بالحجر من الأسرة الأولى .



(شكل ٦٧) خاتم إناه للملكة ني - معات - حتب

وبموت الملك خع-نخموى انتهى العصر العتيق في تاريخ مصر ، ووقعت
الماسكتان المتحدتان على أبواب عصر بناء الأهرام المجيد .

(موجز الأسرة الثانية)

الاسم	الآثار الهامة	المراجع
حطب سخموى	مقبرة غير معروفة أختام جرل من سفارة	(Barsanti Fouilles autour de la Pyramide d'Ounas- Annales du service des Antiquités. Vol. III p. 182)
رع - لب	مقبرة غير معروفة	
قرن	مقبرة غير معروفة	
سخم إيب - برباب من	مقبرة راوبن رقم ٢٣٠٢ في سفارة P. في أيدوس	(Quibell, Archaic Mastabas) (Petrie, Royal Tombs)
سندجى	لا توجد آثار من عصره	
نتركا	لا توجد آثار من عصره	
نفركارع	لا توجد آثار من عصره	
خع سخم	مقبرة غير معروفة	
خع سخموى	تأثيل ولوحة من هيراكونبوليس المقبرة V في أيدوس بقايا ممد من هيراكونبوليس	(Quibell, Hierakonpolis) (Petrie, Royal Tombs) (Quibell, Hierakonpolis)

الفصل الثاني

الدولة

(الملكية)

يظهر أن الملكية في عصر الأسرتين الأولى والثانية كانت لها كل الخصائص التي تجعلنا نربطها بالعصور المتأخرة . فقد كانت فردية . وكان الملك إلها متجسداً ، ومع أنه كانت توجد طبيعة الحال فواصل بين الطبقات ، إلا أنه لم يكن هناك طوائف ، لأن الجميع كانوا متساويين أمام « الإله الطيب » الذي اكتسب شخصية حوريس الإله . ونحن على استطاعة أن نتقبل السؤال الذي كتبه الوزير رنخمار سنة ١٥٠٠ ق م وإجابته عليه كصورة لما كان يحدث في عصر الإمبراطورية ، وما كان جارياً في العصر العتيق ولو أن الفارق بينهما يقدر بنحو ١٧٠٠ سنة ؛ نقد كتب رنخمار يقول :

« ما ذا يكون ملك الوجه القبلي والوجه البحري ؟ إنه إله يتصرف في حياة البشر ، وهو أب وأم لجميع الناس ، وحيد في ذاته لا مثيل له . » .

ولكنها كانت ملكية مزدوجة ، وما إن قامت الوحدة حتى برزت فردية الدولتين في الشمال والجنوب أكثر مما كانت في العصور المتأخرة . وفي الحقيقة يظهر لنا أنه كانت هناك إدارتان منفصلتان ، لا يوحداهما سوى العرش . وحتى تلك الاحتفالات المنمقة التي كان الملك يقيمها عند اعتلائه العرش « عيد سد » أو العيد الثلاثيني والدفن الأخير ، كانت تكرر مرتين مع شعارها المختلفة من عمارة وعادات الوجهين القبلي والبحري .

وكانت شعارات الملكية في القطرين في المبدأ منفصلة ، وكان الملوك يظهرهم أحياناً وهم يرتدون تاج الجنوب الأبيض (Hedjet) وأحياناً أخرى تاج الشمال الأحمر (Deshert) ولكن سرعان

ما صنع أحد المصممين من نسيم الدهر منذ أمد بعيد التاج المزدوج (سختي Sekhemti) ، وهو توحيد للتاجين . ومنذ ذلك الحين كان الملك يظهر لايساً تاج مصر بأجمعها ما عدا بعض الحالات التي كانت تدعو إلى ارتداء هذا التاج او ذلك مما كان يتميز به كل قطر من قبل (شكل ٦٨) .



(شكل ٦٨) التاج المصرى المزدوج والأحمر والأبيض

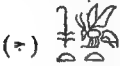
كانت الألقاب الملكية طوال تاريخ مصر تبين بوضوح أن فكرة وجود شعبين مختلفين ومنفصلين توحدت تحت حكم ملك واحد ، قد ظلت سائدة بدقة ، وفي الحقيقة حتى أيامنا هذه ، فإن التمييز بين الوجهين لا يزال باقياً في أمور عديدة. ويظهر أن ألقاب الملك في العصر العتيق كانت قاصرة على ثلاثة من الأسماء الكبيرة ، أى الألقاب ، التي ظلت مستعملة بصفة عامة حتى في العصور التالية . فأولاً لدينا الاسم الحوريسى الذى كان يكتب داخل إطار مستطيل يمثل واجهة البيت الكبير أو القصر الملكى بما له من دخلات وخرجات ، ولدينا صورة طبق الأصل من هذا في المباني العلوية للمقابر الشبالية في سقارة شكل ٦٩ (١) . ويعطو هذا الإطار المستطيل ، الذى يسمى سرخ (Serekh) صقر حوريس إله الأسرات لكل مصر ، وكان يعرف بأنه إله الشمس أو الابن المنتقم لأوزوريس رمز الملك الميت ، . والاسم الحوريسى هذا قد كانت له الأسبقية على كل الأسماء الأخرى عندما



(أ)



(ب)



(ج)

كان يذكر على الآثار، وهو أداة تعريفنا الوحيدة المؤكدة التي وجدت على الأشياء التي كشف عنها في أيديوس وسقارة .

وليس هناك برهان على تحول حالات الولاء أصدق من وجود حيوان الإله على « سرخ الملك ، براب سن (Perabson) في الأسيرة الثانية ، إذ أننا نجد هنا أن الملك عند ذكر اسمه الأول ، قد عرف نفسه بالإله الذي يعتقد أنه الإله الأسى في مصر كلها .

(شكل ٦٩)

أما الاسم الثاني الذي يأتي بعد هذا فهو اسم (نبتى) الذى سمي كذلك بسبب قراءة اللقب المبدئى « السيدتان ، مثلتان فى صورتى رجمة وهى إلهة الوجه القبلى (نختبت Nekkhet) ، والحية وهى إلهة الوجه البحرى « واوجيت » (شكل ٦٩ ب) وهذا اللقب الذى كان يذكر فوق الاسم الثانى للملك يرمز إلى الحقيقة التى تفيد أن الملك هو القوة التى تربط الملكية المزدوجة بوادى النيل . واسم « نبتى » يعود بنا على الأقل إلى أيام الملك (حورعحا) فى بداية الأسرة الأولى .

والاسم الثالث الذى كان يعطى للملك عند تسلمه السلطة كان مسبوقاً بلقب (نيسويت Nisu-bit) (شكل ٦٩ ج) ، ويعنى « ذلك الذى ينشئ إلى نبات الخلفاء والنحلة » . ونحن لا زلنا لا نعلم المعنى الصحيح لهاتين العلامتين ، ولكن مما لا شك فيه أن نبات الخلفاء كان يمثل الوجه القبلى ، كما كانت النحلة تمثل الوجه البحرى ، وبذلك يتضح أن اللقب يمثل « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » . وقد ظهر اسم نيسو - بيت ، أول ما ظهر على القطع

الآثرية التي يرجع تاريخها إلى الملك «أوديمو» ، ولكن ذلك لا يعنى بالضرورة أنه لم يكن مستعملاً في العصر السابق .

وتلك الأسماء المختلفة التي كان يحملها كل ملك قد سببت حيرة في التعرف عليهم ، ذلك لأنه حينما يسود أحم الأسماء وهو الاسم الحوري في على الآثار التي من هذا العصر نجد أن قوائم الملوك في الأسرة التاسعة عشرة تستعمل أسماء نيسوبيت لهؤلاء الملوك ، ويظهر أن ما نيتون قد استعمل الصيغة اليونانية لأسماهم المسبوقة إما بالقب « نيسوبيت » أو « نيتي » . وأحياناً فقط نجد على الآثار المعاصرة ألقاب « حوريس » و « نيتي » و « نيسوبيت » بالتبادل .

فالملك كان كائناً منفرداً ، ولكنه عندما يمثل حوريس « الصقر الحى » كان حلقة الوصل بين الآلهة والناس ، وعلى هذا الأساس لا يجب أن يعجز سواء من طول العمر أو من اعتلال الصحة . وقد يكون من المحتمل أنه في العصور الأولى ، عندما كانت تظهر على الملك علامات تئبى بضعف قواه ، كان يعزل بالموت . ولكن هذا كان في العصور السحيقة الغامضة ، وما أن بدأ عصر الوحدة بين القطرين حتى حل محل السكنة محل هذه العادة البربرية ، وبدلاً من استبداله بالعنف كانت تجد قوة الملك بواسطة الشعائر السرية في « عيد سد » . ومع أنه يبدو أن العبد قد اتخذ صيغة يوبيل لتأكيد سيادة الملك وتمسكه لأرض مصر ، إلا أنه من المؤكد أنه كان أكثر من مجرد إحياء ذكرى اعتلائه العرش . لقد كان هذا العيد تجديداً ضرورياً لشباب الملك ، إذ أن رخارح يذكر لنا أن الملك « إله يتصرف في حياة البشر » ، وعلى ذلك كانت الأمة جمعاء تهتم اهتماماً بالغاً بالاحتفال بهذه الطقوس الهامة . وأحياناً كان العيد ينام بعد ثلاثين سنة من استلام الملك السلطة ، ولكننا استناداً إلى البيانات الواردة على حجر بالرمو كان بعض ملوك العصر العتيق يكررون الاحتفال بهذا العيد ، وعلى فترات أقصر بكثير من هذه

المدة ، ومع أن معلوماتنا عن الاحتفال الفعلي لهذا العيد غير مؤكدة ، إلا أنه من المستطاع تفسير بعض مظاهره بوضوح معقول .

ولكى يحتفل بهذا العيد كانت تقام بعض المبانى التى تحتوى على قاعة هرش وقاعة الكسوة يغير الملك فيها رداءه وشعاراته طبقاً للطقوس المختلفة الخاصة بكل من الوجهين القبلى والبحرى . ولكن ساحة عيد سد ، حب سد ، كانت أم هذه المبانى ، حيث كانت توجد فى كل من جناحيها هياكل للألهة كل مقاطعة من مقاطعات الوجهين القبلى والبحرى* . وربما يبدو أن الملك وهو يرتدى بالتناوب شعارات كل من الوجهين القبلى والبحرى كان يجرى سابقاً تفرضه الطقوس حول مضمار يسمى « الحقل » ، فكان الملك يجرى حول حدود الحقل أربع مرات بصفته حاكماً للجنوب ، وأربع مرات أخرى بصفته حاكماً للشمال . ومن المحتمل أن « الحقل » كان يمثل مصر وأن السباق ربما كان يرمز إلى استحقاقه تملك البلاد ، وأيضاً باعتباره منبع الخصوبة الوطنى ، فإن عمله هذا يجعل البلاد خصبة مثمرة .

وكانت هناك احتفالات أخرى تجرى خلال « عيد سد » ، مثل تقديم الطاعة للملك بواسطة « الأفراد العظام فى الوجهين القبلى والبحرى » ، ولكن المعنى الصحيح لعملية تجديد شباب الملك ليس مفهوماً للآن ، وكذلك أيضاً معنى « حب سد » ، وهو اسم العيد . ولكن مما لا شك فيه أن الأبحاث التى ستستجد فى هذا الموضوع الخيوى ستكشف لنا فى النهاية الأساس الأصيل لفكرة الملكية عند قدماء المصريين .

* مثل هذه المبانى لا تزال بقاياها قائمة فى مجموعة مباني زوسر فى سقارة إلى العمال من المدخل الشرقى .

(الحكومة)

كانت الحكومة الفعلية للدولة الموحدة حكومة مزدوجة ، مثلها في ذلك مثل الملكية ، إذ نجد أن كلاً من شعبي الوجهين القبلي والبحري كان له مركزه الخاص بالإدارة، والذي يتكون من مقر حاكم الاختام ومن بيت المال ، يضمهما ما يسمى في الجنوب « البيت الأبيض » ، وفي الشمال « البيت الأحمر » .

وقد اختفت أو كادت صفة الازدواج في حكومة مصر في الأزمنة التالية، ولكن بما لا شك فيه أنها كانت قائمة خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية . وربما يبدو من البيانات الضئيلة التي لدينا أنه كان هناك وزيران أحدهما لمصر العليا والآخر لمصر السفلى ، ومن الواضح أن المظهر الوحيد لوحدة الإدارتين كان يتمثل في شخص الملك .

وكان كل من الوجهين ينقسم إلى مقاطعات تمثل المساحات التي كانت تشغلها القبائل في العصر السابق للأسرات . وربما كان حكام هذه المقاطعات في تلك الفترة المبكرة خلفاء لزعماء القبائل السابقين ، وكانوا الأفراد العظام ، الذين كانوا يسدون النصح للملك .

ونستطيع أن ندرك من اختتام سدادات الجرار ومن البطاقات المكتوبة أنه كانت هناك إدارة مالية فعالة ، ورقابة مركزية للرى ، ونظام قضائي منظم ، وكل ما يدل على وجود جهاز إداري حازم . ونجد أيضاً لقب « كاتم الأسرار » الذي ربما يوحى بما يسمى « إدارة الأمن » ، وهي ضرورة من ضروريات العصر الحديث .

(الطبقات الاجتماعية)

نستطيع ، بما حصلنا عليه من معلومات عن عادات الدفن في مصر ، أن نميز ثلاث طبقات اجتماعية محددة خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية . وهذه الطبقات تتكون من الأشراف ، وموظفي الدولة وصناعها

والفلاحين ، وأما كن دفن كل طبقة من طبقات السكان الرئيسية هذه بمثل
تمثيلاً جلياً في المناطق المحيطة بعاصمة الملك مينا (الحائط الأبيض) منف .
فهناك خلف مدينةسقارة ما يبدو أنه مقابر الملوك وأفراد الأسرة المالكة
وعظماء الأشراف ، مزودة بكل أثاث وضروريات الحياة العظيمة التحضر
المترفة ، وهناك عبر النهر في حلوان مقابر الطبقة الثانية من الأشراف
وطبقات الموظفين، وهي مشابهة في تصميمها، ومع أنها أضر منها بكثير، وأثاثها
أقل ثراء ، إلا أنها تدل على مستوى رفيع في الحياة . أما طبقة الصناع فيحصرو
وجودها حتى الآن في المدافن الجانبية التي تحيط بمقابر الملوك وعظماء
الأشراف . ولسكننا نجد هنا أيضاً مبانى جنائزية، تعتبر نسخاً مصغرة لمقابر
سادتهم ، وقد أحيطت بجثث أصحابها ، المدفونة بعناية في توابيت ، بالماكل
والمشرب واللوازم الضرورية لحرفهم المختلفة .

ونكتفي بهذا القدر عن حكماء الدولة وأتباعهم المباشرين وخدمهم، ويبدو
أنهم جميعاً يشكلون طبقة منفصلة تحكم وتدبر أمور عامة الشعب الذين ربما
كونوا خلال الأسرة الأولى جنساً منفصلاً بذاته ، لكونهم خلفاء السكان
الأصليين لو أدى النيل قبل دخول جنس الأسرات . ومقابرهم التي نجدها
منتشرة في مصر تعتبر تطوراً طبعياً لمدافن الجزء الأخير من عصر ما قبل
الأسرات . وباستثناء المقابر الأكبر حجماً لعظماء القرية ، فإن المدافن
تتكون من حفرة قليلة العمق وبناء علوى مستدير، وأثاث جنائزى متواضع،
وبمقارنتها بمدافن من ضحى بهم من خدم وصناع الأسرات تعتبر فقيرة ،
وتحمل كل علامات طبقة الفلاحين من الشعب . ولكن حوالى نهاية
الأسرة الثانية ظهرت بوضوح نتائج الامتزاج الجنسي، فهناك ما يدل على أن
الطبقات الدنيا في أجزاء كثيرة من مصر طبقت عادات الدفن الخاصة
بسادتها، وهي حقيقة يحتمل جداً أنها انعكست على كل مظاهر حياتهم
اليومية .

ورغم أن الوثائق التي لدينا حتى الآن ضئيلة جداً، بحيث لا تسمح بتحليل أكيد عن النظام الاجتماعي في تلك الفترة السحيقة، إلا أن الدلائل العامة تشير إلى أنها كانت ذات طبيعة إقطاعية أساساً، بمعنى أن الشعب الكبير الذي يعمل بفلاحة الأرض والذي انحدر عن السكان الأصليين، كان يخدم طبقة من الأشراف أرفع جنساً وحضارة. وكانت جمهرة الشعب تعمل في الزراعة ولكن جزءاً من السكان كان لا بد وأن يعمل في المناجم والمحاجر، وبناء مشروعات الري، والخدمة الحربية، وبناء المعابد والقصور والمقابر. ويبدو أنهم بالتدريج قد ازدادوا صلابة بحكامهم نتيجة لنمو طبقة من الصناع كانوا قرب نهاية العصر العتيق سلباً في صرح الجنسين. وهذه الطبقة تطورت في العصور التالية إلى الطبقة الوسطى ذات الأهمية الكبيرة، وذات الأصالة والقوة في دولة الفراعنة.

الفصل الثالث

الجهاز الحربي

لقد شكل العسكريون في ذلك الوقت العتيق قطاعاً هاماً في المجتمع ، ومع أنهم كانوا يجنّدون في الواقع من كل المستويات الاجتماعية للجنس السائد ، إلا أنه لا يمكن اعتبارهم طبقة مميزة . ومن المحتمل أن الجنود كانوا جميعاً من خلفاء الجنس السائد ، وذلك في سنوات التكوين التي تلت الوحدة ، ولكن يبدو أنه بازدياد الهدوء في البلاد ، ورسوخ قدم القوة الفرعونية امتد التجنيد للجيش إلى جمهرة السكان الأصليين

تنظيم الجيش

كان الجيش في العصور التالية يسير وفق النظام الإقطاعي ، ولدينا من الأسباب ما يبرر أن هذا النظام قد نشأ في العصر العتيق . إذ بامتداد سلطة ملوك طينة الأوائل أرغم زعماء القبائل المهزومة على تزويد سيدهم بالجنود ، ويبدو أن نظام الجيش نشأ هكذا وأن كل مقاطعة كانت ترسل شبانها لخدمة الملك تحت علمها القبلي الخاص ، ومن المحتمل أنه كان يقودها أحد رجال المقاطعة . وليس لدينا أية معلومات عن وجود طبقة من الضباط أو حتى عن نظام القيادة ، ولكن من المؤكد أنه كانت هناك قيادة عليا ، للجيوش منفصلة عن قيادة الملك .

العتاد الحربي

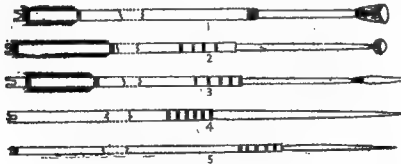
إذا لحصنا المهمات الحربية التي كان موهباً بها هؤلاء المحاربون القديما ، نجد أنهم على ما يبدو لم يكن لديهم زرد الجسم ، أو حتى كانوا يحملون

دروعاً . وكانت أسلحتهم تتكون من القوس والسهم والحرية والبلطة والدبوس والخنجر . وكان القوس صغيراً لا يزيد طوله عن ثلاثة أقدام ، وكانت صورته على النحو المبين في شكل (٧٠) . وللأسف لم نعثر حتى



(شكل ٧٠) محاربون من العصر العتيق على لوحة الصياد

الآن على الأقواس الخشبية لهذا العصر ، ونحن نعتمد في معلوماتنا على التصميم المشتق من الصور التي رسمت على لوحات للفترة الأخيرة من العصر السابق للأمرات . ولكن فيما يختص بالسهم فإننا أسعد حظاً ، إذ قد عثر على مئات منها من أنواع مختلفة في بقايا جماب جلدية وجدت في إحدى المقابر الكبيرة في سقارة . ويؤكد حجم هذه السهام وخفتها أن القوس كان صغير الحجم نسبياً ، ولم يكن من المستطاع أبداً تقدير حجمه إلا بصورته على اللوحات . ويبدو أن الخمسة أنواع من السهام الموضحة في شكل (٧١) كانت شائعة الاستعمال . ويبلغ متوسط طول النوع الأول



(شكل ٧١) أنواع السهام

١٩ر٥ بوصة، وله رأس هلالية من حجر صلب مثبتة في الجزء العلوى من عصا قصيرة من العاج، كانت تغمر في قصبة مجوفة من البوص لها في أسفلها

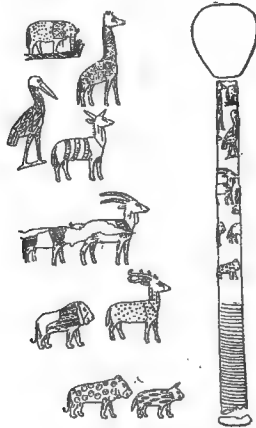
ريشتان مثبتتان بالصمغ والخيط ، كما أن لها حزاً على شكل الرقم ٧ لحبل القوس . وهذا النوع من السهام برأسه الهلالية ظل مستعملاً في مصر حتى الأمرة الثامنة عشرة والنوع الثاني له أيضاً رأس هلالية من حجر صلب ، ولكنه أصغر حجماً ويلتصق بعصا عاجية مغمدة في قصبة بوص لها أيضاً ريشتان من أسفل ولكن حز حبل القوس مقطوع على شكل مربع ، بدلا من شكل ٧ الخاص بالنوع السابق . أما النوع الثالث ، فله رأس مدببة صنعت من فك سمكة صغيرة ملتصق في عصا من العاج ، والقصبة البوص لها في نهايتها ريش وقطع مربع الشكل . ويختلف النوعان الرابع والخامس فقط في حجم الرأس ، وهي عبارة عن طرف مستو من العاج قد غمد مباشرة في قصبة البوص وسهام هذين النوعين لا يوجد بهما ريش ، لأنه كان يعتبر ضرورياً فقط في السهام ذات الرموس السيئة التثبيت في الأنواع الأول والثاني والثالث . ومن المهم أن نلاحظ أن سهام النوعين الثالث والخامس كانت لها رموس مطلية باللون الأحمر ، إما للدلالة على أنها كانت مسممة ، أو لأنها تشير إلى قوة بحرية خفية تجذب السهم إلى دم الهدف . وهناك نوع من السهام أثقل وزناً وله اتصال من الطران ، وهذا النوع من السهام كان أيضاً شائعاً جداً .

وقد عثر على حراب لاطعن لها اتصال من النحاس والعاج ، ولكن يحتمل أن هذه الحراب كانت تمثل أسلحة من النوع الرفيع الخاصة بالآشراف . ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن الحراب ذات الاتصال الطرانية كانت شائعة الاستعمال بواسطة الضباط والجنود .

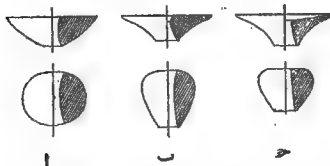
ومن الأسلحة الشائعة الاستعمال أيضاً بلطة الحرب ذات المقبض القصير ، سواءً بسلحها الحجري أو النحاسي . وكانت رأس البلطة تربط في المقبض بواسطة سيور من الجلد . وهناك لوحة يرجع تاريخها إلى أواخر العصر السابق للأسرات ، وتظهر عليها صورة محارب يحمل بلطة حرب ذات

رأس مزدوجة ، ولكن لم يعثر فعلاً على سلاح من هذا النوع .

ومن الأسلحة المفضلة: الصولجان ذو المقبض القصير والرأس الحجرية التي كانت على نوعين . أما أكثر أنواع الرموس شيوعاً فقد كان الشكل السكثري ، كما هو موضح في الشكلين ٧٢ ، ٧٣ ب ، وكذلك في المناظر التي



(شكل ٧٢) المقبض الذهبي لصولجان من النوبة له رأس حجرية



(شكل ٧٣) أنواع الرموس الحجرية للصولجان

يحتفل فيها الملك بقتل عدوه المهزوم ، إذ تراه دائماً ودون أى تغيير قد أمسك بهذا السلاح (شكل ٤) . أما رموس الصولجانات العظيمة المستعملة في الاحتفالات ، وذات الشكل السكثري والتي كان يحضر عليها مناظر لها أهمية تاريخية فكانت تحفظ في المعابد . ومن الأصح أن النوع الثاني من الصولجانات وهو الممين في شكل ١٧٣ ، كان سلاحاً خفيفاً ربما كان مقبضه قصيراً وكان يستعمل في المعارك الطاحنة .

وكانت للخناجر نصال من الطران أو النحاس ومقابض من الخشب أو العظم أو العاج ، وكان هذا السلاح يحمل في الحزام .

الاستحكامات

ليست لدينا بالطبع أية شواهد عن الطريقة التي كان هؤلاء المحاربون القدماء يحاربون بها . وعما إذا كانوا يقتحمون المعارك في وحدات منظمة ، أم يندفعون إليها كالغوغاء وراء قائدهم المختار . ولكن إذا ما تدبرنا الأمر في ضوء الرسوم التفصيلية لألويتهم القبلية ، وبيان الأسلحة التي يحملها المحاربون على لوحة العيد (اللوحة ١ ب) ظهر لنا أن جيوش هؤلاء الملوك الأوائل كانت تتكون من جماعات محاربة ذات تنظيم شديد ، تنقسم إلى رماة السهام وضاربي الرماح إلى غير ذلك ، وكان يقودهم بكفاءة قواد من قبائلهم . وتلك القوات ذات التنظيم الرائع كان في استطاعتها وحدها أن تكتسح المدن الحصينة ، التي نعم أنها كانت موجودة ، حيث أن الرسوم التقليدية على اللوحات والبطاقات تبين الصقر الرمزي وحلفاءه يحيطون الجدران الحصينة لمسكرات الأعداء أو بلدانهم (شكل ٧٤) .

ويمكننا إدراك المقصود من هذه الأسوار المحصنة إذا غصنا ما نسميه قلاع (خع مخموى) وبرلبي سن في أيديوس . ولا تزال هذه الأسوار الهائلة موضع جدال ، ولكن مما لا شك فيه أن تاريخها يرجع إلى النصف

الثاني من الأسرة الثامنة. وقد وصفت تارة بأنها حصون، وتارة بأنها معابد



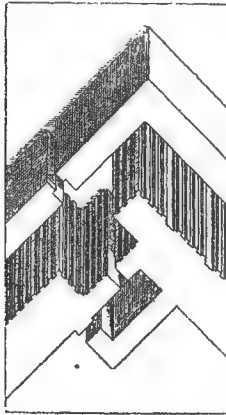
(شكل ٧٤) جزء من لوحة بين مسكرات أو ممدناً لكل منها سياج محصن

الوادى المرتبطة بالمقابر الملكية المجاورة، ولكنى أعتبر من المحتمل أنها كانت أسواراً تحيط بالمسكن الجنوبي للملك. ومع أنه لا يمكن وصفها كقلع، فإن لها مظاهر لا يتطرق إليها الشك تتم عن العمارة الحربية. فالمبنى المنسوب إلى خع سخموى مستطيل الشكل، وذلك استناداً إلى ما تشير إليه اختتام الجرار، وله جدران مزدوجة يفصلها عن بعضها البعض عر. وتبلغ الأطوال الكلية لهذا المبنى ٤٦٥ قدماً من الشمال إلى الجنوب و ٢٥٠ قدماً من الشرق إلى الغرب وسمك الجدار الخارجى ١١ قدماً، كما أن سمك الجدار الداخلى الرئيسى ١٨ قدماً، وربما يبلغ ارتفاعها على الأقل ٣٠ قدماً. وكان لهذا المبنى أربع بوابات، الرئسيتان منها تقعان فى الركنين الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى، وقد صممتا وفق المبادئ الحربية السليمة للدفاع (شكل ٧٥، ٧٦). أما مبنى بر - إيب - سن فهو أقل حجماً، وله جدار واحد فقط، ولكن البوابة الباقية منه توضح نفس مبدأ الدفاع السابق. وهناك مبنى عظيم آخر من نفس الطراز فى هيراكونبوليس، ومع أننا

لم نوفق لمعرفة تاريخه المحدد ، إلا أنه يبدو أن هذا المبنى يرجع أيضاً إلى
العصر العتيق .



(شكل ٧٥) مسقط أفق لبوابات حصنة



(شكل ٧٦) منظر اكسونومتري لبوابة حصنة

الفصل الرابع

الديانة

الالهة

أن معلوماتنا عن الديانة في مصر في العصر العتيق تحددها بالضرورة قلة الوثائق المكتوبة ، غير أنه مع تقدم أعمال البحث العلمى ، أمكننا التعرف على آلهة أكثر وأكثر ، من عرفوا بعد ذلك معرفة تامة في العصور التالية ، بأنهم كانوا موضع عبادة المصريين في أقدم الأزمنة .

كانت هناك قبل توحيد القطرين عدة طقوس دينية لا يرتبط أحدها بالآخر ، وتعتبر عملية بحتة ، انفرد كل منها بعبادة إله القبيلة . وكان تطور هذه الطقوس جزءاً من تطور مصر السيامى ، وحين اتحدت مناطق القبائل في إمارات وأخيراً في مملكتين منفصلتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب ، نشأت الديانة التي ربطت بين آلهة القبائل . فلم تبطل عبادة إله القبيلة المهزومة ، بل كان إلهها يضم إلى معبود القائد المنتصر ، الذى كان يحمل محل سلفه المهزوم كابن للإله .

وفي العصور التالية أصبحت آلهة القبائل آلهة للمحافظات ، ينظم الملك حقوقها ، كما يطلب حمايتها أسوة بما كان يفعله أى زعيم نسيه الدهر في عصر ما قبل التاريخ .

وعندما توحيد القطران كانت قبائل الجنس الحاكم في الشمال والجنوب تتخذ إله السماء حورس^(١) معبوداً أعظم ، وكان يرمز إليه بالصقر ، بينما يبدو أن سلالة عامة الشعب اتخذوا من الإله ست معبوداً أساسياً ، وفي

(١) حوريس هو التعريف اليونانى للاسم المصرى حور وأحر وينطق بالثلاث الحديثة

حورس .

الازمنة الأولى كان أتباع ست يمثلون قطاعاً قوياً من سكان وادي النيل ، ويقطنون منطقة واسعة في الصعيد مركزها أمبوس^(١) (في محافظة قنا) . وقد كانوا من القوة بحيث أن إلههم ست أصبح في وقت ما نداً لحورس ، بل وفي إحدى الفقرات خلال الأسرة الثانية حل ست محل حورس كعبود ملكي . ونجد صدى العراك بين أتباع حورس وأتباع ست في أساطير العصور التالية التي تروى انتصار الخير مثلاً في حورس على الشر مثلاً في ست .

أما عن أصل حورس فلا نعلم عنه شيئاً . ولكن من المؤكد أنه عندما تم توحيد القطرين عرف كإله سماوى . وكانت ديانة الملك الذي يمثل حورس المحي ديانة متعلقة بالسماء على نحو ما كانت عليه تماماً في العصور التالية . وكان من المعتقد عامة قبل الاكتشافات الحديثة في سقارة ، أن عبادة الشمس أصبحت ديانة الدولة الرسمية في عصر بناء الأهرام فقط ، ولكن وجود حفر للراكب الجنازية لمنطقة بالمقابر الكبيرة في سقارة ووجودها بعد ذلك مع مدافن الأشراف في حلوان ، يبين أن الاعتقاد الأول في أن المبت يجب أن يلحق بصحبة الآلهة في رحلتها عبر السماء ، كان اعتقاداً مقبولاً بصفة عامة منذ بداية الأسرة الأولى . وسرعان ما أدمجت الآلهة الأخرى للجنس الحاكم في دائرة عقيدة السماء ، وكان معظمها آلهة محلية وقلبية الأصل ، بينما ظلت جماهير الشعب خلفاء السكان الأصليين ، الذين كانوا في السنوات الأولى من الحكم الملكي المزدوج يشكلون جماعة من جنس منفصل تماماً ، تدين بالولاء لآلهة أجدادهم القبلية وعلى رأسهم جميعاً إله ست . وكلما ازداد اندماج هذين الجنسين الرئيسيين الواحد منهما بالآخر بتأثير الاستقرار الذي نشأ عن حكم الأرضين الموحد ، امتزج الكثير من هذه الآلهة القديمة في عبادة الشمس وقد زالت عنها صفاتها الأصلية . ولكن ست لم يندمج وظل طوال عصور التاريخ المصري معبوداً قائماً بذاته . ولأسباب سياسية في العصر العتيق كانت عبادته ملتقى شعب ما قبل الأسرات

المنتشر في شتى أنحاء مصر . ولا يمكننا تجاهل وجوده إلا في فترات قصيرة معينة، وغالباً اظفر في سياسة ملائمة اعتبر تجسيدا للشر، حتى أنه في العصور الإغريقية عرف باسم تيفون^(١) . أما في الفترة التي نعالجها ، فن المرجح أن ست كان معبوداً خبيراً لجزء كبير من سكان الوادي ، قبل أن يصبح جزءاً من عقيدة أوزوريس بزم من طويل سوف أتكلم عنها فيما بعد . وكان يمثل ست حيوان غير معروف يشبه الكلب ، له ذيل قائم نهايته مشقوفة ، وله رأس كراس حيوان آكل النمل بأذنين عاليتين طرفاهما مربعان .

وهكذا كان بهصر في عهد بداية الأسرات عقيدتان متباينتان متصارعتان ، لم يتم توحيدهما بصفة مؤقتة إلا في نهاية الأسرة الثانية لمأرب سياسي . ومع ذلك فقد كانت هناك ديانات أخرى رئيسية، وخاصة ديانة رع في عين شمس، ويتاح في منف ، وأوزوريس في أبوصير ، ومين في قفط . تلك الآلهة التي رغم أنها أدمجت تدريجياً في نوع من الوحدة النظرية، إلا أنها قد بقيت بعد الوحدة مباشرة مستقلة إلى حد بعيد . ولا شك أن المصريين لم يصلوا حقاً إلى وحدة دينية معقولة ، فلم ينجح علماء الدين قط طوال عصور التاريخ المصري في تشكيل ديانة جامعة لم تعقدها التناقضات

ويبدو أن عبادة إله الشمس رع نشأت في عين شمس ، التي ظلت مركزاً لعبادته حتى ظهور المسيحية . وعرف الإله رع بأنه الشمس نفسها وصور بقرها . وحينما أسس ملوك طينة العاصمة في منف ، ربما تأثروا بنفوذ كهنة عبادة الشمس ، التي يبدو أنها كانت راسخة قبل توحيد القطرين بكثير . وربما كانت النتيجة النهائية لذلك اندماج إله السماء حورس مع إله الشمس رع في معبود مزدوج واحد «رع حوراختي» كما أصبح الملك يمثل حورس على الأرض ابناً لرع . ولكن يبدو أن هذا

(١) Typhon إله الشر عند اليونان (المترجم)

الاندماج لم يحدث حتى الأسرة الثانية، رغم أن رمز الشمس المجنحة يظهر فوق الاسم الحوريسى الملك أودجى (الثعبان) على مشط وجد في أيدوس (شكل ١٤٦) .

وحينما اختار مينا موقعا لعاصمته في منطقة قرب رأس الدلتا، برز على الفور الإله المحلى للمنطقة المجاورة، ذلك هو الإله بتاح الذى أصبح خالق الكون طبقاً لعقيدة منف . وربما كان أصل هذا الإله رجلاً عبقرياً طواه النسيان لزمان بعيد، إذ أنه بخلاف مجموعة الآلهة المصرية لم يأخذ صورة حيوان، ولم تكن له صلة بواحد من هذه الحيوانات، وقد مثل في شكل رجل في لفائف موميا، لا يغطى رأسه سوى قلنسوة ضيقة ملاصقة لعظام الرأس .

وظلت عقيدة بتاح قوية طوال التاريخ المصرى، وخاصة بين الطبقات المثقفة، وهى بخلاف عقائد الآلهة الأخرى كانت تسودها الروحانية، وبلغت مستوى رفيعاً من التفكير الدينى أكثر من مستويات العقائد المصرية الأخرى التى غلبت عليها المادية .

ورغم أن بتاح لم يرد ذكره بصورة محددة فى أية وثيقة من ذلك العصر، إلا أنه من الممكن أن الشخص المسجى فى لفائف الموميا المحمول فى الموابك المصورة فى بطاقة الملك دجر (شكل ٢١) إنما هو صورة له . ويقول مانيتون إن مينا بنى معبداً لبتاح فى منف، كما أن سجلات الأمرتين الأولى والثانية فى حجر بالرمو تذكر عيد سكر له جبانة منف وشبيه بتاح . وإلى عهد قريب كنا نشاهد عما إذا كانت عبادة أوزوريس قد تطورت فى العصر العتيق حتى أظهرت كشوف حلوان لعلامة الجد التى تمثل هذا الإله وأنشودة الحزام لإيزيس زوجته (وترجعان إلى عهد الأمرتين الأولى والثانية) أن تلك العبادة التى كتب أن تكون أكثر العبادات تفضيلاً لدى شعب مصر خلال تاريخها الطويل، كانت قائمة فى ذلك العصر . ورغم ما لهذه العقيدة من عيزات عبادة الطبيعة، إلا أنها كانت فى الأصل تقديساً للملك

المتوفى، ويبدو أن أسطورة أوزوريس كانت صدى لأحداث طواها الدهر منذ امد بعيد، حدثت فعلاً، وربما كانت تلك الأحداث غير مرتبطة أصلاً، وترجع إلى عصور مختلفة اندجت فيما بعد في قصة أخلاقية للكفاح بين الخير والشر. إنها أسطورة اغتيال الملك الطيب أوزوريس بيد أخيه ست عم التار لمقتل أوزوريس وإعادة توطيد دعائم الحكم الصالح بواسطة ابنه حورس الذي أسس سلسلة من أنصاف الآلهة انحدر منهم الفراعنة. وكلها تشير إلى أحداث ربما كانت ذات صلة بمعارك ما قبل التاريخ، بين طوائف الأسرات الملكية وسكان وادى النيل الأصليين. ومن العيث أن نبدي رأياً ونحن على هذا القدر من المعلومات، ولكن العثور أخيراً في حلوان على دليل بوجود أوزوريس وإيزيس في الأسرة الأولى يوحى بأن علاقة حورس بالإله الملكى بأوزوريس رمز الملكية في الحياة الأخرى لم تكن أبداً نتيجة الحيل الدينية في العصور التالية، بل ربما كانت تستند إلى أساس تاريخي.

كان المركز الأصلي لعبادة أوزوريس في أبوصير^(١)، ولكنه لم يكن الإله الأول لذلك المكان فقد حل فيه محل معبود أقدم يدعى عندجتي، وأخذ منه بعض مظاهر شعاراته كريشتي التاج وهصا الراعى المعقوفة، وليس لدينا صورة لأوزوريس في العصر العتيق، ولكن صورة الملك أوديمو في بطاقة حماكا، التي تمثله جالساً على شكل مومياء (شكل ٣٧)، تعتبر سابقة دقيقة لمظهر الإله كما صورته الآثار في العصور التالية، حتى أن بعض المؤرخين اعتبرها خطأ صورة أوزوريس، بينما هي تمثل الملك في لباس الموتى في احتفال عيده الثلاثيني (عيد سد).

ونعرف أيضاً معبودات أخرى أقل أهمية عبدت في العصر العتيق، منها أنويدس إله الموتى وحامى الجبانة الذى كان شخصية هامة في أسطورة

(١) مركز سمود غربية (الفرج)

أوزوريس ، وقد مثل في العصور الأولى في شكل ذئب أو كلب قابح . وقد ذكرت أعياد أنوبيس في سجلات الأسرة الأولى في حجر بالرمو .

وكذلك أكر Aker الإله الكوني ، وكان يصور على هيئة مقدمتي أسد ملتصقتين كل منهما على عكس اتجاه الأخرى . وكان المقروض في أكر أن يحرس الأقبين ، وكانت الشمس تدخل في فم أحد الأسدين في المغرب وتخرج من فم الأسد الآخر في الفجر . وفي الأدب الديني في العصور التالية صور أكر على هيئة أسدين كامارين جالسين وقد ولي كل منهما ظهره للأخر ، ووصفا بأنهما يمثلان اليوم والغد .

وكان أبيس العجل المقدس على منف . وكانت عبادة الثور راسخة قبل الوحدة بكثير ، وربما قبل مجيء الجنس الذي تنتمي إليه الأسرات المالكة . فهذا الحيوان في نظر المصريين كان يرمز إلى القوة في الحرب وفي الإخصاب ؛ وعلى ذلك كان منبر مقر قوة خارقة ، وكان أبيس صورة للإله بتاح كاشفة له . ويذكر لنا المؤرخ الكلاسيكي أيليان (Aelian) أن مينا هو الذي أقام عبادة الثور . والأدلة الأثرية تشير إلى تأييد ذلك ، فلا شك أن تلك العبادة كانت قائمة إبان الأسرة الأولى ، لأن ملوك الأسرات الأولى غالباً ما صوروا على شكل ثيران ، وربما اعتنقوا عبادة الثور ، وهي عقيدة أهل الشمال ، لأسباب سياسية وبصفة خاصة عبادة أبيس ، التي ربما تكون قد نشأت قبل أول ملوك مصر المتحدة بزمان طويل .

هذا وقد ذكر أيضاً اسم حرشاف Harishef الكباش المقدس في سجلات الأسرة الأولى في حجر بالرمو . وكانت عبادة الكباش شائعة منذ الأسرة الأولى شأنها في ذلك شأن عبادة الثور وربما لنفس الأسباب .

وكانت حتحور إلهة السماء على شكل بقرة ، واعتبرت في العصور التالية ربة الحب والمرح ، وصورت على هيئة بقرة أو امرأة برأس بقرة .

أورأس آدمى له قرنا البقرة وأذناها . ولكن في عصور الأسرات الأولى يبدو أن حتحور كانت الصورة النسائية لحورس ، لا سيما وقد كان اسمها يعنى « بيت حورس » .

وكان « خنت امنتيو » ، إلهاً للوقى في أيدوس وتشبه بأوزوريس حتى أنه مثل في العصور التالية في صورة مماثلة له .

كما كانت مانيت أوحيت إلهة في شكل لبؤة لبلدى هيراكونبوليس وطينة . وقد مثلت في كثير من أختام الأسرة الأولى في شكل لبؤة جاثية يبرز من ظهرها ثلاثة أو أربعة قضبان منثنية ، كما تبدو بنفس هذه الصورة أمام مقصورتها من الأغصان المنضفورة التي كانت العلامة المخصصة للبيت الكبير ، أو قصر الملك في العصور التالية .

وذكرت أيضاً الإلهة « مغدت » ، وهى على شكل قطرة ، في وثائق الأسرة الأولى المدونة على حجر بالرمو . وصورت في العصور التالية في شكل امرأة مرتدية جلد القطرة وكانت تعتبر الواقية من عض الثعبان .

وكان الإله « مين » حارساً للسافرين وكانت مملكته الصحراء الشرقية كلها ، ومركز عبادته في أنخم وقط ، في الطرف الغربى من طريق وادى الحمامات التجارى العظيم . وكان يمثل على هيئة رجل انتصب جنسياً ، وقد لف جسمه في صورة مومياء بذراع مرفوعة تمسك سوطاً ، وعلى رأسه ريشتان طويلتان . وكان مين إلهاً وطنياً عريقاً في القدم ، وقد وجد له تماثيلان في قطع ، ربما يرجعان إلى عصر ما قبل الأسرات ، وربما يمكن اعتبارهما أقدم أثلة للتماثيل الكبيرة في وادى النيل .

وكانت الإلهة نخبت حارسة لهرakonبوليس (نخب - الكاب) ولما امتد نفوذ السكان بالغزو من هذا المركز أصبحت نخبت الإلهة الحارسة لمصر العليا . وفى العصور التالية غالباً ما صورت نخبت في شكل امرأة

برأس رخمة^(١) بتاج أبيض، أما في العصر العتيق فكانت تصور دائماً ببساطة في شكل رخمة، وكانت أولى السيدتين في الاسم الملكي نيتي «السيدتين»

وكانت «نيت»، إلهة لمدينة سايس^(٢) في الجانب الغربي من وسط الدلتا، وكان يرمز إليها بدرع وسهام متقاطعة إشارة إلى طبيعتها كإلهة للصيد والحرب. وقد استخدم هذا الرمز في فترة قديمة تسبق عصر توحيد القطرين. هذا وكانت عبادتها منتشرة في العصر العتيق (موضوع هذا الكتاب) فاعتبرت من الآلهة الرئيسية لمصر السفلى. وأقدم معبد لدينا عنه أدلة قاطعة من عصر الملك حورعخا (مينا) هو معبد هذه الإلهة. ولنا الحق أن نعتقد أن ملوك طيبة تزوجوا من أميرات الوجه البحري ليدعموا حقهم الشرعي في حكم الشمال، وثلاث من تلك الملكات الأوليات اللاتي وردت أسماؤهن إلينا يحملن اسم نيت كجزء من أسمائهن وهن: نيت حتب ومريت نيت وحر نيت.

هذا وقد ذكر الإله سد في وثائق الأسرة الأولى بحجر بالرمو، وكان إلهاً للبوتى، وربما اتخذ صورة «وبواوت Wepwawet»، فقد رسم في شكل ذئب واقف على أحد ألية الأقاليم.

وكانت شحات إلهة للدراسة، وقد اعتقد فيما بعد أنها تسجل على أوراق شجرة السماء كل أعمال وأعمار البشر والآلهة. وقد رمز إليها بنجم على صار يعلوه ما يبدو أنه قرنان في وضع مقلوب.

وترجع عبادة شحات إلى الأسرة الأولى، فقد كانت تسجل في حوليات حجر بالرمو أحداث (فرد الحبل) أو قياس رسم أرض معبد بمعرفة كاهن

(١) طائر العقاب ويحيى النسر «المترجم»

(٢) وهي ما الحجر مركز بليون هرية «المترجم»

الإلهة . ومن الجلى أن هذا التخطيط الرمزي للمباني المقدسة كان من أعمال كهنة الإلهة مشات .

ومن الواضح أن تحوت إله القمر وراعى العلوم كان يعبد منذ الأسرة الأولى ، فقد وجد فرد (Cynocephalus) وهو أحد حيواناته المقدسة إلى جانب طائر أبيس على أثرين من عهد أوديمو . كما يظهر لواؤه أيضاً على لوحات المعبر السابق للأسرات ، وعثر على هيكل له يرجع ولا شك إلى عصر الملك نمرمر .

وكانت وادجيت الإلهة الألفية لمدينة بوتو وحامية الوجه البحرى ، وكانت ثانية السيدتين فى اسم (ننى) الملكى .

ويبدو أن وبواوت (فاتح الطرق) كان فى الأصل إله حرب يقود الملك إلى المعركة ، ولكنه فى العصور التالية أصبح إلهاً للوقى ، وعلى هذا الاعتبار شبه بأنوبيس ، وصور فى شكل ذئب واقف على لواء مقطوعة .

والمعظم آلهة المعبر العتيق الذين عرفناهم اتخذوا صور حيوانات أورموزا ، ولكن فى الأسرة الثانية - حدث تطور أدى إلى تجسيد هذه الحيوانات آدمياً ، فلدينا أمثلة لحورم وست فى هيئة آدمية لكن لهما رأس طائر أو حيوان .

وخلاصة القول أن المادة العلية المحدودة التى لدينا فى الوقت الحاضر تبين أن كثيراً من الآلهة الذين عرفوا جيداً فى العصور التالية كانوا موجودين فعلاً فى عصر الأسرتين الأولى والثانية .

وربما اختلفت خصائصها ، وفى كثير من الحالات كانت عملية التمثيل فى مراحلها الأولى فقط . ولكن الخطوط الأساسية للمفاهيم الدينية فى العصر التالى كانت قد أدركت تماماً . وكانت العبادتان الكبيرتان لرع وأوزيريس فى تنافس متطور جنباً إلى جنب ، ورغم أن الديانة الثالثة الكبرى للإله ست كتب عليها أخيراً الامتهان ، إلا أنه كان لها فى ذلك

العصر المبكر أتباع عديدون . وكانت هناك جهود لتحرير الآراء الدينية عقلياً ، ولكن التناقضات وعدم الاستقرار الدينى الذى نلسه فى العصر العتيق لم ينمى بصورة نرضى عنها فى العصور التالية .

العبادة والطقوس

يعوزنا الدليل على طريقة العبادة والطقوس الدينية فى العصر العتيق ، غير أنه من المحتمل أنها كانت تختلف قليلاً عنها فى العصور التالية ، حين كان الكهنة يقومون بتأدية الطقوس الدينية للآلهة فى داخل الهيكل ، بينما كان عامة الشعب مبعدين عن هياكل المعبد الداخلية . وكان الناس يشاهدون تمثال الإله أورمزه عندما كان يحمل خارج المعبد فقط فى مواكب الأعياد . وإذا حكمتنا بناء هلى ماورد فى سجلات حجر بالمو كانت هناك أعياد كثيرة لعديد من الآلهة . ومن الواضح أن مراعاة الشئون الدينية كانت ذات أهمية فى حياة الأمة الحديثة العهد بالوحدة على نحو ما كانت عليه طوال مئات السنين من تاريخ مصر . ومعلوماتنا الضئيلة عن المعابد لاتعدو الرسوم البدائية على البطاقات وأختام سدادات الجرار ويبدو أن هذه المعابد كانت عبارة عن مبان خشبية بدائية نوعاً ما ، وقد كان المصريون على درجة من التحفظ حتى أنهم فى الوقت الذى استطاعوا فيه تشييد مثل تلك المباني الرائعة التصميم والتناسق ، كمقابر سقارة العظيمة التى أعدت لسكنى الآلهة ظلوا متمسكين بتصميمات أجدادهم القديمة . ولا شك أن تصميم هذه المباني الدينية القديمة ظل قائماً فى مباني الهياكل الداخلية لمعابد العصور التالية . ومن المحتمل أيضاً فى العصر العتيق أن البيت الخشبى للإله كما هو مبين فى لوحة حورصا الخشبية ، كان يمثل المقصورة الحقيقية للإلهة نبت ، وربما كان يحيط بها مبنى معبد ضخم .

عادات الدفن

كانت عادات الدفن والمعتقدات الدينية لدى الجنس الحاكم في مصر في العصر العتيق صورة في جوهرها مطابقة لعادات خلفائهم في العصور التالية، ولكن خلال الجزء الأكبر من العصر العتيق كانت جبهة الشعب من أبناء السكان الأصليين يتبعون تقاليد أسلافهم الجنازية ، ولم يطبقوا تقاليد الدفن الخاصة بحكامهم إلا قرب نهاية الأسرة الثانية ، لا سيما في مناطق العواصم الكبيرة حيث تطور الاختلاط بين الحاكمين وبين عامة الشعب إلى درجة كبيرة .

ومهما كانت عقائد المصري الدينية ، فقد اعتقد اعتقاداً راسخاً في حياة ما بعد الموت ، وسواء أكان المتوفى يصحب إليه الشمس في رحلته في السماء أم يقيم مع أوزيريس في العالم السفلي ، فقد اعتقد أن جزءاً حيويًا منه ظل على مقربة من الجسد ، لذلك وجب حفظ الجسد حتى تتكاتف القوة الحيوية من العودة إليه لتتبع بالطعام والشراب والآثاث وأدوات التسلية الرياضية والأسلحة . وفي الحقيقة كانت أدوات الترفيه كلها في خدمة المتوفى في العالم الآخر ، شأنها شأن خدم الملوك الذين كانوا يصبحون سادتهم عند الوفاة . وصممت المقبرة كتصميم المنزل فالخق بها في معظم الأحوال حدائق على نحو تلك التي كانت تحيط بالمنزل ، ونجد أيضاً في بعض مقابر الأسرة الثانية دورات مياه مبنية قرب غرفة الدفن في المبنى السفلي من المقبرة . وفي الحقيقة اعتقد المصري في إمكان أخذ هذه الأشياء معه ، ومن ثم كان لا بد وأن يمثل الجهاز الجنازي الفخم جانباً كبيراً من ثروته المادية التي جمعها في حياته .

وفي الوصف التالي لنماذج مدافن مختلف طبقات المجتمع خلال ٤٥٠ سنة من تاريخ العصر العتيق يمكننا ملاحظة تطور النبوغ المعماري هؤلاء القوم ،

فقد كان التفسير يتلو التفسير بما يدل على اطراد التقدم الذى جلبته وحدة البلاد . ولم تكن كل هذه التغييرات نحو الأفضل ، فقد أملت زيادة حيلة مصممى الهارة الجنائزية إزاء أخطار سرقة المقابر ، فلنكى يصونوا متاع الميت القيم حفرها غرف الدفن على عمق أكثر ، وصانوها بسدادات حجرية للعلق . ومن المحتمل أن تغييرات أخرى قد نشأت نتيجة لتطور المعتقدات الدينية الجديدة التى ليس لدينا عنها إلا أكثر المعلومات غموضاً ، وسيستمر ذلك حتى يستطيع عالم الحفائر أن يزودنا بمادة للبحث . ومع ذلك فبالرغم من جميع هذه التغييرات والتطورات ، فإن التصميم الأساسى للمقابر المصرية فى العصر العتيق ظل كما هو عليه طوال هذا العصر : بناء سفلى تحت سطح الأرض يغطيه بناء علوى من اللبن فى شكل مستطيل ، بنى تقليداً لمنزل المكنى أو القصر فى ذلك العصر . ويطلق الأثريون على تلك المباني العلوية مصاطب ، مستخدمين فى ذلك الاسم الذى أطلقه عليها العمال المصريون الذين وجدوا فى شكلها العام صورة للصيغة المبنية أمام ديارهم من الحجر أو اللبن ، وهى تسمى بهذا الاسم فى اللغة العربية .

ويمكننا تقسيم تطور التصميم المقبرى للمقابر إلى ست مراحل تقريباً ، نسبها تبسيطاً للأمر مراحل بداية ووسط ونهاية الأسرة الأولى ، وبداية ووسط ونهاية الأسرة الثانية . والمقصود بمراحل التطور هذه عدم وجود تخطيط ثابت يحددها بصرحة ، فإن تصميمات المقابر وعادات الدفن انتقلت من فترة إلى أخرى متأثرة إلى حد كبير بمكان الدفن ورغبة الفرد وحالاته الاجتماعية . ولكن وبصفة عامة فى منطقة منف يمكننا تتبع بعض التغييرات المحددة تحديداً واضحاً . أما فى الجنوب فى أيدوس فكانت المباني العلوية للمقابر الملكية أو التذكارية تختلف بلا شك اختلافاً تاماً فى تصميمها عن شبيهاتها فى الشمال . ولا يوجد أثر لهذه المباني العلوية ، ولكن من الأدلة التى عثرنا عليها فى سفارة يدو من المحتمل أنه فى أوائل الأسرة الأولى كان البناء العلوى من المقبرة يتكون من ركाम مستطيل من الرديم ، عليه كساء من

اللبن ، وهو الذى تطور فيما بعد إلى البناء الهرمى المدرج ، ويشبه الركام الذى وجد فوق قبر الملك عندج إيب بسقارة . ومع ذلك فإن المبنى السفلى لمقابر أيدوس سار فى تطوره بصفة عامة على نهج مثيله فى سقارة . هذا وتبسيطاً للمعرض يمكننا تقسيم طرق الدفن الجنائزى لكل من المراحل الستة إلى أربعة أنواع : —

١ — طبقة الملوك وكبار الأشراف .

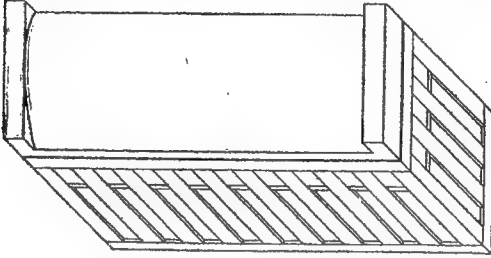
٢ — الأشراف من المرتبة الثانية والسادة .

٣ — صغار الموظفين والصناع .

٤ — الفلاحون .

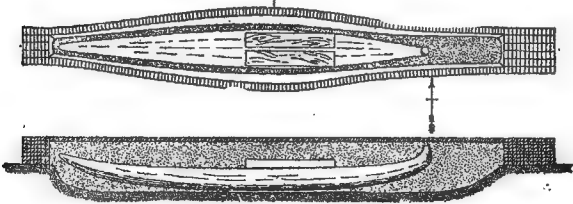
وكانت قبور الملوك وكبار الأشراف فى بداية الأسرة الأولى تتكون من حفرة تقرت فى الصخر إلى عمق لا يزيد عن أربعة أمتار تحت مستوى سطح الأرض ، أقيمت فيها مجموعة من غرف مبنية باللبن ، وقد خصصت الغرفة الكبرى الوسطى للدفن ، بينما خصصت الحجرات الأخرى للقطع الأكثر قيمة من الأثاث الجنائزى ، وقد سقفت هذا المبنى السفلى بكتل وألواح خشبية ، وكانت فتحة الجفنة تملأ بالرديم ويعلو هذا البناء السفلى على مستوى الأرض مبنى المصطبة ، وهو كتلة مستطيلة من اللبنة ، سطحها الخارجى يتميز بدخلاته وخرجاته المتقنة ، وقد قسم داخل المصطبة الأجوف إلى عدد من المخازن ، حيث يوضع الأثاث الجنائزى الأقل قيمة . وسقفت تلك المخازن بكتل ثقيلة من الخشب ، وكانت الجدران الخارجية للبساطب عالية وأكثر ارتفاعاً من جدرانها الداخلية ، تاركة مسافة فاصلة بينهما كبيرة تملأ بالرديم ، وتكون كتلة البناء العلوى الذى لا يقل ارتفاعه عن سبعة أمتار ، وكان كل السطح الخارجى ذو الدخلات والخرجات يطلى بألوان زاهية فى زخارف ، تمثل الحصير الذى كان يزين الأسطح الخارجية لمساكن

الاحياء، لأن القبر كان ولا شك صورة لبيت صاحبه أو قصره في الحياة الدنيا (شكل ٧٩) ومن المحتمل جداً أن السطح العلوى للبصطة كان مقوساً وله



(شكل ٧٧) تابوت خشبي من أواخر الأسرة الثانية من سقارة

حاجز مسطح عند الطرفين على نحو ما يرى في توأيت أواخر الأسرة الثانية (شكل ٧٧)، ونسكتفي بهذا القدر حيال مبنى المقبرة الذي كان في العادة



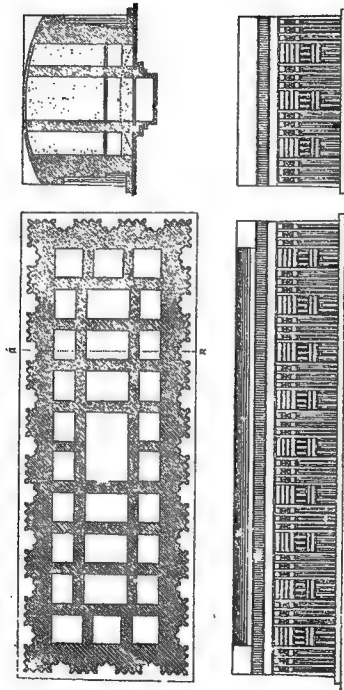
(شكل ٧٨) رسم تصويري لحفرة مركب

محاطاً بسور تليه أحياناً صفوف من قبور خدم صاحب المقبرة الذين دفنوا معه لخدمته فيما بعد الحياة . وفي الجانب الشمالى للبنى كان يوجد بناء طويل من اللبن . وكان هذا البناء يحوى مركباً خشبياً خصص لنقل روح صاحب المقبرة المتوفى في رحلته مع إله الشمس (شكل ٧٨) .

وليس لدينا حتى الآن دليل مقنع لطريقة الدفن الفعلية، إذ ليست هناك وسيلة معروفة لدخول غرفة الدفن ، ومن الممكن أن البناء العلوى لم يكن يتم قبل شغل غرفة الدفن وبلاء الغرف الملحقة بالمحتويات الخاصة بها . وهناك في بعض مدافن سقارة ما يشير إلى وجود دبر في البناء العلوى يؤدى إلى مركز المقبرة الداخلى ، وكان يترك مفتوحاً من أجل عملية الدفن ، ومع ذلك فكان لزماً عليهم إنزال جثة المتوفى إلى غرفة الدفن عن طريق السقف ، إذ لم يكن لها مدخل آخر .

وكانت غرفة الدفن ولا شك الغرفة الرئيسية في القبر، وفي بعض الحالات نجد جدرانها مزينة بصير ملون ملصق عليها كأنه ورق الجدران السميك . وفي أحد القبور الملكية في سقارة كانت هناك أكتاف سائدة كسيت بألواح خشبية مطعمة بأشرطة من صفائح الذهب ، كما كسيت أرضية الحجرة بألواح رقيقة مستوية من الخشب .

ورغم عدم معرفة التحنيط في الأزمنة العتيقة ، كانت الجثة تلف جيداً بالكثبان وتوضع في تابوت كبير من الخشب على شكل منزل ، يوضع في وسط غرفة الدفن . وقد عثرنا على جثة واحدة فقط لأحد الأشراف في مكان دفنها الأصلي ، حيث رقد الميت متنبئاً على جانبه الأيسر ورأسه نحو الشمال . ورغم أن هذا قد يكون الوضع التقليدى لدفن الأشراف ، إلا أننا لا يمكننا التأكد من ذلك بمثل واحد من قبر واحد لم تعبت ببعض أجزائه أيدي لصوص المقابر .

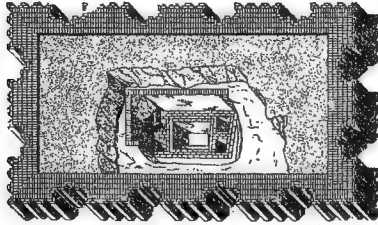


(شکل ۷۹) رسم قصوری لخارج مہنی علوی من الدین

وفي الجانب الشرقى للتابوت وضعت وجبة غذائية في صحاف من المرمر والفضة كغذاء عاجل لروح الميت ، بينما خزنَت كيات احتياطية من الطعام والشراب في مكان مجاور (لوحة ٢٩) . وكان يوجد أيضاً في غرفة الدفن صناديق وخزانات للملابس والمجوهرات وألعاب التسلية وغيرها ، كما وضع أيضاً أثاث مطعم بالعاج من كراسي ومقاعد صغيرة وأسرة . وقد حوت الغرف الأخرى الملاصقة لغرفة الدفن أيضاً أثاثاً وأدوات وأسلحة ، وفي كل الحالات تقريباً خصصت غرفة بأكملها لتخزين الطعام المكون من قطع كبيرة من اللحم في صحاف فخارية كبيرة ، وخبز في قدور مستديرة من الفخار محترمة ، وجبن في أوان أسطوانية صغيرة فضلاً عن الصحن والأكواب والجرار الفخارية الأخرى المكسدة التي كانت بمثابة أوان إضافية لخدمة الطعام . وكانت معدة في أحد أركان الحجرة ، كما كدست في غرف أخرى صفوف من جرار كبيرة للنبيذ . وكان يسد كل جرة منها غطاء من الفخار ثبت على فوهتها بخاتم من الصلصال (لوحة ٢٠) وحفظت أيضاً أدوات أخرى في مخازن المبنى العلوى للمقبرة ، كما يبدو أن كل حجرة في المقابر الكبيرة كانت تخصص لأنواع معينة من الأدوات ، فخصصت واحدة للأدوات والأسلحة ، وأخرى لأدوات اللعب ، وفوق كل ذلك خصصت مخازن أكثر للطعام والشراب . ومثل تلك البيوت العظيمة المليئة بالكنوز لم تكن لتغيب عن أنظار اصوص المقابر مدة طويلة ، ولكن بقي لنا منها ما يكفي لأن نقدر على وجه التحديد الهيكل العام لتلك المقابر الكبيرة التي ترى في (شكل ٢٩) .

لقد كانت قبور طبقة الأشراف من الدرجة الثانية مشابهة في تصميمها العام لقبور طبقة كبار الأشراف ، وإن كانت أقل منها حجماً بكثير وجميع أمثلة هذا النوع من المقابر التي كشفنا عنها حتى الآن وجدناها للأسف محطمة المباني العلوية من اللبن ، وينقصنا الدليل الذي يبين إن كانت زخرفة المباني الخارجية تشبه نظام الدخلات والخراجات للقبور الكبير أم لا . ولكن ،

بالمقارنة ، من المحتمل مشابقتها له في ذلك . وربما بنيت الدخلات فيها بما
يتمشى وحجم القبر ، ولكنها بالطبع كانت أقل عدداً ، ففي مثل مقبرة تجمع
الدير رقم ١٥٣٢ التي قد يكون شكلها الأصلي كما هو مبين في (شكل ٨٠)

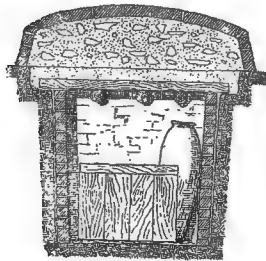


(شكل ٨٠) رسم تصوري للمقبرة ١٥٣٢ في تجمع الدير

ربما يظهر أنه كان لها دخلتان كبيرتان على كل من جانبيها القصيرين وأربع
دخلات على كل من جانبيها الكبيرين . ويبدو من المحتمل من أمثلة أخرى
أن المخازن كانت لا تبنى داخل المبنى العلوي ، لأن حجرة الدفن والحجرات
الجانبية كانت كافية لحفظ الثروة الأقل نسبياً الخاصة بأشراف الطبقة الثانية.
وعلى العموم فالمباني السفلية لهذه المقابر كانت تطابق التصميم العام الذي يضم
غرفة في الوسط للدفن ، وغرفتين على كل جانب من جوانبها للجهاز
الجنازي ، الذي كان يشبه بصورة عامة جهاز الطبقة الأعلى ، وإن كان
بالطبع أقل منه جودة .

ولكن نوضح مدافن الصنائع وطبقة الخدم الذين كانوا يصبحون أسيادهم

لدينا أمثلة فقط لتلك القبور التي أحاطت بمقابر الملوك والأشراف . فقد كان يصحى هؤلاء الخدم ، ولا نعرف إن كان ذلك برضاهم أم رغماً عنهم ، ولكن لا داعي لأن نفترض أن نظام المدافن الخاصة بهم لم يكن يختلف في شيء عن مدافن غيرهم من نفس الطبقة الذين ماتوا موتاً طبيعياً . وكان قبر كل منهم يتكون من حفرة طويلة واحدة مسقوفة بالخشب يعلوها بناء



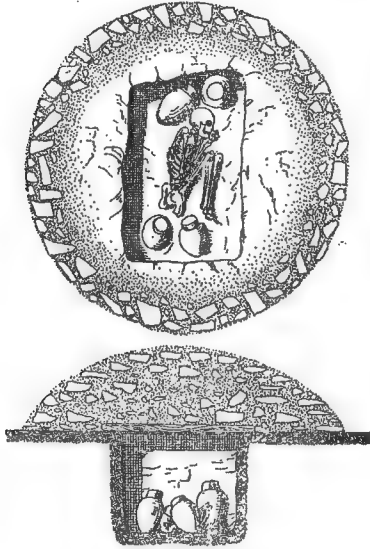
(شكل ٨١) مقبرة طبقة الصناع والخدم في أوائل الأسرة الثانية

مستطيل قليل الارتفاع سطحه العلوى مقوس (شكل ٨١) وكان الجسم يوضع عادة على هيئة القرصاء على الجانب الأيسر والرأس فى الشمال، وإن كانوا لم يتمسكوا بشدة بهذا الاتجاه. وكان الجسم يلف بالسكتان ويوضع فى تابوت خشبى صغير، وكانت أوتى النبيذ والطعام توضع دوماً خارج التابوت. أما باقى الأدوات التى توضع مع الميت فقد اختلفت فى طبيعتها كثيراً باختلاف صنعة الميت وجنسه. وقد بينت لنا المدافن المحيطة بقبر الملكة «مريت نيت» فى سقارة مختلف أنواع الأثاث الجنائزى الذى يناسب خدمة صاحب كل مدفن: فالتحاس والظران للسانع، وأوتى الطلاء للفتان، ونماذج السفن للبحار، والسكاكين واللحم للجزار، وأدوات التجميل للنساء. وكانت توجد غالباً فى مدفن هذه الطبقة فى الجنوب فى أيدوس لوحات حجرية صغيرة كتب عليها بطريقة بدائية اسم المتوفى، ولكن نظراً للتدمير الذى أصاب المبنى العلوى من هذه القبور لم يبق أثر لوضعها الاصلى، والمفروض أنها كانت على السطح، وربما ظهرت فى المبنى العلوى للقبر (شكل ٢٥). ومثل هذه اللوحات لم يثر عليها فى سقارة، وربما يرجع ذلك إلى إزالة الأحجار فى المنطقة على نطاق واسع.

وتختلف قبور طبقة الفلاحين قليلاً عن طراز القبور فى فترة ما قبل الأسرات. فمن الواضح أن جماهير الشعب فى الفترة الأولى من عهد الأسرة الأولى لم يكونوا قد تأثروا فى الدفن بعبادات سادتهم، الذين ربما كانوا ينتمون إلى عنصر مميز كما أشرنا إلى ذلك من قبل، فكانت المقابر عادة تتكون من حفر يضاوية أو مستطيلة مستديرة الأركان نحتت فى الحصى وأقيمت فوقها بعد الدفن روبة منخفضة من الرديم المستخرج من حفرة القبر.

وكان الميت يوضع دائماً على وجه التقريب على هيئة القرصاء على جانبه الأيمن رأسه فى الجنوب، وكان عادة يوضع على حصير من نبات البردى. أما فى الدفقات الأكثر ثراء فقد كانت الجثة تغلف أحياناً بصندوق من ألواح الخشب. وكان يوضع بجانبها أوان نفارية وحجرية وأدوات من النحاس

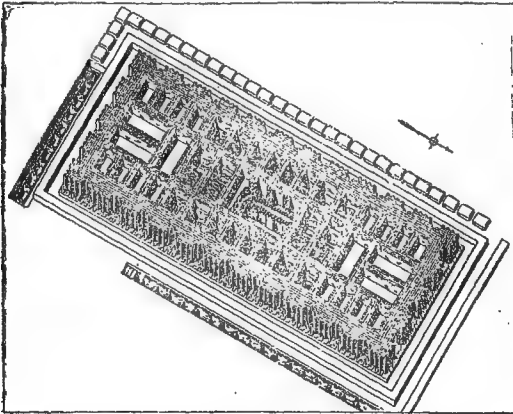
والظفران وأدوات التجميل. وبعد الدفن كان القبر يسقف بقوائم خشبية يملوها
حصير ويرتفع فوق ذلك كومة من الرمال والحجر. ويبين لنا (شكل ٨٢)
نموذج قبر من هذا النوع.



(شكل ٨٢) مقبرة الطبقة الفقيرة في أوائل الأسرة الأولى

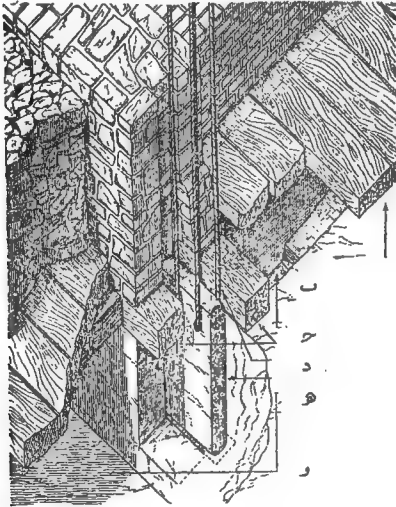
وما أن حل منتصف الأسرة الأولى حتى تطلبت الزيادة في حجم ونظام
المقابر الكبيرة للملوك وكبار الأشراف وسيلة أسهل للوصول إلى حجرة
الدفن، وبالتالي استحدثت المقابر ذات الدرج في عهد الملك أوديمو. ونقطة
الانتقال من طراز القبر الأول واضحة في المدفن الفخم الذي يرجع إلى

عهد الملك أودجي (الشميان) سلف أوديو ، وقد كشفنا عنه في سفارة عام ١٩٥٣ (شكل ٨٣) . ومع أنه ليس من طراز المقابر ذات الدرج فإن حجمه الكبير وبناءه العلوى الضخم يوضح الحاجة إلى طريقة للوصول إلى داخله دون إنزال الجثة والأدوات الجنائزية من السقف قبل إتمام البناء العلوى .
والحل الواضح لهذه المشكلة تم بعمل درج هابط يبدأ من خارج البناء العلوى بما يسمح لإكمال البناء الكبير فوق القبر قبل الدفن . وكان يقع الدرج دائماً في الجانب الشرقى من المبنى العلوى ، هابطاً مباشرة إلى غرفة الدفن التى كانت بسبب سهولة الوصول إليها أكثر عمقاً منها فى القبور السابقة ، ولكن ابتكار هذا المدخل ذى الدرج سهل أيضاً مهمة اللصوص . ولتجنب السرقة استحدث نظام لغلاق المقبرة بكتل الأحجار ، وهى فكرة بارعة مع أنها كما نعلم الآن لا تنق بالعرض . وتنحصر هذه الفكرة فى إنزال لوحات حجرية ضخمة كماريس فى فجوات منحوتة على جانبي الدرج



(شكل ٨٣) رسم اكسونومتري للبقرة ٣٥٠٤ فى سفارة

(شكل ٨٤). ومعظم المقابر الكبيرة لها ثلاثة سدادات من كتل الحجر وضعت على مسافات . وقد ظل نظام حماية المقابر هذا متبعاً حتى عهد بناء الأهرام فيما بعد . أما تصميم البناء فوق سطح الأرض فقد ظل دون تغيير ، وكما كان الشأن في المقابر في الطراز السابق كانت جدرانها الخارجية مزخرفة بالدخلات والخرجات في كل الجوانب الأربعة لكنة البناء المستطيل الكبير، الذي كان يحوى مخازن للأدوات الجنائزية الزائدة. أما تصميم المبنى



(شكل ٨٤) تفصيل وضع السدادة الحجرية في المدخل ذى الدرج

(ب) مدخل مدرج

(د) خيال إززال

(و) حجرة الدفن

(١) سقف خفي

(ج) أعتاب خفية

(هـ) سدادة حجرية

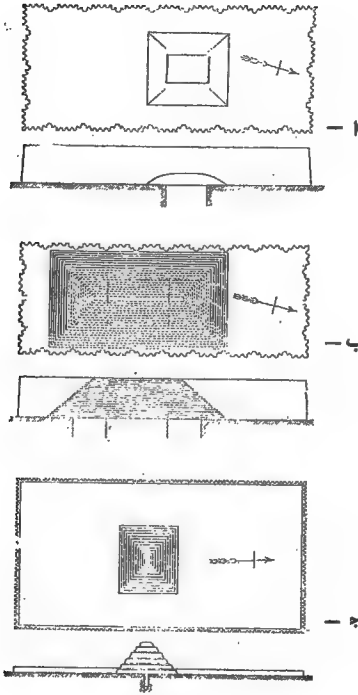
السفلى فقد كان مغايراً تماماً ، فضلاً عن زيادة عمقه كانت غرفة الدفن أكبر حجماً ، وكانت الغرف الجانبية أقل شأنًا فبنيت أحياناً على مستوى أعلى ، جعل الوصول إليها سهلاً عن طريق أبواب مرتفعة صغيرة من الغرفة الأصلية ، مستواها على ارتفاع سقف الغرفة . وفي الطراز الجنوبي لقبر الملك أوديمو في أيديرس لا توجد غرف جانبية في المبنى السفلى الذى يتكون فقط من حجرة دفن كبيرة .

هذا وتبين المقابر الكبيرة من منتصف هذه الأسرة أنه فضلاً عن إدخال نظام الدرج ، فإن هذا العصر كان عصر تجارب وتغيير معيارى ملحوظ ، فإن كل أثر منها كان ذا تصميم مختلف ، ومن الجدير منها بالملاحظة أحد قبور سقارة الذى يرجع إلى عهد الملك عندج إيب ، وربما يكون قبره ، فبمجرد الكشف عنه بدا فى الشكل التقليدى لهذه الفترة ، مصطبة نموذجية فى مبناها العلوى ذات دخلات وخرجات . وكان يؤدى إلى غرفة الدفن درج هابط تحف به من الجانبين غرفتان بنيتا على مستوى أعلى . ولكن عند إزالة الجزء الداخلى لمبنى المصطبة العلوى بحثاً عن المخازن المعتادة ، وجدنا بناءً علوياً آخر مطموراً فى البناء العلوى الأول ، طرازه مختلف تماماً ، له شكل الهرم المدرج كما هو مبين فى (شكل ٥٤) ورغم أنه فى هذه المقبرة وحدها قد وجدنا بناءً محفوظاً كهذا ، فإن بقايا أساسات لما قد يكون مباني مشابهة وجدت فى مقابر أخرى كبيرة من هذا العصر ، لذلك فلا بد من تقدير احتمال أن تكون هذه ظاهرة مشتركة فى كل المقابر الملكية فى سقارة . وكما بينا من قبل فإن الشكل الأصلى للمقبرة أخذ شكل ركة ترائية مستطيلة عليها كساء من اللبن مثل قبر الملكة حرنيت الذى تطور إلى الهرم المدرج الذى نجده فى قبر عندج إيب . وقبلنا نشك فى هذا التطور ، على أننا نتساءل عن الدور الذى قامت به تلك الظاهرة العجيبة فى مشكلة أصل وتطور البناء الهرمى فى العصور التالية وربما يكون من السابق للأوان أن نتقدم برأى فى هذا الموضوع الهام قبل القيام بكشف أكثر والوصول إلى نتائج أخرى . ولكن قد يكون لنا العذر على الأقل فى أن نضع هذا

الاقتراح تحت التجربة . ويبدو أن شكل المبنى العلوى المقام فوق مقابر ملوك مصر العليا كان يتكون فى الأصل من ركाम مستطيل مكسو باللبن ، تطور إلى البناء العلوى لشكل هرمى مستطيل .

أما فى الوجه البحرى فقد اتخذ البناء العلوى للمقابر الملكية شكل مصطبة لها واجهة ذات دخلات وخرجات ، وفى سقارة ، وخاصة فى مقبرتى الملكة حرنيت والملك عنديج إيب ، فقد التحم شكل البناء العلوى فى مبنى واحد ، هو ذلك الهرم الركامى فوق مكان الدفن مباشرة ، وأحاطت به وغطته جدران مصطبة لها واجهة قصر . وبمقارنة الرسوم التخطيطية لمقبرتى حرنيت وعنديج إيب بتلك التى خططت لسور الهرم المدرج الذى بناه زوسر فى الأسرة الثالثة تظهر لنا أوجه تشابه فى التصميم والتناسب تجعلنا نعتبر التصميم الثانى تطوراً للقبر الملكى المركب فى الأسرة الأولى (شكل ٨٥) . إن معلوماتنا عن الفكرة الدينية والرمزية التى تشير إليها التصميمات المعمارية للبنى الجنائزية فى عصور مصر الأولى تكاد تكون معدومة . ولكن على أساس التطور المعارى البحث ، فمن الحكمة أن نتصور التناؤل التدريجى للمصطبة ذات واجهة القصر إلى سور ذى دخلات وخرجات ، يحيط بالمبنى الهرمى الذى زاد ارتفاعه واتساعه وكان يغطى غرفة الدفن . وليس فى مقدورنا فى نطاق هذا الكتاب أن نتوسع فى هذه المسألة الشيقة . ولكن التقدم فى هذا البحث بدأ ، ونأمل أن تزودنا الحفائر المقبلة وخاصة فى قبور الأسرة اثناية ببراھین مؤيدة أو داحضة لما نستطيع أن نقده اليوم كراى يشوبه الغموض .

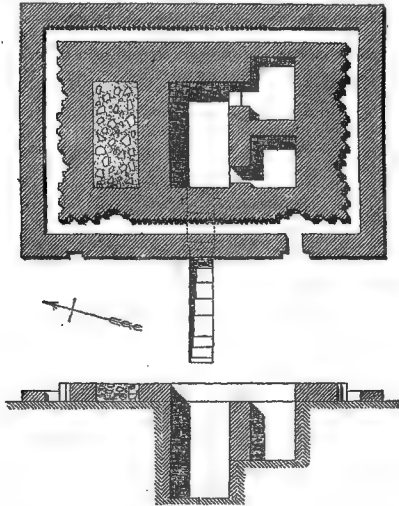
لم يكن هناك تغيير فى نظام الدفن والأدوات الجنائزية ، فكان التابوت الخشبى الكبير يحاط بالطعام والشراب وجميع المقتنيات الثمينة لصاحب المقبرة . وربما وجه مزيد من الاهتمام إلى موضوع إطعام روح صاحب المقبرة فى ذلك الوقت أكثر منه فى العصور السابقة . فقد وضعت كيات هائلة من اللحم والخبز والنيذ فى المخازن ، ووجدنا فى أحد القبور صوامع



(شكل ٨٥)

مساقط تخطيطية لمقابر ١ - حر - نيت (أوائل الأسرة الأولى)
 ب - عتج - إيب (أوائل الأسرة الأولى)
 ج - زوسر (أوائل الأسرة الثالثة)

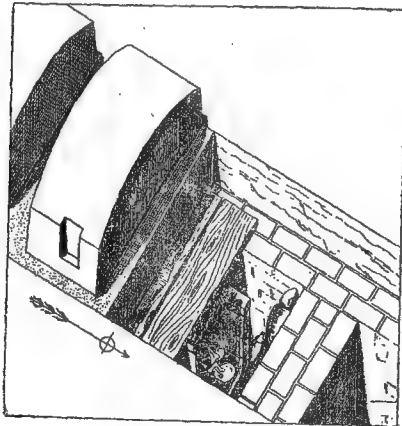
حبوب مبنية داخله ليتمكن صاحب القبر من إعادة ملء تلك المخازن بالخبز إذا دعت الحاجة. وقد نجد مثلاً آخر لمثل هذه الفكرة في تزويد القبر بقتل من الطران الخام التي كانت توضع منع السكاكين الطرائية ، حتى يستطيع المتوفى من عمل المزيد من هذه الأدوات إذا ما تشمت . وكانت قبور الأشراف من الطبقة الثانية فسحاً مصغرة للمقابر الكبيرة ، ولكن على نحو ما حدث في أوائل هذه الأسرة يبدو أن المباني العلوية الأصغر حجماً كانت تغمر حشواً مسطواً من كسرة الحجر أو اللبن، ولم يكن بداخلها مخازن. والمقابر ذات السطوح الخارجية المحلاة بالدخلات والخرجات مثل المقبرة ١٣٧٤ في حلوان (شكل ٨٦) تعتبر نماذج لهذا العصر، ومع ذلك كانت الواجهة



(شكل ٨٦) مسقطان أفقي ورأسي للمقبرة ١٣٧٤ في حلوان

غير المزخرفة شائعة أيضاً وخاصة في القبور الصغيرة . وكان المبنى السفلي للقبور يتكون من حجرة الدفن وحجرة قبو أو أكثر في الجوانب أرضياتها على مستوى أعلى ، وكانت كلها مسقوفة بالخشب .

وبالنسبة لمقابر طبقة العمال فيبدو الاختلاف قليلاً ، أو معدوماً بينما وبين مقابر أوائل الأسرة الأولى التي سبق وصفها . ويبدو أن التطور الجديد الوحيد فيها هو استحداث الباب الوهمي في الناحية الجنوبية للواجهة الشرقية للمبنى العلوي (شكل ٨٧) بينما استمر عامة الشعب يدفنون موثاقم في حفر أجدادهم ، وكانوا يقيمون فوقها مبنى علوياً مستديراً من الركام . غير أن مقابر الأشخاص الأكثر أهمية منهم بدأت تميل إلى محاكاة وتطبيق

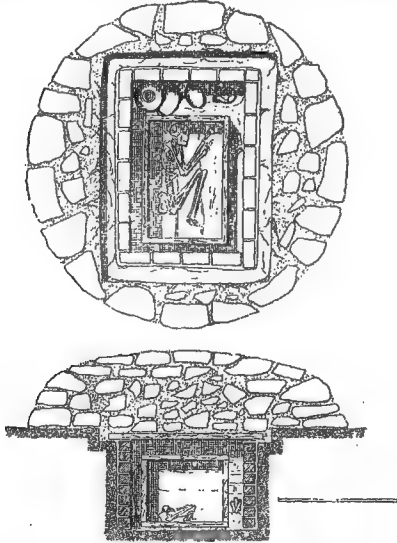


(شكل ٨٧)

منظر إكسوموتري لمقبرة صانع من أواسط الأسرة الأولى

بعض المظاهر المعمارية الراقية التي استعمالها سادتهم . فازداد شيوع استخدام بطانة من اللبن في الحفر المستطيلة ، ووضع الجثث القرفصاء في نوع ما من التوابيت الخشبية ذات أشكال بدائية . ويوضح (شكل ٨٨) قبراً نموذجياً من هذا الطراز .

وفي الفترة الأخيرة من الأسرة الأولى كانت هناك تغييرات ملحوظة في التصميم المعماري لمقابر كل طبقة ، ورغم أن بعض المقابر الكبيرة تميل إلى الاحتفاظ بالخطط العام في العصور السابقة فإن معظم المقابر التي ترجع

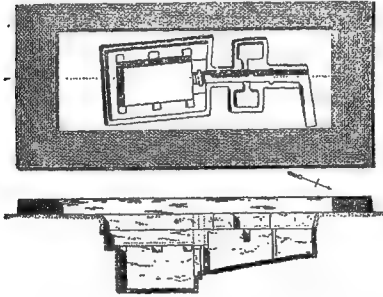


(شكل ٨٨) مقبرة الطبقة الفقيرة من أواسط الأسرة الأولى

إلى نهاية تلك الأسرة تبين تغيراً جوهرياً في فكرتها . ومع استثناء ذلك القبر العظيم الذى يرجع إلى الملك وقاعا ، في سقارة (شكل ٥٣) فإن زخارف الدخلات والخرجات في السطح الخارجى للمبنى العلوى تحتفى ويحل عليها جذران منسطة في الواجهة الخارجية ، اللهم إلا بابان وهيمان عند الطرفين الجنوبي والشمالي في الواجهة الشرقية . فضلاً عن أن المبنى العلوى لم يعد الآن مجوفاً تماماً المخازن ، بل أصبح مسطواً بالرديم والابن . وحل المدخل ذو الدرج على شكل حرف اللام اللاتينية L محل الدرج المستقيم ، فأصبح يبدأ من الجانب الشرقى للقبر ويتخذ إلى غرفة الدفن من الشمال . وبهذا الابتكار تغير محور المبنى العلوى من الاتجاه الشرقى الغربى إلى الشمال الجنوبى . ولم تعد الغرفة الملحقة بحجرة الدفن متصلة بها مباشرة ، بل أصبحت على جانبى درج المدخل تؤدي إليها أبواب جانبية . وهكذا أصبح المحور الشمالى الجنوبى للمبنى السفلى مالوفاً أيضاً . أما في المقابر الأكبر حجماً فقد اختلف الأمر ، فمع الإبقاء على اتجاه المحور القديم من الشرق إلى الغرب احتفظت بدرج مستقيم من جهة الشرق . أما التخطيط الجديد للحجر الجانبية التى تفتح على الدرج قبل أن يصل إلى حجرة الدفن فقد طبق حتى في المقابر التى احتفظ فيها بمحور الدفن حسب القاعدة السابقة . ويوضح هذه الظاهرة المقبرتان الكبيرتان الملك وقاعا ، في أبيدوس وسقارة . ولكن التصميم الجديد للمبنى السفلى للقبر (شكل ٨٩) كان في الغالب شائعاً عند نهاية الأسرة الأولى ، وكان السابقة المباشرة للتصميم الذى اتبع في الأسرة الثانية ، وأخيراً في تخطيط المقابر في العصور المتأخرة ، ومع ذلك ظل متبهماً في تخطيط المقابر الصخرية للدولة الحديثة بعد ذلك بأكثر من ١٥٠٠ سنة .

هذا ولم يتجاوز التغير في التصميم المعمارى إلى طريقة الدفن التى ظلت على ما كانت عليه بقدر ما يمكننا أن نؤكد . ومع ذلك فهناك حقيقة واحدة يجب أن نشير إليها ، ففما هذا المقابر الملكية يبدو أن الأثاث الجنائزى

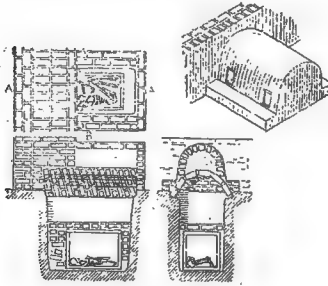
كان أقل كمية منه في الأزمنة السابقة ، وربما يرجع ذلك إلى زيادة التكاليف التي ألقيت على عاتق صاحب المقبرة لإقامة مقبرة أكثر إبداعاً في مبانيها . فبدت غرفة الدفن الآن كافية لحزن جميع الأثاث الجنائزي ، وقصرت محتويات الغرف الجانبية على الطعام والشراب الخاص بروح المتوفى . كما أن دفن الخدم والأتباع حول مقابر الملوك وكبار الأشراف ، وإن كان يبدو أنه استمر في الوجه القبلي ، إلا أنه توقف في الشمال ، ورغم وجود قبور ثانوية داخل نطاق سور إحدى المقابر الكبيرة من هذا العصر في سقارة ، فإن ترتيبها لا يوحي بأن أصحابها ماتوا موتاً غير طبيعي .



(شكل ٨٩) مسقطان أفقي ورأسي لمقبرة في سقارة

وقد كشفت لنا حفائر حلوان الحديثة عن كثير من مقابر الطبقة الثانية من النبلاء، وترجع إلى الفترة الأخيرة من عهد الأسرة الأولى . وهذه المقابر تطابق نفس التخطيط والنظام العام المتبع في المباني الأكبر حجماً في سقارة .

هذا وتختلف مقابر طبقة الصناع قليلاً عما كانت عليه في الأزمنة السابقة فيما عدا المبنى العلوى، الذى كان أكثر ارتفاعاً وكان له بابان وهميان على الطرفين الشمالى والجنوبى للواجهة الشرقية . ونعتمد هنا في معلوماتنا أيضاً عن تصميم تلك المقابر على المدافن الجائفة، ولكن ليس هناك ما يدعو للشك في أنها كانت على نمط مقابر نفس الطبقة خلال هذه الفترة . ويبين (شكل ٩٠) تفاصيل بناء المقابر من هذا النوع والنظام العام للدفن .

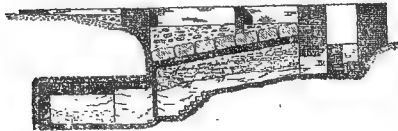
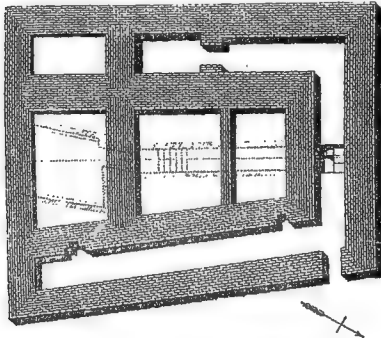


(شكل ٩٠)

مقبرة لأحد طبقة الصناع أو الخدم من أواخر الأسرة الأولى

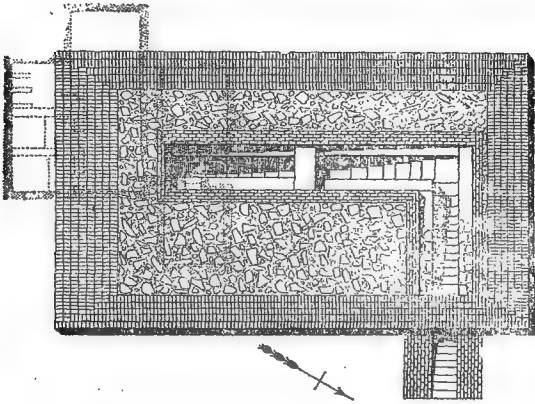
أما مقابر طبقة الفلاحين فلاتين اختلافاً في نهاية الأسرة الأولى ،
فبما عدا زيادة استخدام اللبن في كساء آبار الدفن واستعمال التوايت في
الدفنات الأكثر ثراء .

وبمقدم الأسرة الثانية حدث تطور أساسي في تصميم وعمارة المباني الجنائزية .
فمن منتصف الأسرة الأولى كانت هناك أمثلة فردية لفرقة الدفن التي كانت
تنحت في الصخر دون أن تشكل في صورة حفرة مفتوحة لها سقف صناعي .
ولكن هذه التجربة كانت نادرة نسبياً ، ولم يحدث إلا في نهاية الأسرة
الأولى أن عدل عن نظام الحفرة المفتوحة ليحل محلها نظام نحت الأجزاء
السفلية من هيكل المقبرة (شكل ٩١) .

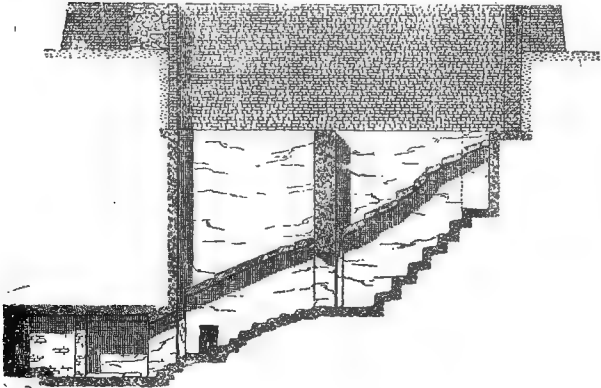


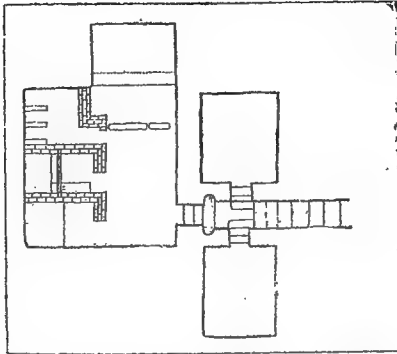
(شكل ٩١) مقبرة صخرية من أواخر الأسرة الأولى

وفي النصف الأول من الأسرة الثانية سارت مقابر كبار الأشراف بدقة على الخط الشائع في نهاية الأسرة السابقة ، غير أن المدخل الذي يؤدي إلى درج ممتد ينحني في زاوية قائمة كان ينحدر إلى عمق أكثر ، وينتهي بمخترنين يقعان على جانبيه ، ثم تأتي حجرة الدفن ويتم هذا كله على أساس الحفر في باطن الأرض (شكل ٩٢) . ولم يعد عمر المدخل مسقوفاً بالخشب ، ووجد أن اللوحات الحجرية المصنوعة أكثر ملاءمة . وتعتبر حجرة الدفن المنحوتة في الصخر سابقة لمجموعة الغرف السفلية التي حفرت بعد ذلك في النصف الثاني من الأسرة ، إذ كانت مقسمة إلى غرف منفصلة ، وكانت غرفة الدفن في الجانب الغربي منها . ومع ذلك فإن العمارة ظلت تتبع نظام الأسرة الأولى في تقسيم الجزء السفلي إلى حجرات تفصلها جدران من اللبن بدلا من نحت مختلف الحجرات في صميم الصخر (شكل ٩٣) . بذلك كان القسم المخصص للدفن مشابهاً لفرقة النوم في منزل المتوفى أثناء الحياة . فقد كانت دائماً في الجهة الغربية من مجموعة الغرف الأخرى الخاصة بالمسكن . وكان التابوت الخشبي في مقابر بداية الأسرة الثانية يوضع على منصة مرتفعة ، شأنه في ذلك شأن سرير المتوفى في منزله الديني . وما يؤسف له أن كل المقابر في ذلك العصر من هذا النوع قد تكرر سطو اللصوص عليها وسلبها ، حتى أنه أصبح من المستحيل أن نحدد بدقة المكان الأصلي للأثاث الجنائزي ، ومع ذلك فإن عادة وضع وجبة غذائية في أوران من الفخار والحجر في الجهة الشرقية من التابوت ، ظلت قائمة بصفة مؤكدة (لوحة ٢٩) وكذلك خزن كميات زائدة من الطعام في مخازن خارجية خارج المقبرة بعيدة عن عمر المدخل . وكان المبنى العلوي فوق المقبرة مسمطاً يحشو من الرديم أو اللان دون أن تبني مخازن بداخله . ومع ذلك فإن عادة دفن القرايين في المبنى العلوي من المقبرة لم تبطل تماماً ، فقد وجدنا بعض المقابر الكبيرة التي ترجع إلى أوائل الأسرة الثانية ، وقد وضعت في حشو مبناها العلوي من الرديم كميات كبيرة من الأواني الفخارية في مجموعات متناثرة



(شكل ٩٢) مسقطان أفقي ورأسي لمقبرة من أوائل الأسرة الثانية.



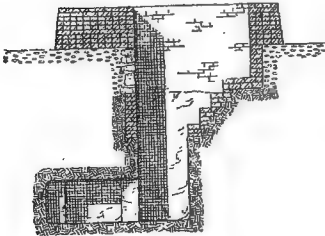
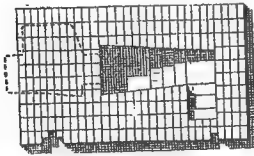
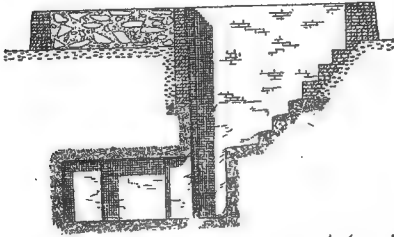
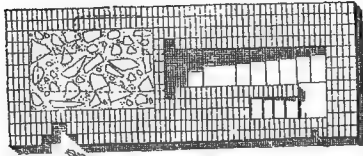


(شكل ٩٣) المبنى السفلى لمقبرة من أوائل الأسرة الثانية

كأنها زيب نثر في كهكة (لوحة ١٢ ، ١٣) . ولكن كان هذا بقايا عادة جنازية عفا عليها الزمان ، حتى في الفترة الأخيرة من الأسرة السابقة ، ولم تكن شائعة الاستعمال ، ولم توجد إلا في بعض المقابر النادرة في سقارة .

والاختلاف الوحيد بين القبور الكبيرة لعظماء الأشراف وقبور الطبقة الثانية من الأشراف هو اختلاف في الحجم وإنقاص في عدد الحجرات بالجزء السفلى الذي كان يتكون عادة من حجرة واحدة بها قسم جانبي للتأبوت (شكل ٩٤) .

ولما كانت عادة دفن الأتباع حول قبور النبلاء قد توقفت لم نجد أدلة تبين شكل قبور طبقة الصناع ، ولكنها ربما كانت نسخاً مصغرة لقبور الطبقة الأعلى ، على نحو ما كان عليه الحال في الأسرة السابقة (شكل ٩٥) .

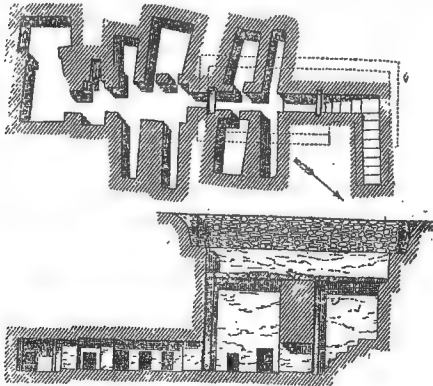


↑ (شكل ٩٤)
مسقطان أفقي ورأسي
لمقبرة من أوائل
الأسرة الثانية للطبقة
الوسطى

← (شكل ٩٥)

مسقطان أفقي ورأسي
لمقبرة الطبقة الفقيرة
في الأسرة الثانية

وفي النصف الثاني من الأسرة الثانية يبدو أن فترة التجربة في تصميم الجزء السفلي المحفور قد وصلت إلى نهايتها ، وانتشر طراز شائع في جميع المقابر ، مع تفاوت فقط في الحجم وعدد الغرف تبعاً لثراء صاحب القبر . وخضع الجزء السفلي من القبر لتصميم ثابت ، ربما كان صورة للنظام العام في مساكن ذلك العصر التي كانت تضم صالة كبيرة للاستقبال ، وعلى جانبيها غرف نوم للضيوف .. إلى غير ذلك (شكل ٩٦) . وكان أقصى جزء في المنزل مخصصاً لأهل الدار ، ويتكون من غرفة نوم رب الأسرة (غرفة الدفن) مدخلها من الجانب الغربي لغرفة جلوس أهل المنزل ، وعلى الجانب الآخر جناح الحريم . وكان الجناح الخاص برب الأسرة وجناح الحريم يتصلان بممر مزدوج إلى الحمام ودورة المياه . وكانت المخازن الواقعة على المدخل المدرج تمثل غرف المخازن خارج المنزل ، وكان من الطبيعي أن يودع فيها الطعام والخمر والأثاث الجائزى الزائد . واستمر



(شكل ٩٦)

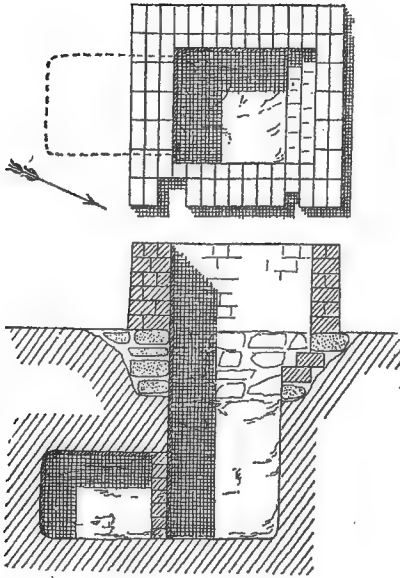
مستطبان أنفي ورأسى للبنى السفلى في أحد مقابر أواخر الأسرة الثانية
(١٠ م — العصر النبطي)

نظام سد المدخل المدرج بمتاريس حجرية ، وكان عددها يتفاوت ما بين واحد وثلاثة تبعاً لحجم المقبرة .

وكان المبنى العلوى من اللبن مسطواً محشواً بالرديم وجدرانه الخارجية مسطحة ، وبها بابان وهميان على واجهته الشرقية ، الكبير منهما ناحية الجنوب والصغير ناحية الشمال . ويبدو أن حشو الرديم داخل المبنى العلوى كان يوضع بعد الدفن ، لأنه بخلاف ما حدث في عهد الأسرة الأولى لم تكن فتحة المدخل المدرج خارج المبنى العلوى ، بل كانت مدفونة دونه .

والمبنيان الجنائزيان الوحيدان من الأسرة الثانية اللذان ينتسبان لملوكهما دون نزاع هما قبراء ، ولرب سن ، ودخع سخموى ، في أيديوس (شكل ٦٠ ، ٦٦) . وكلاهما يختلف اختلافاً بيناً في تصميمه عن قبور نفس الفترة في الشمال ، وهذا يدعو للدهشة ، فبالرغم من اختلاف المبنى العلوى في مقابر الجنوب فإن المباني السفلية في أيديوس تتبع نفس الخطوط العامة للتطور ، شأنها في ذلك شأن المباني الجنائزية في الشمال . والقبران يخضعان للتصميم العام الذى يقضى بعمل غرفة دفن قائمة بذاتها ، تحيط بها صفوف من المخازن ، بنيت جميعها في حفرة مكشوفة . والاختلاف في المفهوم المعماري اختلاف أساسي حتى أن الإنسان ليميل إلى أن يرى في هذه المباني الغربية صلة باتباع لرب سن عبادة ست ثم مهانتها الظاهرة في عهد دخع سخموى . وسارت قبور الطبقة الثانية من الأشراف على نفس النمط ، ولكن لا توجد مخازن على جانبي المدخل المدرج إلا فيما ندر ، ولا تضم المقبرة في العادة سوى صالة وحجرتين ، إحداهما في الجانب الغربي خصصت للدفن

وفي نهاية الأسرة الثانية نجد لأول مرة في سفارة مقابر صغيرة ذات آبار دفن لها ما يمكن تسميته بالدرج الوهمي ، ويمثلها (شكل ٩٧) تمثيلاً واضحاً . ولا بد أن هذه المقابر الصغيرة كانت للطبقات الفقيرة وهي أول



(شكل ٩٧)

(مسقطان أفقي ورأسي لمقبرة الطبقة الفقيرة في أواخر الأسرة الثانية)

علامة مؤكدة بأن جمهرة الشعب طبقت أخيراً عادات سادتهم في الدفن .
وتدل محتويات هذه القبور على فقر أصحابها ، فبالرغم من لف الجثة بكتان
خشن لم توضع في تابوت ، ولم يكن معها من المقتنيات سوى إناءان من
الفخار للطعام والشراب .

ورغم أن حفظ جثث الموتى كان يعتبر أمراً جوهرياً إلا أن المصري

في العصر العتيق لم يكن قد اكتشف بعد وسائل فن التحنيط الحقيقي ، التي وصل إليها خلفاؤه من بعده . ومع ذلك فقد بذل أقصى جهده ليوقف التحلل الطبيعي للجثة ، وليحفظ على الأقل المظهر الجبوى لشخص المتوفى على هيكله العظمى الحقيقي . ففي عهد الأسرة الأولى نعلم بأن الجسم كان يلف بطبقات سميكه من الكتان ، ولم يحدث إلا في قبور الأسرة الثانية أن وجدنا ما يثبت المحاولات الأولى للتحنيط الحقيقي ، وذلك بإظهار ملامح المتوفى بلفه بأربطة الكتان بطريقة تسمح بالمحافظة على الشكل الحى للوجه والصدر والأطراف بعد تحلل الجسم وتقلصه في هيكله العظمى . وقد تم ذلك على ما يبدو بغمس الكتان في مادة صمغية ، وقد حققوا بذلك نتائج ناجحة حتى أن تلك الموميات التي يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية تسكاد تبين مظهر أصحابها في الحياة (لوحة ١٢٥) . فقد مثلت ملامح المتوفى بتفاصيلها . وكذلك الأعضاء التناسلية للرجال . وفي حالة النساء أبرزت تفاصيل الثديين في صورة كاملة . ولم توضع مثل هذه الجثث في وضع عددود مخفية الأطراف كوميات العصور التالية ، بل وضعت القرفصاء ، وفصلت الذراعان والرجلان وكذلك الأصابع ولفت بحيث تتخذ شكلها الأصلي في الحياة .

افضل الخامس

الفن

بمقدم الجنس الحاكم إلى مصر، طرأت تغييرات جوهرية على فن النحت والتصوير تشبه تلك التغييرات التي حدثت للعمارة . فقد دخل مصر فن جديد ، ومع أن كثيراً من الباحثين رأوا فيه تطوراً مطرداً لفن العصر السابق للأسرات كما هو ممثل في الرسوم ذات الخطوط البيضاء على الفخار ، إلا أنني أرى أن هناك دليلاً قوياً على أن شيئاً ما حديث العهد جداً قد اجتاح وادى النيل في الفترة السابقة للوحدة مباشرة.

فن النقش

ونرى لأول مرة فناً لا جدال في أنه باكورة ما وصل إليه الفن في مصر الفرعونية ، ونرى فيه مفاهيم فن النقش والتصميم الزخرفي التي كان مقدراً لها أن تدوم أكثر من ثلاثة آلاف سنة . ولا شك أنه كانت هناك روابط تربطه بفن عصر ما قبل الأسرات ، ولا عجب أن طبق الفنان في بيئته الجديدة بعض الخصائص التي تميز بها عمل أجداده ولكن هذا الفن في كل جوهره كان وليد حضارة جديدة ، كما كان مديناً إلى حد كبير لتأثير بلاد ما بين النهرين ، وقد أثبت ذلك الدكتور الراحل هنري فرانكفورت بالأدلة الآتية : —

١ — الحيوانات المركبة وخاصة الغريرين المجنح^(١) والسنائير برفاب^(٢) أفاع على اللوحات ومقابض السكاكين .

(١) وحش خرافي لصفه سبع وصفه طير (للتزجيم)

(٢) يشبه الأسد والتمر (للتزجيم)

- ٢ - المجموعة التي تمثل بطلا مسيطراً على أسدين .
٣ - أزواج من الحيوانات الملتفة حول بعضها على مقابض السكاكين وعلى لوحة نعرمر .

ولكن هذا التأثير القادم من بلاد ما بين النهرين ، سواء كان مباشراً أو غير مباشر كان تأثيراً انتقالياً لحسب إذ أنه اختفى بعد الوحدة ، وتقررت مكانه تقاليد الفن المصري البحتة . هذا ومعلوماً عن فن النقش^(١) في الفترة السابقة للوحدة قاصرة تقريباً على اللوحات الحجرية التي تمثل المراكب والاحتفالات الدينية وكذلك رموس دبايس القتال التي كشف عن معظمها في هيراكونبوليس .

وقد اختلف تصميم وصناعة هذه اللوحات اختلافاً كبيراً ، من أعمال بدائية الصنع جداً إلى تلك النماذج الرائعة كتلك التي سبق وصفها . ولكن حتى مع هذا الاختلاف في الجودة فن الواضح أنه لا بد أن كانت هناك وراءها فترة تطور ملحوظة لم نعر بعد في مصر على دليل مقتنع عنه . وتعتبر لوحة نعرمر الشهيرة التي تسجل انتصاراته من أبرز هذه اللوحات الجنائزية / فقد أحسن تخطيط تصميمها في كلا الوجهين ، حتى أن الإحساس بالتناسق الذي أصبح من الأمور الهامة في الفن المصري فيما بعد يتحقق فيها (شكل ٤) . قرى فيها الأوضاع التقليدية لصور الإنسان والحيوان التي ظلت ثابتة في الأزمنة التالية ، وقد نفذها الفنان في ثقة تامة . ومع أهمية لوحة نعرمر كمثل اسجل تاريخي وعمل فني عظيم فإن شهرتها ترجع إلى حد كبير إلى أنها لحسن الحظ واحدة من الأدوات القليلة التي عثر عليها سليمة غير مهشمة . لقد بقيت لنا لوحات أخرى أكثر منها دقة ، ولكن لسوء الحظ لم نعر منها إلا على بضعة قطع ؛ فالقطعة المحفوظة بمتحف اللوفر مثلاً (لوحة ٣ ب)

(١) وهو الحفر البارز والناثر (المترجم)

لا بد وأنها من لوحة أكثر ضخامة من لوحة نعرمر من ناحية التنفيذ الفني .
فصورة الثور الجاثم على عدوه الممدد تحته تعتبر حقاً قطعة فنية نادرة لا يدانها
مثل آخر للفن المصرى فى العصر العتيق . ووطاة حافر ذلك الحيوان على
الساق اليمنى للآدمى نفذت تنفيذاً ممتازاً ، وكذلك الذراع المرفوعة
للرجل المنطرح أرضاً . فضلاً عن هذا الإتقان الصناعى لتلك القطعة فإن
تصميمها فى ذاته يدعو للإعجاب ، خاصة إذا أدركنا أن الجزء العلوى للثور
يمثل حافة اللوحة العليا وربما كان مكرراً بشكل عكسى على الجانب الأيسر
لهذه اللوحة .

ومن الأمثلة الباهرة الأخرى للتصميم الزخرفى والصناعة الفنية المثلى
قطع من لوحة يوجد جزء منها بالمتحف البريطانى ، وآخر بمتحف أشموليان
فى أكسفورد . وقد نقش على واجهتها منظر معركة يهاجم فيه أسد ونسور
جثث الموتى ، وظهر فوقها أسرى ربطوا فى ألوية حورس وتحوت ، ويقابلهم
فى الجانب الآخر عدو منهزم وقد أمسك به رجل يرداء طويل ذى أهداب
من طراز ما بين النهرين ، ونقش على ظهرها منظر زرافتين تأكلان من سعف
نخلة تتوسطهما (١) .

وكذلك اللوحة المعروفة باسم لوحة الصياد ، وقد حفظت أجزاء منها
بالمتحف البريطانى وبتحف اللوفر ، وهى فريدة فى تمثيل ازدحام الأشكال
الآدمية وفى وفقات تبض بالحياة ، وخاصة الرجال المهرولين وأحدهم قد أمسك
غزالاً بشوطلته ، بينما يتحاشى الآخر اتقباه أسد جريح (لوحة رقم أب)
وتشغل محور اللوحة حيوانات الصيد من أسد وغزال وأيل ونعلب وأرنب .
ونعامة يحف بها على الجانبين صفان من الصيادين ، وتوجد فى أعلى اللوحة
مقصورة يجانباها ثور مزدوج .

هذا والسنايف ذات الرقاب الأفاعى التى تعتبر فى خصائص فن بلاد

ما بين النهرين يمكن رؤيتها في لوحة أخرى محفوظة بمتحف أشموليان في أكسفورد، إذ لاحظ فيها جمهرة الحياة الطبيعية: بعض المخلوقات الأسطورية كالغرفين المجنح ، والأسد برقية ثعبان ورجل برأس حيوان المعبود سبت إليانامض . ونلاحظ في هذه اللوحة أيضاً التوازن التام وملء الفراغ سائداً عليها . وقد تم نحت هذه اللوحات المصنوعة من الشيست بمكشط من النحاس أو بأداة حفر .

وقد كررت معالجة صور الحيوان والإنسان التي رأيناها على هذه اللوحات في أدوات أخرى كقباض السكاكين الطرائية من العاج وأهمها النموذج الفريد لسكين جبل العرق (شكل رقم ١ لوحة رقم ١ - ١) وعلى مقبض دبوس القتال الذي عثر عليه في شمال التوبة وهو مغلف بصفيحة من الذهب عليها نقش بارز (شكل ٧٢)

ونلاحظ في التصميم الخاص برهوس دبايس القتال التذرية نقصاً في التناسق الهندسي الذي اتقن في العصور التالية كما نلص خطأ كبيراً في ملء الفراغ . أما في استخدام السجلات التي تصور مجموعات من الأفراد فإنهم اتخذوا ذلك وسيلة للتعبير الفني التصويري في مرحلة مبكرة ، كما في وقفات الإنسان والحيوان ومن أبدع أمثلة هذه الأشياء رأس دبوس الملك العقرب والملك نعرمر ، وكلاهما عثر عليه في هير اكونبوليس ويضمهما الآن متحف أشموليان في أكسفورد (شكل ٣٥) .

وأول أمثلة لدينا لفن النحت البارز على نطاق كبير هي اللوحات الملكية التي عثر عليها في أيديرس ، وهي تبين اختلافاً مذهلاً في التصميم والصناعة نفجز عن تفسيره ، حتى مع العلم بأن التعبير الفني في آثار هذه الأحجام كان في مرحلته التجريبية الأولى . والقطعة الفريدة من هذا القبيل هي لوحة الملك أراذجي (الثعبان) فهي أثر لم يعمل عليه في بساطته الجميلة ، ولاندانيه

تخيالات العصور التالية الأقل أصالة (لوحة ٢ ب) . إنها ولا شك من أعمال أحد العباقرة ، ورغم أن غيرها من اللوحات الملكية تشبهها من حيث التصميم إلا أنها تتضامل بجانبها في كافة الوجوه ، فبعضها بدائية خشنة تصميماً وتنفيداً كلوحات الملكة مريت نيت ، وغيرها كلوحة الملك قاعا ، فمع أن صناعتهما مرضية إلا أنه ينقصها انسجام التصميم الذي يبدو ثقيلاً .

وهناك لوحتان فقط لأفراد من الأسرة الأولى يمكن اعتبارهما على درجة من الإتقان الفني الحقيقي ، وربما كانتا من عمل نفس النحات . إحداهما لوحة القبل « ساف » وقد وجدت في مقبرة « قاعا » في أيديوس ، وثانيتهما لوحة « دمركا » وقد وجدت في مقبرة كبيرة في « سقارة » ، ربما كانت المدفن الشمالي لهذا الملك . وهكذا فالأثران من نفس العصر ، ورغم أنهما وجدتا في مكانين متباعدين غير أن صناعتهما وتصميمهما العام يوحيان بأنهما ينتميان إلى أصل واحد . ورغم أن نقوشهما قد نفذت بطريقة بدائية ، إلا أنهما قد تطورا تطوراً كبيراً في تصوير صاحبيهما وقوفاً وجلساً ناظرين جهة اليمين وقد نقشت ألقابهما في صفوف أفقية منتظمة . ويبدو أن هاتين اللوحتين غير كاملتين ، وعلى ذلك تظهر الطريقة الفنية التي اتبعت في صنعهما إذ كان الحجر يصقل إلى مستوى مسطح أملس يرسم عليه التصميم بطلاء أسود ، وبعد ذلك تحت خلفية الرسم بطريقة الدق حتى تبرز الصور والكتابات المهيروغليفية بسطوحها الملساء على أرضية منقورة . ويكاد يكون من المؤكد أن تلك الأرضية الخشنة كان سيأتي دورها في الصقل باستعمال أزميل نحاسي وحجر طحن . وربما كانت حواف الصور تشطف أيضاً بعد ذلك ، غير أنه نظراً لعدم إكمالها لا يمكننا التحقق من هذه النقطة الأخيرة . وكذلك إفريز الأسود على العتب الحجري بمقبرة الملكة حرنيت ، فمع أنه نفذ بطريقة بدائية إلا أنه ذو أهمية خاصة ، فهو أقدم مثل للنحت في البناء وجد في مصر حتى الآن . ويمكن تأريخه إلى منتصف الأسرة الأولى بكل تأكيد .

(لوحة ٣٢ ب) . وبنهاية الأسرة الثانية فقدت النقوش المعمارية مظهرها العتيق ، فكتفا الباب من الجرائيت المنقوش اللتان تنسبان لذلك « خع سخموى ، رغم بدائية صناعتها تبيان التناسق التام لأعمال عصر بناء الأهرام .

وتعتبر اللوحة المصنوعة من الحجر الجيري الأصفر التي عثر عليها في سقارة الميمنة في اللوحة ٣٢ - (من الإنتاج الفني الطريف . وكذلك مجموعة اللوحات التي عثر عليها زكى سعد في حلوان تبين أيضاً أن التصميم التقليدي للمصور التالية قد تولد في الأسرة الثانية .

ومن أمثلة فن النقش (البارز والغائر) في الأشياء الصغيرة القطعة الفريدة من حجر الاستيايت الأسود في شكل قرص ، وقد وجدت مع كثير من القطع الأخرى بالمقبرة ٣٠٣٥ بسقارة . وهذه الأقراص ربما كانت تمثل جزءاً من لعبة ، ورغم أن بعضها مزخرف بالتطعيم والنقش فالقطعة التي أشرنا إليها لا يدهنها غيرها (لوحة ٤٦ ب) ويوضح التصميم عليها منظر صيد : كلبان يطارد أحدهما غزالاً وي طرح الآخر غزالاً أرضاً وقد أمسكهما من رقبتها ، وقد نحت الكلب الأسود متداخلاً مع جسم القرص بينما ظهر بطانه باللون الأبيض مطعماً بالمرمر . وكذلك قرون الغزالين وحوافهما السوداء اندمجت في جسم القرص بينما باقى أجزاء الغزالين وثاني الكلبين طعمت بالمرمر الأحمر القاني والبنى .

فن نحت التماثيل

تبدأ في الواقع دراستنا لفن نحت التماثيل منذ بداية عهد الأسرات ، ليس في إنتاج التماثيل الصغيرة لحسب ، بل وفي صناعة التماثيل الكبيرة أيضاً . سواء من الحجر أو الخشب ، ولسوء الحظ فإن التماثيل الكبيرة الحجم عانت من أيدي المخربين ، فهي بخلاف القطع الفنية الصغيرة يندر إحصاؤها .

وكنتيحة لذلك لم يبق لنا منها سوى القلة التي لا تمسكنا من تكوين فكرة صائبة حقيقية للإنتاج الفني من هذا القبيل في مصر في العصر العتيق . ومع ذلك فقد عثر على ما يكفي لإثبات وجود مثل هذا النوع من الآثار ، على أنه في بعض الحالات على الأقل كان مستوى هذه الآثار رفيعاً .

ومن أقدم أمثلة التماثيل الكبيرة التي عثرنا عليها ثلاثة تماثيل خشنة الصنع للإله « مين » ، وجدها بترى في قفط . وهي واقفة بارتفاع ١٣ قدماً وبدون ردوس ، وتمثل الإله واقفاً في وضعه التقليدي وقلبا نثك في شخصية صاحبها التي تؤكدنا الرسوم المحفورة لشارات الإله « مين » بين صور أشخاص آخرين على جذع التمثال . ولكن هذه التماثيل الكبيرة تعتبر بدائية حقاً . ولعلنا نسأل إن كانت تتبع فن شعب الأسرات ، لأنها فريدة في نوعها . وقسبه إلى درجة كبيرة التماثيل الصغيرة في عصر ما قبل الأسرات .

أما التماثيل بالحجم الطبيعي أو ما يقرب منه فليتنا بقايا أربعة منها ، وترجع إلى عصر دجر وأوديو ، وقاما من ملوك الأسرة الأولى . وكلها من الخشب ورغم أنها قطع صغيرة إلا أنها تشير إلى أن الصور التقليدية في العصور التالية كانت قائمة حين ذاك . فالقطعة التي عثر عليها في أيدوس من عصر الملك دجر تمثل جزءاً من صدر تمثال صغير لامرأة ، وقد صورت عليه العقود بطلاء أحمر وأسود . أما القطعة التي يرجع عهدها إلى أوديو فيبدو أنها جزء من شعر مستعار لتمثال بالحجم الطبيعي وقد وجدت هذه أيضاً في أيدوس . والقطعتان الأخريان تمثلان أقدام وكعوب وسيقان هلي قاعدتين مستطيلتين لتمثالين بالحجم القريب من الطبيعي وجدت في مكانها الأصلي بالمعبد الجنائزي لقبر قاعا في سقارة . والتماثيل واقفة وأقدامها اليسرى متقدمة إلى الأمام مما يحتمل أنها كانت تماثيل رجال .

وخير ما يمثل التماثيل الحجرية دون الحجم الطبيعي خمسة تماثيل صغيرة ، أحدها في برلين ، والثاني في نيويورك ، والثلاثة الأخرى في القاهرة وأكسفورد .

وتتمثل برلين لشخص جالس وهو من الحجر الجيري وربما يرجع إلى بداية الأسرة الثانية، وتمثال نيويورك جلب من أيدوس، وينسب عادة إلى عصر الأسرة الثانية. ويمثل امرأة جالسة عليها رداء بسيط ولها شعر مستعار وقد بسطت يديها على ركبتيها، وهو وضع شائع أيضاً في العصور التالية. ولدينا في متحف القاهرة تمثال لأحد الموظفين راكماً، ويرجع بكل تأكيد إلى منتصف الأسرة الثانية، فقد نقش على كتفه أسماء الملوك الثلاثة الأوائل من هذه الأسرة. وهو مصنوع من حجر الجرانيت ويدل على قدرة الفنانين الأوائل على السيطرة على المواد الصلبة. وتضم مجموعة ميخائيليس بالقاهرة تمثالا صغيراً لطيفاً للبلد تترن من أوائل الأسرة الثانية. وهو مصنوع من المرمر وارتفاعه ١٣,٥ سنتيمتراً ويمثل الملك مرتدياً الزي الخاص باحتفال السد وعلى رأسه التاج الأبيض وقد جلس على كرسى العرش.

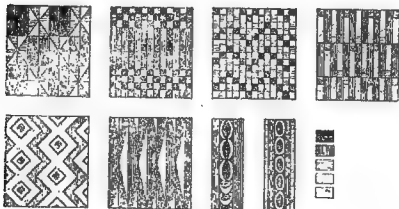
ولكن أجل أمثلة فن التحف في العصر العتيق تمثالان جالسان للبلد خع سخم أحدهما من الشيسيت والآخر من الحجر الجيري وقد عثر عليهما في هيراكونبوليس، أحدهما بمتحف القاهرة والآخر بأكسفورد وهما يدلان على تفوق كامل في فن النحت، ويمثلان الملك وعلى رأسه تاج الوجه القبلي وقد التحف بالرداء الخاص بعيد السد. وعلى جوانب القاعدة نجد نقشاً يمثل أجسام الأعداء القتلى ونقش يذكر (٤٧٢٠٩ من الأعداء الشماليين).

أما نحت تماثيل الحيوان بالحجم الكبير فقد كان شائعاً لدرجة ما: منها أسود جالسة، وقرود وفرس نهر، وكلها من صنع النحاتين المحترفين في الحجر الصلب، غير أن مثل هذه التماثيل التي وجدت في قفط وهيراكونبوليس وأيدوس مخيبة للآمال، ولا تقارن بتماثيل الحيوانات الجميلة التي تمثل قطع اللعب الصغيرة من العاج والتي وجدت في قبر نيت حطب بنقادة، فالنانون في ذلك العصر كانوا سادة تحت العاج دون منازع، وكثير من التماثيل الصغيرة من هذه المادة التي عثرنا عليها في هيراكونبوليس وأيدوس على درجة كبيرة من الروعة. ومن

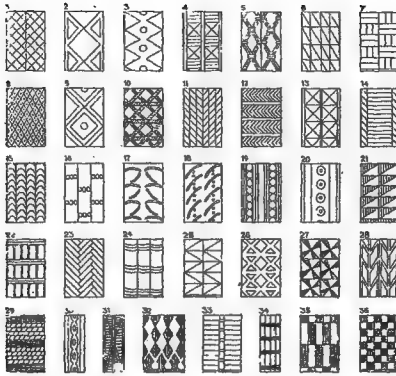
القطع الممتازة تمثل الملك مسن على رأسه تاج الوجه القبلى وقد التحف برداء مطرز خاص باحتفال السند ، ولم نعرف بعد الملك الذى تمثله هذه القطعة الفريدة الصغيرة ، وإن كانت بصفة عامة ترجع إلى أوائل الأسرة الأولى (لوحة ٣٠ ب) .

فن الرسم

إن فن الزخرفة البحث فى العصر العتيق يمكن تقسيمه إلى طلاء الجدران والتصميم المنحوت فى الأدوات من العظم والعاج والخشب وخاصة الأثاث . ومن الجلى أن الوحدة الأساسية فى التصميم الملون على جدران المباني هو النموذج المشتق من الحصير المجدول ، أما فى تركيبات الأثاث المنحوتة فقد كان من الشائع جداً استعمال النماذج القائمة على فكرة حزم من نبات البوص المربوطة . ويتبين ذلك فى وضوح تام فى التصميمات المرسومة فى شكلى ٩٨ ، ٩٩ وهى تمثل هذا الفن فى الأسرتين الأولى والثانية تمثيلاً تاماً . فبينما أصبح التصميم الذى على شكل البوص المربوط والمستعمل فى نحت العاج والخشب نادراً نسبياً فى العصور التالية نجد أن معظم رسوم الجدران ذات الألوان المتعددة قد ظلت قائمة طوال تاريخ مصر مع احتفاظها بترتيب ألوانها .



(شكل ٩٨) نماذج للزخرفة باللون على الجدران



(شكل ٩٩) نماذج التصميمات الزخرفية على الخشب والعظم والعاج

على أن أمثلة الرسم الحر بالفرجون غير شائعة مع وجود بعضها ،
وأهمها قطعة غير مهذبة من الحجر الجيري بسقارة عليها صورة
ثور وقرد .

التصميم الزخرفي

وإلى جانب النحات والنقاش كان هناك فنانون آخرون كصانعي
الأواني الحجرية التي كانت من الأدوات المنزلية الهامة في مصر في العصر
العتيق . وكان الفنان أحياناً لا يقنع بأشكالها البسيطة رغم جمال شكلها
ونفعه ، وربما أنتج مبتكرات متقنة خيالية ، التي إذا ما أخفقت أحياناً في
تحقيق الناحية الجمالية أدهشتنا بتنفيذها الفني . والأمثلة المينة في اللوحين
٣٨ ، ٣٩ فلا غبار عليها وهي تنتمي إلى الأسرة الثانية فيما عدا الصحن على

شكل ورقة الشجر ويمكن نسبته إلى عهد أويمو . ولعل أكثر تلك الألوان الحجرية غرابة ذلك الصحن الكبير الذى ينسب لسا بو . وهو من حجر الشيست ويرجع إلى منتصف الأسرة الأولى وقد نحت تقليداً لنموذج من المعدن له ثلاثة جوانب متسارية وقد نثيت حوافها العليا نحو ثقب فى الوسط . وهذا الابتكار العجيب يوحى بأن هذا الصحن صمم ليلائم قاعدة خاصة يوضع عليها .

وإن مابقى لنا من فنون الأسرتين الأولى والثانية لينهض دليلاً كافياً على المستوى الفنى الرفيع فى التنفيذ الذى كانوا قد توصلوا إليه بالفعل . فالنحت الجرىء القوى والابتكار فى التشكيل والقدرة الفنية على استعمال المواد الصلبة كانت جميعها أساساً لذلك التفوق فى الفنون ، الذى استحق المصريون من أجله شهرتهم الكبرى فى كل المنطقة الغربية من آسيا .

الفصل السادس

العمارة

إن معلوماتنا عن العمارة في مصر في العصر العتيق ترتكز كلية على المباني الجنائزية ولكن لحسن الحظ أن هذه المباني الخاصة بالموتى كانت إلى حد بعيد نسخاً تقليدية ليوت الأحياء ، وبالتالي فلا تعوزنا تماماً الفكرة عن المباني السكنية .

التصميم

لقد استعرضنا في الفصل الرابع العمارة الجنائزية وتطورها في الأسرتين الأولى والثانية ، فلنصفها الآن فيما يتعلق بالأدلة المصورة عن المعابد والمباني الأخرى التي تركها لنا فنان ذلك العصر . وربما يكون هذا الدليل غير كاف لأنه قاصر على رسوم صغيرة في لوحات من الخشب والعاج ضئيلة الحجم لم يعطها الفنان دقة متناهية نظراً لعدم أهميتها .

لقد صور لنا فنان ذلك العصر على الاختتام بعض المقصورات ، ولكن صورتها في هذه الحالة أيضاً من الصغر بحيث لا نستطيع معها أن نتحسس تفاصيل البناء الدقيقة . ويميل بعض المؤرخين إلى اعتبار المعابد والمقصورات المقوشة على البطاقات وعلى الاختتام مباني رقيقة من الأغصان تكسوها طبقة طينية . وقد تأثروا ولاشك في رأيهم هذا بالخطوط المنقطعة التي استخدمت في الرسم ، متجاوزين في ذلك حقيقة أن تلك لم تكن سوى وسيلة التعبير الشائعة في كافة أعمال النقش في ذلك العصر . حقاً لقد كانت بيوت الأحياء طوال عصور التاريخ المصري تبنى بمواد أقل متانة مما استعمل في مباني المقابر ، غير أنى أشك فيما إذا كان هذا ينطبق على مباني

المعابد والقصور التي أظن أنها كانت تشيد بنفس المواد المتينة التي أقيمت بها المقابر . وفي الحقيقة أن جميع المباني من اللبن في العصر العتيق بمصر كانت نسخاً من المباني الخشبية في الفترة السابقة، ولكن ما أن تأسست الأسرة الأولى حتى ازدهرت العمارة اللبنية الدقيقة وتطورت تطوراً كاملاً . ويكاد يكون من المؤكد أن العادة التقليدية في بناء المعبد والقصر من الخشب قد تلاشت، وربما قصر استخدام الخشب فقط على بيوت المواطنين من الطبقة الأقل أهمية . ويجرد أن تغلب البناء من على مشكلة البناء باللبن أصبح إنتاج هذه المادة بوفرة أكثر سهولة من الحصول على الأخشاب اللازمة للمباني الضخمة في بلد كصر تندر فيه الأخشاب ، وفي الواقع أننا ندرّك أن جميع كتل الأخشاب الضخمة التي استخدمت في سقوف المباني السفلية للمقابر الكبيرة كانت تستورد من الخارج .

ويمكن تفسير النطاق بين مباني المعابد كما صورت على البطاقات وبين المباني الجنائزية الكبيرة من اللبن ذات الدخلات والخرجات بأنها جميعاً قد اشتقت من نفس الفكرة المعمارية ، التي كانت في أساسها بناءً مستطيلاً له سقف مقوس وجدران قائمة عند الطرفين ، يشبه إلى حد بعيد التابوت الخشبي المبني في (شكل ٧٧) ومع أن مثل هذا المبنى كانت له مجموعة من الأبواب في جوانبه الأربعة ، فإن مدخله الرئيسي يبدو في طرقي الجانبين القصيرين . وكانت تضيء هذا المبنى نوافذ صغيرة تعلو الأبواب ، ومن المحتمل أن شكل هذا المبنى قد نشأ في الوجه البحري ، فقد طبق تصميم المبنى العلوي لمقابر الشمال خلال العصر العتيق ، واستمر في تصميم التوابيت الداخلية والخارجية حتى قدوم المسيحية ومع أنه يحتمل ، كما بينا سابقاً ، أن هذه المباني كانت من اللبن في عهد الأسرتين الأولى والثانية ، فإن شكلها العام لا يوحي بأنها كانت في الأصل هياكل لها سقوف وجدران كالخيام ، ويعزز هذا الرأي الزخارف التقليدية الملونة على جدرانها ذات الدخلات والخرجات وهي الزخارف التي أخذت شكل الحصر الملون المثبت بواسطة

حبال للربط ، كما تشبه الأعمدة الخشبية التي تحمل الهياكل التي قد يتدلى عليها مثل هذا الحصر . ولكن في العصر الذي نحن بصدده كان اللبن مادة إقامة مثل تلك المباني ، ولا يمكن لنا أن نؤكد أن الأسلوب المعهري ذي الدخلات والخرجات الذي يزين الجدران الخارجية لتلك الأبنية يعتبر تطوراً مباشراً للبناء على هيئة الخيام . وكل مانعه أنه مع قدوم جنس الأسرات ظهر في مصر هذا الطراز من المباني الأثرية لأول مرة . وفي هذه الصورة من المباني تظهر بوضوح الصلة بين مصر وبلاد ما بين النهرين . فأوجه التشابه القوية في المباني الطينية ذات الدخلات والخرجات في كلا المنطقتين واضحة تماماً بحيث لا يمكن تجاهلها سيما إذا اعتبرنا أنه لا يوجد في مصر على ما يبدو أصول سابقة أو دلائل تثبت تطور هذه المباني الضخمة المعقدة . ولكن هناك أيضاً اختلافات ، لأنه بالرغم من أن المهندس المصري قد شيد أبنية هذه مقاييس في تصميمها الخارجي إلا أنه توصل إلى هذه النتيجة مع استخدام قوالب من اللبن ذات أحجام تختلف اختلافاً كلياً^(١) . ونستنتج من ذلك أنه كانت هناك صلة غير مباشرة ، وربما وجد مصدر ثالث انتشر نفوذه في كل من الفرات والنيل . ولكن استناداً إلى مالدينا حالياً من معلومات فقد يكون من العبث إطالة التفكير في ذلك . ولا يمكننا أن نتجاوز الاعتراف بوجود علاقة بين مصر وبلاد ما بين النهرين لاشك فيها ، سوله كانت مباشرة أو غير مباشرة . هذا وقد استخدم الشكل المربع لمباني هذا الطراز في تصميم إطار « السرخ » الذي كان يكتب فيه اسم الملك وهو المعروف بالاسم الحوري (انظر الفصل الثاني) . إن إطار « السرخ » يمثل

(١) أحجام اللبن في عهد ازدهار جمعة لمصر في بلاد ما بين النهرين :

٢٠ × ٨٥ × ٨ سم

٢٣ × ٩ × ٦ سم

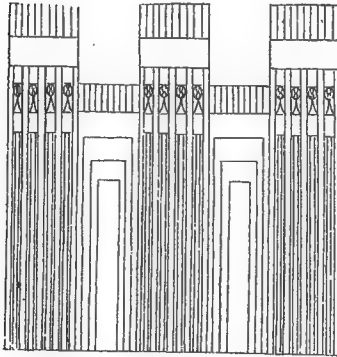
أحجام اللبن في عهد الأسرة الأولى في مصر :

٢٤ × ١٠ × ٥ سم

٢٣ × ١٢ × ٢ سم

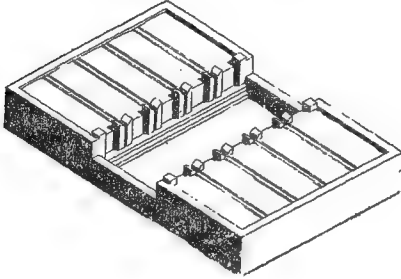
واجهة القصر ذات الدخلات والخرجات ، وهو مبنى فذ قد يشبه في مظهره الخارجى المباني العلوية للقبور الملكية ، وأدق مثل لتصميمه اللوحة الجنائزية الشهيرة للملك ، أوداجى (الثعبان) حيث الدخلات والخرجات التى تظهر على الجزء السفلى من إطارها تمثل تمثيلاً دقيقاً المباني اللبنيّة للقبور الكبيرة فى سقارة (شكل ١٠٠) .

وتبين الصورة القديمة لتصميم واجهة القصر ، السرخ ، على لوحة نعرمر أن هذه المباني كانت قائمة فعلاً قبل تأسيس مصر المتحدة . ومن الجدير بالملاحظة أن مثل هذا التصميم استخدمه ملوك طينة عما يدفعنا إلى إعادة النظر فى رأى القائل بأن هذه المباني ترجع كلية إلى مصر السفلى .



(شكل ١٠٠) واجهة قصر على لوحة أوداجى

وكانت هناك أشكال معمارية أخرى كازى فى نماذج المباني التى كانت جزءاً من الأثاث الجنائزى للملك «حورعما» فى سقارة (شكل ١٠١) . وما



(شكل ١٠١) منظر اكسونومتري لمبنى نموذجى

لاشك فيه أن المباني العلوية للمقابر الملكية فى أيديوس كانت ذات تصميم مختلف فى أساسه ، ويأخذ بلاشك شكل ركنه مستطيلة مكسوة باللين ، تطورت فى أواخر الأسرة الأولى إلى مبنى هرمى مدرج على نحو المبنى الذى أقيم فوق المقبرة رقم ٣٠٣٨ بسقارة (شكل ٤٣) .

ومن المحتمل أن المباني الخشبية ظلت قائمة فى المقصورات ، كتلك التى توضّحها لوحة أوديمو من أيديوس (شكل ٣٦) . وقد ظل هذا الطرز المعماري متبعاً فى تصميم المقصورة الداخلية التى كان يسكنها تمثال الإله بين هياكل المعبد فى العصور التالية . كما بقى الشكلان المعماريان التقليديان (شكل ١٠٢) كعلامتين هيروغليفيتين ، عرفتا فى العصور التالية

بالمقصورتين القديمتين الوطنيتين لمصر السفلى والعليا ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بوجودهما على هذا النحو في العصر العتيق .



(شكل ١٠٢) الهيكلان القوميان لمصر العليا والسفلى

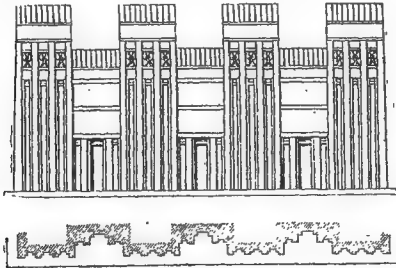
مواد البناء

ولنستعرض الآن مواد البناء التي استخدمت في تشييد المباني الأثرية الضخمة في العصر العتيق . كان اللبن مادة البناء الأساسية بالاستعانة بالخشب والحجر . وكانت قوالب اللبن تصنع من طمي النيل المزوج بنسبة ضئيلة من زن القش لتلافي زيادة الانكماش إذا ما جفت . وإذا لم يتوافر القش أضيف الرمل لنفس الغرض ، واسكن يتدر وجود لبنات بلاقش في العصر العتيق ، مع اختلاف نوع الطين حتى في البيضة الواحدة وتفاوت لونه من الرمادي الداكن إلى الأصفر الفاتح .

وبالطبع لم يستخدم الحجر في مصر إلا في العصر الروماني ، ولكن يجب أن نلاحظ أنه نتيجة لتدمير كثير من مقابر الأسرة الأولى بالنيران ، فلا بد أن عرف المصريون الأوائل الحجر . فقد أحال أولئك الذين أشعلوا النار كثيرًا من المباني العلوية للمقابر الكبيرة بسقارة إلى قائن للأجر فشوهت كميات من طوب تام الاحمرار بعد جريمتهم . ولدينا الدليل على أنه عند إعادة بناء بعض هذه المقابر الخربة أعيد استخدام الطوب الأصلي المحروق ذي اللون الأحمر . ولكن المهندس المصري اكتفى باستخدام اللبن الذي جففه الشمس ، وكان ذلك عن صواب ، لأن هذا الطوب

الأخضر وقد مضت عليه ٥٠٠٠ سنة دل على صلابة تعادل صلابة الأحجار
الليثة .

وتختلف أحجام قوالب اللبن في العصر العتيق من $٢٣ \times ١٢ \times ٧$ سم.
إلى $٢٦ \times ١٣ \times ٩$ سم وقد فضلت الأحجام الكبيرة في الفترة الأخيرة
من الأسرة الثانية . وقد استخدمت أحياناً لبنات صغيرة جداً في زخارف
الدخلات والخرجات الدقيقة لمباني الأسرة الأولى ، وكانت أبعادها دائماً
ثابتة وهي $١٧ \times ٥ \times ٥$ سم . ومن الجدير بالملاحظة أن لبنات صغيرة
من الطوب الأخضر أبعادها $١٣,٥ \times ٤,٥ \times ٤,٥$ سم وجدت في مذبح
معبد العين Eye-temple في Brak في شمال سوريا ، وترجع إلى ما قبل
عام ٣٠٠٠ ق . م .^(١) كما استخدم الطين المجفف أيضاً في تشكيل الوحدات
المعمارية كنموذج الحصير المتدلى رأسياً على واجهة القصر ، وكذلك في
الأسطوانات في أعلى الدخلات الصغيرة ، وربما استعمل أيضاً في الاعتبار
المربعة الشكل التي استخدمت في النوافذ التي تعلو الدخلات (شكل ١٠٣)



(شكل ١٠٣) رسم تمورى لواجهة قصر من أوائل الأسرة الأولى.

وتتميز هذه المادة بمقاومتها العجيبة وثقلها . ومن الواضح أنهم كانوا يحصلون عليها بتقوية الطين بشرائط صغيرة من ألياف الكتان وتحفيفه تحت ضغط كبير . أما عن كيفية الوصول إلى هذا الضغط فليس لدينا ما يثيرنا في ذلك ، ولكننا نلص متانة هذه المادة بمقاومة عتب وجد بسقارة تبلغ أبعاده في حالته التي وجد عليها مكسوراً $٦٣ \times ١٨ \times ١٠$ سم وهي أبعاد تدعو للسجب بالنسبة لأداة من الطين المجفف بالشمس .

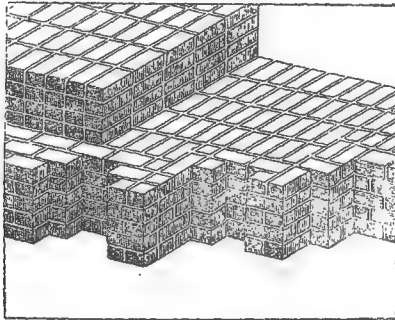
ولم يكن استخدام الحجر في هذه الفترة على نطاق كبير ، ولكن لدينا من الأدلة ما يثبت أن المهندسين كانوا على بينة من قيمته كأداة من مواد البناء ، وكانوا قادرين على استخدامه في نطاق واسع . وقد استخدم الحجر في الحوائط الساندة وحشو الدعامات ، وفي الأرضيات والسقف وسنادات الجدران وفي كتل السدادات والبوابات (لوحات ١٦ ، ١٧) وكان أكثر الأحجار استخداماً الحجر الجيري ، ومع ذلك فقد لاحظوا ما للحجر الجرانيت من قيمة ، وذهبوا إلى استعمال الكتل الجرانيتية خشنة التهذيب في أرضية قبر أوديمو بأيدوس .

كما استخدم الخشب أيضاً بكميات كبيرة في السقف والأرضيات ولتغطية سطوح جدران الغرف . والمعروف أن مصر كانت دائماً تفتقر إلى الأخشاب ، ومع أن الخشب المحلي قد استعمل في تبطين الغرف وما شابه ذلك ، إلا أن كتل الخشب الضخمة وألواح الخشب الكبيرة التي كانت تستخدم في السقف كانت تستورد من لبنان . وإلى جانب استخدام كميات من خشب النخيل الذي كان يسهل عليهم الحصول عليه ، فإن خشب الأرز كان النوع الوحيد الملازم للأعتاب اللازمة للغرف الكبيرة السفلية في مقابر الملوك .

تشيلد الألفية

استخدمت طرق مختلفة لكي تتماسك قوالب اللبن في بناء الجدران . وكانت هذه الطرق تختلف كثيراً كلما اتسع الجدار كما هو مبين في

(شكل ١٠٤ ، ١٠٥) : وفي المباني ذات الجدران الكبيرة وضعت طبقات من حصر البوص على مسافات تتراوح بين خمسة مدا ميك وثمانية ، لتساعد على ربط البناء وتجهيف داخله بطريق والتوصيل ،^(١) وكان يستبدل الحصر أحياناً بشباك رقيقة من العصى ، توضع فوق كل مدءك خامس . وقد عرف أيضاً مبدأ العاضدة لتقوية الجدار ، ولكنها كانت تستخدم في الجانـب الداخلي فقط من الجدران .



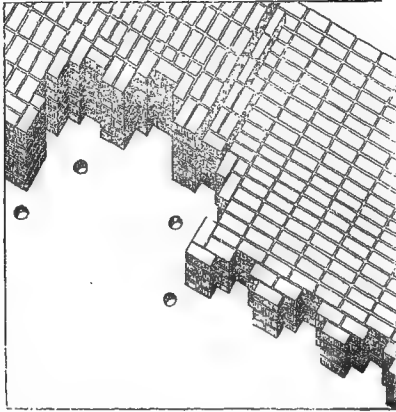
(شكل ١٠٤) نماذج طرف تماسك قوالب اللبن

وكما ذكرنا من قبل كان الحجر يستعمل غالباً في الحوائط الساندة وللتقوية ، ولما كانت هذه المباني مؤقتة بطبيعتها في جميع الأحوال تقريباً ، أو على الأقل يحتمل أن تطمر في المبنى النهائي بحيث لا ترى ، استخدمت لذلك كتل الأحجار غير مهذبة القطع وكانت تثبت بملاط من الطين أما الأحجار المصقولة بعناية فقد استخدمت في السكساء الداخلي لحجرة دفن مقبرة خع سخموى في أيدرس ، وفي مقابر طبقة الأشراف الثانية بجلوان^(٢) حيث

Conduction.

(١)

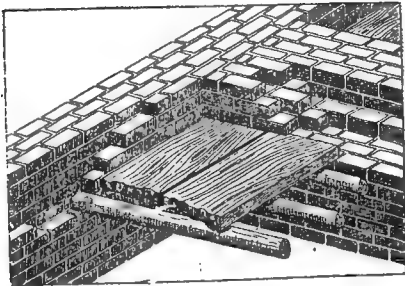
(٢) كهف المر ب أيضاً من بضـه مقابر لطيفة الأشراف الثانية في طرة الأسمت ببلية بالبحر الجبرى الممتول وحى من الأسرة الأولى .



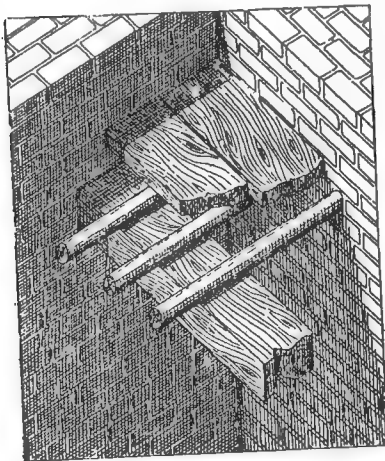
(شكل ١٠٥) تفصيل للبناء باللبن

نجد جدران الغرف السفلية مشيدة بقطع كبيرة من الحجر الجيري الذي أحسن تهذيبه . وبعض تلك الأحجار تبلغ أكثر من مترين طولاً ومترين ارتفاعاً وأربعة أمتار في السمك .

والطريقة الشائعة جداً في إقامة السقف كانت بواسطة كتل الأخشاب التي وضعت قرب بعضها البعض والألواح الخشبية كما هو مبين في (شكل ١٠٦) . ولكن عندما يراد تغطية مساحة كبيرة كانت تلك الكتل الخشبية تحمل على كتل عرضية ضخمة من الخشب بالطريقة الموضحة في (شكل ١٠٧) . وهناك طريقة أخرى غريبة لبناء السقوف ، لدينا منها مثل واحد في أحد القبور الكبيرة في سقارة يمكننا اعتبارها طريقة لعمل السقف والأرضية فيما بين طابقين . وفي هذه الحالة تعتبر ألواح الخشب سقفاً أسفل الكتل الخشبية التي رصت متقاربة جداً بما يسمح بملء الفراغ بينها باللبن كما هو



(شكل ١٠٦) تفصيل لوضع السقف الخشبي

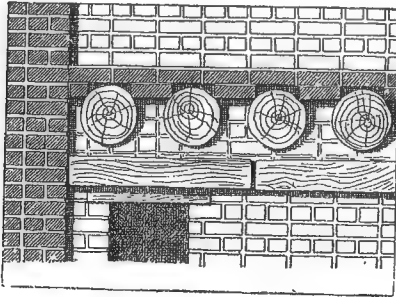


(شكل ١٠٧) تفصيل آخر لوضع السقف الخشبي

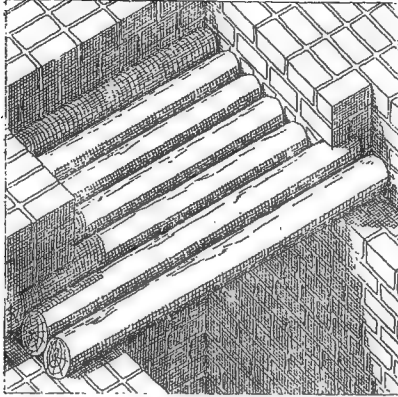
موضح في (شكل ١٠٨) . وكانت الفراغات الضيقة كالداليز والسلام تسقف أحياناً بكل خشبية ترص بجوار بعضها البعض . وقد أصبحت طريقة التسقيف هذه تقليدية في المباني الحجرية في عصر بناء الأهرام (شكل ١٠٩) وقد سقفت الحجرات الصغيرة والممرات أيضاً ببلاطات سميكه من الحجر لا تتناسب أوزانها مع المساحة التي تغطيها .

هذا وقد عرف المصريون القبو المائل على شكل برميل ، المبني من اللبن ، منذ أواخر الأسرة الأولى على أقل تقدير (شكل ٩٠) . ورغم أن الأمثلة التي عثرنا عليها كانت تغطي مقابر في شكل حفر صغيرة ، فإنه يبدو من الأسقف المقوسة لنماذج المباني وأغطية التوابيت الخشبية ، التي نعلم أنها كانت نسخاً للبياني السكنية المعاصرة ، أن بناء الأقبية على نطاق أوسع لم يكن عسيراً على أولئك البناء الأوائل .

وقد شاع استعمال طرق مختلفة لعمل الأرضيات ، ولكن أكثر تلك الطرق شيوعاً كانت بوضع طبقة من الطين المتماسك ذات سطح مستو ،



(شكل ١٠٨) تفصيل لوضع السقف الخشبي



(شكل ١٠٩) تفصيل لوضع السقف الخشبي

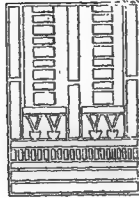
وبعد أن نجف تغطي بملاط من الجبس وتترك بعد ذلك يبيض أو تطلي بألوان أخرى ، وقد وجدنا في أيديوس وسقارة أرضيات مغطاة بالحجر ، ولكن تلك الطريقة لم تكن شائعة واستخدمت فقط للبياني الهامة كحجرة دفن الملك أوديمو في أيديوس وإحدى حجرات المعبد الجنائزي لقبر ينسب للملك وقاعا ، في سقارة (لوحة ١٤) . والأرضية التي عثرنا عليها في أيديوس من كتل الجرانيت خشنة الصنع . أما تلك التي في سقارة فهي من بلاطات مستطيلة من الحجر الجيري الصلب يبلغ حجمها نحو ٨٠ × ٨ سم وقد ثبتت بعناية فوق طبقة من التراب . وكانت أرضيات كثير من حجرات الدفن بالمقابر الملكية في الشمال والجنوب من ألواح خشبية ، أسفلها دعام من كتل الخشب تحدها مسياج سطحية ، وتوضح تفاصيل تلك الطريقة

اللوحة ٢١ .

ويرجع تاريخ الدرج على الأقل إلى منتصف الأسرة الأولى ولكن أقدم أمثلته سواء المبنى منه باللبن أو الحجر أو المنحوت منه في الصخر الطبيعي ، تحتفظ جميعها بشكلها الأصلي وهو المنحدر : فهو ذو مصعد قائم قليل الارتفاع ، وموطىء منحدر بزاوية كبيرة إلى حد ما . وقرب نهاية الأسرة الثانية اتجه موطىء السلالم إلى الوضع الأفقى مع بعض الانحدار . ويستثنى من ذلك الشرفات المدرجة في الجزء الداخلى من المبنى العلوى للقبرة رقم ٣٠٣٨ ، فلها مصعد قائم وموطىء أفقى تماماً . ولم نعر حتى الآن في العصر العتيق على درج مستقل للمبنى .

وبالرغم من أنه لم تصل إلينا أبواب حقيقية ، فقد عثرنا على نقوب محاورها في الدرجات الخشبية ، ومن الواضح أن مداخل الغرف ومخارجها كانت تصان بتلك الطريقة التقليدية . ويمكننا القول أن حاجزاً يتحرك في نقبين كان قد اخترع في الأسرة الأولى .

وربما شابه من جميع الوجوه الأساسية الأبواب الخشبية التي وصلت إلينا من عصر بناء الأهرام ، وتتكون من لوح أو لوحين من الخشب دعما بعوارض أفقية . وهذا ورغم عدم عثورنا على إطارات النوافذ الحقيقية فهناك ما يدل دلالة واضحة على أن المبنى المستطيل التقليدى كان الضوء يتخلله في الداخل بواسطة نوافذ صغيرة مرتفعة ، تعلو اللوحات الغائرة التي تزخرف واجهة البناء . ويمكن مشاهدة تلك النوافذ في الجزء السفلى من زخرفة السرخ في اللوحة الجنائزية للملك أودجى (الثعبان) حيث تظهر بوضوح رسمها الرقيق لتصميم زهرتين من أزهار اللوتس مربوطتا معاً (شكل ١٠٣) ، والنوافذ التي تحمل هذا الشكل نجدها في جميع الرسوم الدقيقة لهذا النوع من العمارة . وإذا عدنا إلى صلة عصر بيلادما بين النهرين فيما يختص بهذا الموضوع ، وجب أن نلاحظ أن رسماً نباتياً مشابهاً يمكن رؤيته فيما تبدو أنها فخوات النوافذ في صور المباني التي ترجع إلى عصر جمدة نصر بالفترات



(شكل ١١٠) واجهة بناء من عصر جمدة نصر

(شكل ١١٠) ويمكننا أن نرى بوضوح النوافذ المقامة على مستوى مرتفع في نموذج منزل من الأسرة الأولى في العمرة .

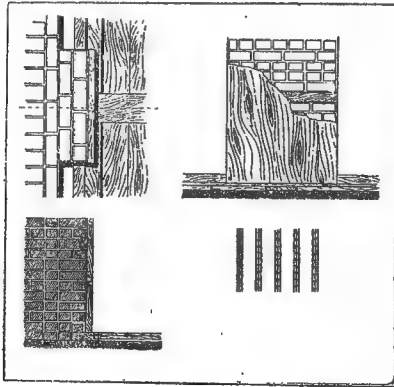
هذا وقد أبدى أولئك المهندسون الأوائل ذوقاً ورقة تثير الدهشة في زخرفة مبانيهم . فبعد إتمام البناء كانت تغطي سطوحه الخارجية أولاً بطبقة من ملاط الطين سمكها نحو سنتيمترين ، وبعد جفافها كانت تغطي بطبقة أخرى من ملاط الجبس ، وهذه بدورها كانت تغطي بالجير الأبيض . كل ذلك كان بمثابة الأرضية التي يغطيها النقاش بتصميمات مشكلة تمثل الحصير المتدلى على الجدران بألوانه السوداء والحمر والأصفر والزرقة والخضراء . وقبل تلوين التصميمات كانت ترسم باللون الأحمر على الأرضية البيضاء لسطح الجدار ، ويجدر بنا أن نلاحظ أنه كانت تعد خطوط ومربعات لتحديد النسب للسير بمقتضاها على نحو ما يفعل رسامو اليوم ، وذلك يجذب جبل مشدود سبق غمسه في طلاء سائل وشهد بإحكام على سطح الجدار .

وكانت الجدران الداخلية للممرات تغطي عادة باللون الأبيض البسيط أو الأصفر ، وغالباً ما كان يغطي الجزء السفلي من الجدران باللون الأحمر تارة

والأسود تارة أخرى . وكانت تصنع الألوان المستعملة من مسحوق مواد معدنية ممزوجة في الماء ، وربما في الصمغ ، وكما أشرنا من قبل كانت هذه الألوان في الواقع مائية . وكانت فراجين الألوان تصنع من عيدان رفيعة من البوص دقت أطرافها وفصلت أليافها بحيث تتخذ شكل الخصلات .

وكانت جدران الغرف المهمة تغطي غالباً بحصير ملون يلصق عليها بنفس الطريقة التي تلصق بها الأوراق على الجدران الآن . وفي حالات أخرى كانت الجدران تغطي بأعمدة غير سميكه مقلدة بالخشب ، وفي حالة واحدة على الأقل كان الكساء الخشبي لتلك الأعمدة مطعماً بشرائط من رقائق الذهب نقشت فيها رسوم تقليدية لحزم البوص (شكل ١١١) .

ورغم أن للمهارة المصرية في العصر العتيق طابع خاص ، لانجده في مكان



(شكل ١١١)
تفصيل للأعمدة المكسوة بالخشب

آخر إلا أننا نستطيع أن نقارن بين سرعة تقدمها وبعض نواحي طرزها ،
وبين التطورات التي كانت تحدث في ذلك الوقت في جملة نصر في بلاد
ما بين النهرين ، ومع ذلك فقد كانت مصر أسبق من وادي الفرات في البدء
باستخدام الحجر المنحوت في البناء . أما من حيث الجدران الملونة ذات
الدخلات والخارجات ، واستخدام الأخشاب في الواجهات ، فالمقارنة بينهما
ممكنة إلى حد ما ، وإن كانتا ولا شك ترجعان في ذلك إلى أصل
واحد مشترك .

الفصل السابع

اللغة

إن معلوماتنا عن اللغة في مصر في العصر العتيق لا يمكن أن توصف إلا بأنها معلومات أولية ، ففي هذه المرحلة من بحثنا لا يجد عالم اللغة من الوثائق التي يمكن دراستها إلا النذر القليل . ومع ذلك فإن معول الحفار يزودنا بمواد جديدة سنوياً ، ولدنيا الآن ما يشهد بأن الكتابة لم تكن أبداً في دور الطفولة حتى بداية الأسرة الأولى .

لغني أقدم النصوص تبين أن الكتابة قد تجاوزت مرحلة استخدام العلامات الدالة على كلمات فقط ولم تكن سوى صور الأشياء والأفعال . بل هناك علامات أخرى استعملت للتعبير عن الأصوات وحدها ، مع تطور نظام علامات الأرقام . وعلاوة على أن الحروف الهيروغليفية أصبحت في ذلك الوقت نمطية وتقليدية ، فقد شاع استخدام الكتابة المبسطة . كل ذلك يدل على أن الكتابة لابد أنها قد مرت بفترة تطور كبيرة ، دون أن نعتزلها على أثر في مصر حتى الآن .

ويقول بعض العلماء إن لغة الكتابة إذا توفرت لها الدوافع الكافية يمكن أن تتطور بسرعة كبيرة ، ومع ذلك فإننا قد نتوقع العثور على دليل هذا التطور ولو كان حدوده في فترة محدودة . ومن الممكن بالطبع أن تكون الكتابة قد نشأت في الوجه البحري ، وهو كما أوضحنا من قبل كتاب مغاق بالنسبة للعصر العتيق . ولكننا نأمل أيضاً العثور على دليل ما لتطورها في الوجه القبلي خلال المصور قبل التاريخية ، وما لم نعتزل على ما يدحض هذا الرأي علينا أن نقبل الحقيقة التي تنادى بوجود نظام للكتابة متطور تطوراً .

تماماً بما يمتشى وظهور العمارة الأثرية المتقدمة تقدماً كبيراً. ولنستعرض الآن مصادر المواد المكتوبة وأنواعها.

النقوش الأثرية

ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات، اللوحات الملكية، واللوحات الخاصة بالأفراد والكتابات الموجودة على بعض المباني. أما اللوحات الملكية فقد عثر عليها جميعاً في أيديوس، وكلها تأخذ شكل لوح من الحجر يحاط في بعض الأحيان بإطار وينقش بداخله اسم الملك (شكل ٤٨) أما اللوحات الصغيرة الخاصة بالأفراد، التي وجدت في قبور الاتباع التي تحيط بالمقابر الملكية في أيديوس، فهي رغم خشونة صناعتها غزيرة المادة، لأنها غالباً ما تنضم إلى جانب اسم صاحبها ألقابه، ويبين (شكل ٢٥) بعض نماذج هذه اللوحات.

لقد وجدنا لوحتين فقط لتبيلين من الأسرة الأولى. إحداهما من أيديوس والأخرى من سقارة، وكلاهما من عصر قاعا آخر ملوك هذه الأسرة. وتنتهي اللوحة الأولى إلى وسابف، أحد رجال الحاشية الملكية، وتنتهي الأخرى إلى دمركا، أحد السكينة (لوحة ١٣٠) والنصوص الخاصة بهذين الأثرين من أكثر النصوص التي عثر عليها تطوراً، فهي تحوى لأول مرة عبارات نحوية أصبحت طابعاً تقليدياً في العصور التالية.

وفي الأسرة الثانية تطورت اللوحات الخاصة بالأفراد تطوراً تحدده التقاليد، وهي غنية بكتابتها (لوحة ١٣٢) وفي نهاية تلك الأسرة في عهد الملك خع منخموي وجدت كتل حجرية عليها كتابات وكتف باب في في هيرا كونيوليس والكاب، عليها صور من الكتابة الهيروغليفية، تكاد لا تختلف عن مثيلاتها فيما بعد في عصر بناء الأهرام.

البطاقات Labels



(شكل ١١٢) نماذج لبطاقات خشبية وعاجية

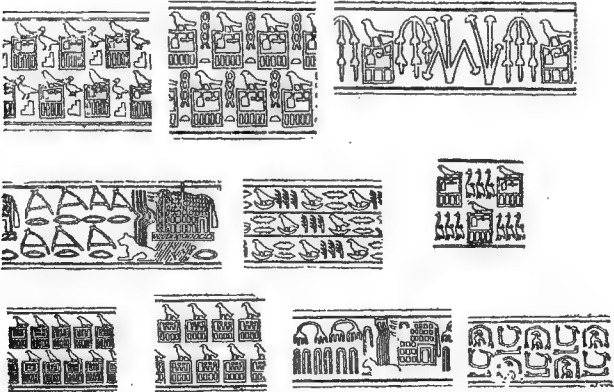
إن من أهم مصادر الوثائق التاريخية المكتوبة بالنسبة للأسرة الأولى البطاقات الصغيرة من الخشب والعاج التي كانت تلتصق بالأدوات والأشياء الموضوعة في المقابر. هذه البطاقات الصغيرة يتراوح حجمها ما بين ١ × ١٢ سم و ٧ × ٩ سم، وهي تارة منقوشة وتارة مكتوب عليها باللون الأسود والأحمر، ولكنها جميعاً تحمل نصوصاً تتعلق بالموت الذي هي عالقة به كاسمه وكيته. ولكن البطاقات الأكبر حجماً فوق كل شيء غالباً ما تسجل أهم حدث في إحدى سنى حكم ملك، وهذه كانت الطريقة المتبعة في تحديد تاريخ التسجيل. وكان تبع في حواريات حجر بالرموفان كثيراً من البطاقات وخاصة ما ينسب منها إلى النصف الثاني من الأسرة الأولى تحمل نصوصاً تسبقها علامة السنة. ورغم أن هذه النصوص التاريخية لم تحمل رموزها بعد بطريقة مؤكدة، إلا أنه من الممكن التأكد من غوى المقصود من النص. وهناك بطاقات أخرى لا تحمل سوى الاسم وكنية المادة التي أنصفت بها. ومع ذلك فهذه النصوص القصيرة تمدنا بمادة قيمة جداً لدراستنا وشكل ١١٢ يرينا أمثلة نموذجية لهذه البطاقات.

أختام سدادات الجرار

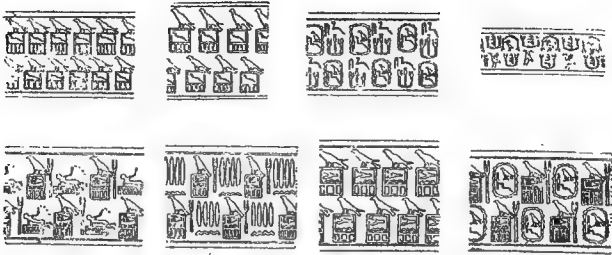
ولكن أغنى مصادر المواد المكتوبة وهي ما أمدتنا به طبعات الاختتام

على كتل الطين التي كانت تغلق فتحات جرار الخمر والطعام (أشكال ١١٣، ١١٤، ١١٥) وقد علمنا هذه العلامات بواسطة اختتام اسطوانية من الخشب أو الحجر عليها نقوش ، تمرر فوق عجيبة الطين حتى تكرر العلامة المطلوبة مراراً ومرات ، ونصوص هذه الطبقات يصعب حل رموزها حلاً مؤكداً شأنها في ذلك شأن البطاقات ، ولكن بما أنها تشير أساساً إلى أسماء وألقاب فقد تقدمت تقدماً ملحوظاً سيما فيما يخص بالخط الذي كتبه به ، إذ أنه قد بذلت فيها عناية كبيرة فافت عنايتهم بالبطاقات ، مما أدى إلى أن تكون هذه العلامات في الغالب ذات أشكال واضحة ومفصلة ، حتى ليكن بسهولة أن نرى فيها الأصل السابق للعلامات الميريوغرافية التقليدية في العصور التالية .

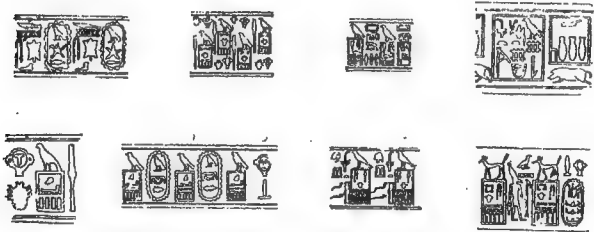
وحتى في هذا العصر الباكر فإن الناسخ المصري كان قد طبق القاعدة



(شكل ١١٣) نماذج لاختتام جرار أوائل الأسرة الأولى



(شكل ١١٤) نماذج لاختتام جرار أو اسط الأسرة الأولى



(شكل ١١٥) نماذج لاختتام جرار أو اخر الأسرة الأولى

التي تقول بأن نظام العلامات يجب أن يخضع لتناسق التصميم، ففي الختم المعين في (شكل ١١٦) مثلاً نجد أن اسم الوزير كتب بالتناوب حواكاً نارة، وكأما نارة أخرى ليصل بذلك الكاتب إلى تصميم سار. والشكل الشائع لعلامات الاختتام هو ذلك الذي يكرر فيه اسم الصقر لذلك في صفين عدة مرات، أو في صف واحد مع ألقابه بين كل اسم . ويستمر هذا الشكل خلال

العصر العتيق بأكمله . وهناك تصميم آخر شاع في الجزء الأول من عصر الأسرة الأولى، يتخذ شكل مقصورة رسمت بالخطوط المتقاطعة، أمامها لبوة ومجموعة مكررة من العلامات .



(شكل ١١٦) ختم إناه للوزير حما كا

وفي خلال الأسرة الثانية قل استعمال الاختام في طبع سدادات العطين لجرار الطعام والخمر ، لذلك لم تكن هذه الفقرة غنية في موادها المكتوبة كالأسرة الأولى . ومع كل فائز الاختام التي نمر عليها أحسن تصميماً وتنفيذاً، وتدل على تقدم كبير للوصول إلى مجموعات العلامات التقليدية في الصور التالية .

نقوش الأواني الحجرية والفخارية

ومن المصادر الهامة الأخرى للوادر المكتوبة هي تلك النصوص التي نجدها على الأواني الحجرية والفخارية ، ويمكن تصنيفها بإيجاز فيما يلي :

١ - النصوص المنقوشة على الأواني الحجرية (شكل ١١٧) : وهي تشير في معظم الأحوال إلى أسماء وألقاب، وفي بعض الحالات القليلة تشير إلى حدث ما ، كاحتفال البيويل (سد) أو إلى مكان ما كقبر ملكي أو قصر . والنصوص من هذا النوع بصفة عامة يبدو أنها عملت لتشير إلى ملكية الإناه أو المكان الذي ينتمي إليه .

ومع كل فهذا التفسير لا يرضينا كل الرضا . فلدينا مثل قطعة عليها



(شكل ١١٧) نماذج للكتابة بالحفر على الاواني

اسمان أو ثلاثة ملكية حضرتها نفس اليد. وفي الفترة الأولى من الأسرة الأولى كانت تلك الكتابات تنقش بطريقة بدائية وباختصار، ولكن طريقة الكتابة على الاواني الحجرية تقدمت بمرور الزمن ، وما أن حل عصر الأسرة الثانية حتى نجد أن مثل هذه النصوص تكتب بعناية وبعلامات جميلة الشكل.

٢ - النصوص الملونة على الاواني الحجرية (شكل ١١٨) : وهي ليست شائعة مثل النصوص المنقوشة، وكان يستخدم في كتابتها المداد الأسود



(شكل ١١٨) نماذج للكتابة المرسومة على الاواني الحجرية

وفرجن سميك. وهذه النصوص أيضا تشمل أسماء وألقاباً تشير إلى أصحابها، وتدل طبيعتها السلسة الشبيهة بالخط الدارج ، على أنهم قد ألفوا لمدة طويلة استعمال هذه الطريقة في الكتابة السريعة .

٣ - النصوص المحفورة على الأواني الفخارية قبل حرقها (شكل ١١٩)
وهذه لا يمكن خلطها بعلامات الأواني التي سيأتى الكلام عنها فيما بعد ،
فهي كتابة هيرغليفية حقيقية رغم بدائية نقشها . ومع أننا وجدنا من أمثلتها
مئات إلا أنها كلها تقريباً ترجع إلى عهد ملوك من الأسرة الأولى هما :
عندج إيب ، سمرخت ، والنصوص الخاصة بالملك عندج إيب تمثل بناء
مدرجاً به مجموعة من العلامات ، بينما تمثل نصوص سمرخت اسمه .
العقر حورس في شكل يضارى مسنن ، أو سياج حصن . وربما يبدو أن
النقوش تدل على أسماء أما كن أوضحها الفخاراني لتشير إلى المبنى أو القصر
أو القبر الذى قصد من أجله الإناء .



(شكل ١١٩) نموذج للكتابة بالحفر على الأواني الفخارية

٤ - النصوص الملونة على الأواني الفخارية (شكل ١٢٠) : وهي
نصوص مكتوبة بالخط الهيرغليفى الدارج وتبين عادة اسم صاحب الإناء
وعتويات الإناء . وقد وجدنا أمثلة لهذا النوع من المواد المكتوبة ، وترجع
إلى ما قبل الأسرة الأولى في عهد نمرمر وكذلك في عهد الملك قاعا .
وكان طلاء هذه النصوص خلال الأسرة الأولى بالمداد الأسود ، أما في
الأسرة الثانية فقد شاع استعمال الطلاء الأبيض .



(شكل ١٢٠) نموذج للكتابة المرسومة على الأواني الفخارية

نقوش الأدوات الأخرى

وفضلاً عن المادة المكتوبة التي عثرنا عليها على الآثار الحجرية والبطاقات وأختام الجرار والأواني الفخارية والحجرية ، نجد أن أشياء أخرى قد نقش عليها أحياناً نصوص قصيرة ، وذلك مثل أدوات التجميل وقطع اللعب والأدوات وغيرها ، كتطاء الصندوق الخاص بختم الملك أوديمو الذى يحمل اسمه ويشرح محتويات الصندوق . ومن كل هذه المصادر يمكننا الآن أن نجمع ٢٠٣ علامة هيروغليفية أصبحت شائعة الاستعمال في العصور التالية .

علامات الأواني

وننتقل الآن إلى الحديث عن علامات الأواني التي يصح أن نسميها علامات زهرية ، لا تتصل بتاتاً بالعلامات الهيروغليفية المعروفة ، وقد عثرنا عليها منقوشة على جرار الخمر الكبيرة من الأسرتين الأولى والثانية (شكل ١٢١) وقد نقشت هذه العلامات بأداة حادة على الجرار قبل حرقها ، ولا يزال المقصود منها موضع جدال ، ومن المؤكد أن هذه العلامات لم توضع عبثاً ، بل تشير على نهج ما من المجموعات المنتظمة ، وقد اختلف في وصفها ، فالبعض يقول بأنها علامات ترمز إلى أصحابها وآخرون يقولون إنها توقيعات صانعيها ، أو إشارات إلى ماسيحيه الإله مستقبلاً . إلى غير ذلك من التفسيرات ، ولكننا لا نجد في هذه التفسيرات ما يقنعنا تماماً ، فلا يمكن أن تكون علامات لأصحاب الجرار أو توقيعات لصانعيها ، لأننا قد لاحظنا نفس مجموعات هذه العلامات على أوان يفصل ما بين تاريخ صناعة واحدة منها والأخرى فترة من الزمن تزيد على المائة سنة . ومن الممكن أن تشير هذه العلامات إلى المصنع الذى صنع فيه الإلهاء . ولكن حتى هذا التفسير لا يبدو قوى الاحتمال ، إذ أننا نجد مختلف مجموعات العلامات على أوان

	١	٥٥ . ٥٥
	٢	٥٥ . ٥٥
١١	٣	٥٥ . ٥٥
	٤	٥٥ . ٥٥
١١	٥	٥٥ . ٥٥
	٦	٥٥ . ٥٥
١١	٧	٥٥ . ٥٥
	٨	٥٥ . ٥٥
١١	٩	٥٥ . ٥٥
	١٠	٥٥ . ٥٥
١١	١١	٥٥ . ٥٥
	١٢	٥٥ . ٥٥
١١	١٣	٥٥ . ٥٥
	١٤	٥٥ . ٥٥
١١	١٥	٥٥ . ٥٥
	١٦	٥٥ . ٥٥
١١	١٧	٥٥ . ٥٥
	١٨	٥٥ . ٥٥
١١	١٩	٥٥ . ٥٥
	٢٠	٥٥ . ٥٥
١١	٢١	٥٥ . ٥٥
	٢٢	٥٥ . ٥٥
١١	٢٣	٥٥ . ٥٥
	٢٤	٥٥ . ٥٥
١١	٢٥	٥٥ . ٥٥
	٢٦	٥٥ . ٥٥
١١	٢٧	٥٥ . ٥٥
	٢٨	٥٥ . ٥٥
١١	٢٩	٥٥ . ٥٥
	٣٠	٥٥ . ٥٥

(شكل ١٢١) علامات الآواني

جاءت بالنأ كيد من نفس المصدر كما يدل على ذلك شكلها أو طبيعة طبيعتها .
وهناك فرض واحد مؤكد وهو أن نظام وضع هذه العلامات لم يكن عدداً
بأقليم معين ، بل كانت مستعملة في مصر كلها . كما أن هذه العلامات لم تكن
محددة بفترة معينة ، لأننا نجد نفس المجموعات مستعملة لفترة تزيد على
ثلاثة سنة .

الفصل الثامن

التجارة

الواردات

هناك دليل قاطع على وجود تجارة داخلية منظمة في مصر في العصر العتيق، وإذا ما لحصنا الأدوات غير المصرية يتضح لنا أن تبادل مصر السلع مع جيرانها الأجانب كان على نطاق واسع منذ أقدم العصور .

وربما استطعنا أن ندرك مدى تشعب التجارة الداخلية وانتشارها، إذا وضعنا في الاعتبار مصادر المواد الطبيعية التي وجدت في مراكز متباعدة جداً، كسقارة وأيدوس وهيراكونبوليس . ففي صناعة الأواني الحجرية مثلاً، وهي من الصناعات الهامة ، من المحتمل أنهم يحصلون على المرمر من محاجر حاتتوب في الصحراء الشرقية ومن منطقة خلف حلوان، والبازلت من الفيوم، والديوريت من الصحراء الشرقية وأسوان، وبعض أنواعه من منطقة شمال غرب أبو سنبل بأربعين ميلاً ، كما استخرجوا أحجار البريشيا من بعض مناطق الصحراء الغربية فيما بين المنيا وإسنا ، والذليت من الصحراء الشرقية، والشيس والرماد البركاني من وادي الحمامات ، والرغام والصدخ السياقي من منطقة ساحل البحر الأحمر ، وحجر السياقي الأحمر الطوري من جبل الدخان في الصحراء الشرقية ، وحجر الثعبان (السرينتين) والبللور الصخري من الصحراء الشرقية .

كما يتضح انتشار الفخار على مدى واسع من علامات الأواني ، وهي علامات خاصة تنتشها يد صانع واحد ، ووجدت في مناطق مختلفة في طول

البلاد وعرضها في العصر العتيق . ورغم أنهم كانوا يستخدمون الأحجار المحلية في البناء إلا أنهم لم يحملوا نقل الأحجار من مناطق بعيدة ، كالجرانيت من أسوان ، وقد استخدم في قبر أوديمو بأيدوس ، كما وجدت قطع من جرانيت أسوان في أطلال العصر العتيق بسقارة .

ولا بد وأن اعتمد المصريون الأوائل على الزخافات في نقل الأحجار من محاجرها إلى مختلف الجهات ، لأنهم لم يعرفوا العربية ، رغم أن معاصريهم في بلاد ما بين النهرين اكتشفوا استخدامها في ذلك الوقت . وإذا ما تم نقل تلك الأحجار إلى ضفاف النيل ، أصبح من السهل نقلها إلى المكان المقصود ، لجميع الأماكن الهامة يسهل بلوغها من ذلك النهر .

كانت شبه جزيرة سيناء ، التي كانت تعتبر خارج الحدود المصرية ، مصدراً للمواد الخام المختلفة ، من أهمها النحاس والملحيت والفيروز ، وكانت الواردات الأجنبية في ذلك العهد البكر رغم قلتها لازمة ، لأسباب الخشب في الأغراض البنائية . وما من ريب في وجود تجارة عظيمة للأخشاب في عهد الأسرة الأولى ، نظراً لاعتماد المهندسين وصانعي القوارب على استيراد كميات كبيرة من خشب الأرز والسرو من لبنان وسورية كما استوردوا الأبنوس لزخرفة الأثاث من أقصى الجنوب ، حيث حصلوا أيضاً على كميات من سن الفيل ، ومن المواد الهامة الأخرى ذات المصادر الخارجية الأوبسديان واللازورد من غرب آسيا والراتنج من أقصى الجنوب .

ومن الواردات الأخرى ذات الأهمية الخاصة بالنسبة للأرضى نوع من الآواني الفخارية صنعت ولا شك في الخارج ، وكانت كثيرة الاستعمال في النصف الثاني من الأسرة الأولى . وربما يكون مصدر هذه الآواني التي تشبه القوارير شمال سورية ، ووجدت طريقها إلى مصر كأوعية لزيت الزيتون أو غيره من السلع المصدرة . وقد عثرنا على تلك الآواني في بيلوس

(جبيل) الميناء السوري الذى ترسل منه البضائع إلى مصر . ولكن عثورنا على أوان مصرية من نفس العصر في ذلك الميناء ، ربما كانت من الواردات إلى سوريا ، لذلك يبدو من المحتمل أن هذه القوارير نفأت في تلك المنطقة .

الصادرات

إن ما نعرفه عن صادرات مصر قليل ، ولكن أوانها الحجرية عثر عليها في بيلوس وفلسطين وكريت^(١) ، وفي بلاد اليونان الأصلية أيضاً في مسينا وأسين ، حتى أنه ما أُنْجِل عصر الأسرة الثانية حتى كانت مصر تصدر إلى جانب المواد الخام منتجاتها الصناعية إلى أقطار بعيدة . ومن المحتمل أن طرق التجارة في ذلك الوقت كانت نفس الطرق التي استخدمت في العصور التالية : الطريق البحرى إلى بيلوس للتجارة السورية ، وطريق العوجه عبر شمال سيناء للوصول إلى فلسطين ، وطريق وادى طميلات إلى جنوب سيناء ، ووادى الحمامات إلى البحر الأحمر ومنه جنوباً إلى الصومال وسواحل الجزيرة العربية ، وأخيراً طريق النيل إلى السودان .

النقل

لأنعرف إن كانت البضائع المرسلة بجرأ تحملها سفن مصرية أو يتولى نقلها التجار الأجانب ، ولكن حيث أنه من الواضح أن سفناً كبيرة كانت تسير في النيل لأغراض التجارة الداخلية ، فلا مجال للظن بأن المصريين لم يستطيعوا بناء السفن التي تسير في البحار ، أو أنهم لم يتمكنوا من الإبحار بها .

(١) انظر كتابه « قداماء المصريين والإفريق » لتركومير ترجمة محمد على كمال الدين وآخرين ، القاهرة سنة ١٩٥٩ (الترجم)

الفصل التاسع

الصناعة

الفخار

كانت صناعة الفخار من أم الصناعات في العصر العتيق . ولكن على غير ما كان عليه أمرها في المصور التالية ، لم تكن مجالاً للإبداع الفني ، إذ كانت قاصرة على الجانب التفعي فقط . وكان اهتمام الفنان في تلك الفترة موجهاً إلى الأواني الحجرية . ومع تدهور صناعتها في عصر بناء الأهرام أصبحت صناعة الفخار وسيلة للتعبير الفني . ولكن عبقرية المصري الفنية تجلت تلقائياً في الأواني الفخارية التي كان ينتجها على نطاق واسع كما يتضح من أشكال بعض أنواع الفخار التي تسرنا لبساطتها وتناسقها . ولما حقق الفنان ذلك أخذ ينقل تلك الأشكال البسيطة إلى أوان من أحجار المرمر والقيس والرماد البركاني .

وهناك تاريخ طويل لإنتاج الفخار سابق لصناعته في عهد الوحدة ، ومع بقاء بعض التصميمات القديمة ظهرت بعض الأواني الفخارية الجديدة المميّزة قبل الأسرة الأولى مباشرة . لقد اختفت الأواني ذات الحافة السوداء والأواني المنقوشة بالحفر الغائر وذات الزخارف الملونة التي ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات ، وبقيت فقط الأواني ذات المقايض المموجة لمدة قصيرة . ومن الملحوظ أن الأواني ذات الحافة السوداء وذات الزخارف الغائرة استمرت في بلاد النوبة لمئات السنين بعد ذلك ، أما شمال الشلال الأول الذي يمثل حدوداً طبيعية فقد استحدثت أشكال وفنون جديدة معاصرة لدخول العجلة الأثرية .

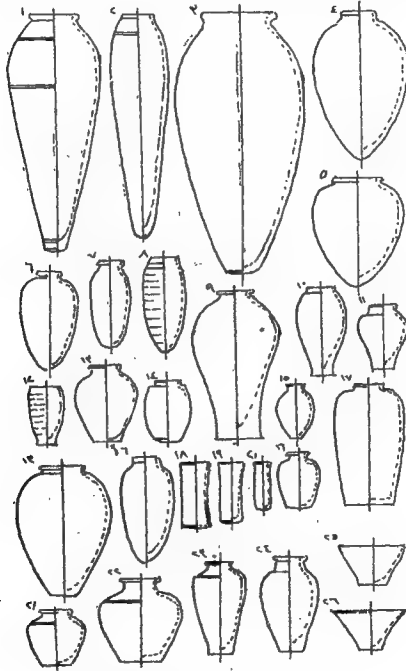
إن مصر غنية بطين الفخار، الذي يمكن تقسيمه إلى نوعين متباينين : -
الأول يميل لونه إلى السواد ويصبح بياً أو أحمر عند الحرق، والآخر بني رمادى
يتحول إلى رمادى يميل إلى الاصفرار عند الحرق. وهذا النوع الأخير قاصر
على مناطق محدودة في مصر العليا ولم يستخدمه صانع الفخار في العصر
العتيق، لأن كافة الأواني الفخارية من جميع الطرز حراء تميل إلى اللون البنى.

إن ما قرره بعض المؤرخين من أن عجلة الفخار لم تعرف في عصر
الأسرتين الأولى والثانية قول خاطئ. فرغم أن استخدام العجلة لم يكن عاماً
إلا أنها استعملت بكثرة، وشاع إلى حد ما صنع الفخار بعجلة بسيطة تدار باليد.

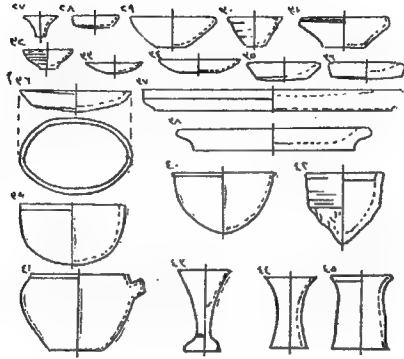
وفيما يختص بحرق الأواني فليس لدينا ما يدل على وجود أفران للفخار
رغم ما يحتمل من أنها كانت موجودة، وفيما هذا ذلك فلا بد أنهم استخدموا
الطريقة البدائية العادية في حرق كومة من الأواني والوقود معاً. ولكن
إذا وضعنا في اعتبارنا كميات الفخار الضخمة التي أنتجوها في ذلك الوقت
لأنصح لنا أن مثل تلك الوسائل البدائية لم تكن لتتفق وكثرة هذا الإنتاج
ولا بد أنه كانت هناك وسيلة ما بسيطة مكنتهم من فصل الفخار عن وقود
الإشعال. وبين لنا (شكل ١٢٢) مجموعة تمثل مختلف أنواع الفخار شائع
الاستعمال في الأسرتين الأولى والثانية. ومع أننا لا نعلم على وجه التحديد
وظائف بعضها إلا أننا نستطيع بصفة عامة أن نميز بين أواني التخزين
والأواني المخصصة لأغراض الطعام. ولا شك أننا أمكننا بالنسبة للأولى
في أحوال عديدة معرفة صفة المادة التي صنعت الأواني من أجل حفظها.
وقد وصلنا إلى معرفة ذلك بفضل الحفائر الحديثة بسقارة حيث يلاحظ أن
الأطعمة والمواد الأخرى في حالة جيدة من الحفظ كالوجبة الجنائزية من
الأسرة الثانية التي سيأتى وصفها في الفصل الحادى عشر.

فالجرار الكبيرة من النوع الأول كانت تحوى نبيذاً وكانت تخزن
كميات كبيرة منها في مخازن كل المقابر الكبيرة، كما هو مبين في اللوحة رقم ٢٠،
وتختلف هذه القدور حجماً باختلاف العصر، فالنوع الكبير الغليظ منها

يرجع لبداية الأسرة الأولى، وقد أخذ هذا الطراز يقل حجماً ويميل إلى النحافة حتى صار في شكل النوع الثاني . وكانت تختتم هذه القدور الخاصة بالنبيذ بوضع غطاء في شكل طبق صغير مقلوب على الفوهة . وكانت تملؤه كتلة كبيرة من العجين الأصفر تمثل إلى أكتاف القدر وتتخذ شكلاً مخروطياً

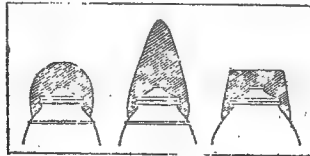


(شكل ١١٢٢) أنواع الاواني الفخارية



(شكل ١٢٢ ب)

كما هو مبين في (شكل ١٢٣) وكان يدور فوق هذا الغطاء الطيني خاتم أسطواني من الخشب أو الحجر صموذاً في جانب وهبوطاً في الجانب الآخر. وأحياناً كان يدور خاتم ثان في اتجاه متعاود مع الأول، وكانت تقاطع نقوش الخاتمين قرب الجزء العلوى. وكما بينا في الفصل السابع فإننا نعتمد اعتماداً كبيراً على أختام قدور الخزف هذه للتأكد من شخصية أصحاب كثير من المقابر الكبيرة. وتطبق هذه الطريقة في وضع الاختام على أواني الأسرة الأولى فقط. أما جرار الخزف من النوع الثاني فهي منطاة



(شكل ١٢٣) أنواع من سدادات الجرار

بظلام الأواني المعتاد ولكن كان يعلوه طين أسود اللون عادة بمجواب مستقيمة وسطح علوى مستو مثل الإناء الأيمن (شكل ١٢٣) . والأواني من هذا الطراز قلما تنقش ، وإذا حدث وتم ختمها فإن طابع الخاتم غالباً ما يكون ناقصاً مضافاً بسبب طبيعة الطين الأسود اللزجة .

والجرار الكبيرة الكثرية الشكل من النوع الثالث ربما كانت تحوى سائلاً ولكنها في بعض الحالات كانت تستعمل لحزن الحبوب كالقمح . ويغطيها عادة كتلة مكورة من الطين الرمادى مثل الإناء الأيسر (شكل ١٢٣) وتنقش بنفس الطريقة ، طريقة جرار الخمر من الطراز الأول . واستمر استخدام الجرار من هذا النوع حتى نهاية الأسرة الأولى ، ولكنها نادرة جداً في أى تاريخ نال ، وإذا ما عثر عليها يبدو أنها كانت ترجع إلى فترة أسبق وقد أعيدها استعمالها .

أما الجرار من الأنواع : الرابع والخامس والسادس فيبدو أنها كانت مستعملة لتخزين طعام من نوع الحبوب وقد وجد في إحدى المقابر الكبيرة من الأسرة الأولى بسقارة ٦٧ إناء من النوع السادس ، واتضح أنها كانت تحوى بقايا أرغفة خبز صغيرة ، وقد كانت هذه الأواني في العادة تصد بسدادات طينية غير منقوشة وكانت أحياناً تغطى بطلاء جيرى أبيض . وظل شكل الفخار من النوع الرابع شائع الاستعمال في الأسرة الثانية أما النوع السادس فقد قصر استعماله على الأسرة الثانية ، وحتى في هذه الأسرة لم يكن شائع الاستعمال ، وليس لدينا دليل على كنه محتوياته ، لكن من المحتمل أنه كان يستعمل لحزن الطعام . على أن الإناء الصغير رقم ٧ كان شائع الاستعمال جداً في الأسرة الأولى ، لأنه لم يدم بعد نهاية تلك الفترة وهذه الأواني غالباً ما يوجد عليها نقش بالمداد الأسود باسم صاحبها وباسم المادة التى تحتويها ، وربما كانت زيتاً .

وقد وجدت كميات كبيرة جداً من أواني النوع الثانى في جميع المواقع التى يرجع تاريخها للأسرة الأولى . وهو نوع خشن مصنوع باليد من الطين

البنى ، ويبدو أنه كان شائع الاستعمال ، وفي إحدى المناسبات وجد أنه يحوى
حبوباً وفاكهة وكذلك عظام بعض اللحوم .

والجرار الكبيرة من النوع التاسع كانت تصنع من فخار بني خشن بهشة
رقيقة حمراء ، ووجدت فقط في النصف الأول من الأسرة الأولى ولم يعثر
حتى الآن على ما يدل على الغرض منها .

والنوعان العاشر والحادى عشر يمثلان شكلين شائعين ، ومن المحتمل أنهما
سابقان للأنواع ٢٣، ٢٢، ٢١ في الأسرة الثانية . وقد وجدت نسخ صغيرة
من النوع الحادى عشر تحتوى أحياناً على فاكهة .

والنوع الثانى عشر يشبه النوع الثانى في أنه خشن ومصنوع باليد وشائع
الاستعمال فقط في الفترة المبكرة من الأسرة الأولى .

وقد وجد الكثير من هذا النوع في مدفن أحد خدم الملكة مريت نيت
في سقارة . ووظيفته واضحة ، إذ أن جميع الأواني احتوت طلاءً أحمر
أو أخضر أو أصفر . ولكنها في ظروف أخرى كانت تستعمل في خزن
القمح وأرغفة الخبز .

وقد تميزت الأواني من النوع الثالث عشر والثالث عشر د ، بالعناية التي
بذلت في صنعها . فإن معظم الأواني الفخارية في العصر العتيق كانت
خشنة الصنع رغم أشكالها الجذابة ، ولكن هذه الأواني قد أخذت في العادة
أشكالاً جميلة بهشة رقيقة حمراء وطلاء لامع . وقد كانت شائعة إلى حد ما
طوال الأسرة الأولى ولكنها لم تدم في الثانية ، وليس لدينا دليل على الأغراض
التي كانت تستعمل فيها هذه الأواني . ولكن نظراً للعثور عليها أحياناً ضمن
مجموعة أواني الطعام فمن الممكن أنها كانت مستعملة لحفظ التبيد أو الماء أثناء
تناول الطعام . وتأيداً لذلك يجب الإشارة إلى أنها لم توجد أبداً مسدودة
بالاختام الطينية . وقد صنعت منها نماذج برونزية (انظر صناعة المعادن) .
والأنواع الرابع عشر ، والخامس عشر ، والسادس عشر ذات صناعة
مشابهة للأواني الكبيرة من النوعين الثالث عشر والثالث عشر د ، وقد أبدع

أيضاً صنعها . ومع أنها وجدت بكثرة في أوائل الأسرة الأولى إلا أن استعمالها ظل منتشرًا حتى نهاية الأسرة الثانية دون أن تختلف شكلًا أو حجمًا . وكانت تستعمل في حفظ الفاكهة ولها غطاء مستدير مسطح . أما الإناء الكبير من النوع السابع عشر ، القاصر على الأسرة الثانية فقد عني أيضاً بصناعته ومع أنه عثر على أعداد كبيرة من هذا النوع فليس هناك ما يدل على الغرض الذي استخدمت من أجله .

واستخدمت الأواني الاسطوانية من النوع الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين لحفظ الجبن وذلك على ذلك التحاليل الكيميائية ووجدت بكميات كبيرة في مقابر النصف الأول من الأسرة الأولى . ويرجع تاريخ النوع الثامن عشر ذي اللون البرتقالي المائل للاصفرار إلى عصور نمرمر وحورعحا ، وقد عثر في مقبرة الأخير في سقارة على ما لا يقل عن ٢٠٠ إناء من هذا النوع ، ونقش عليها دائماً اسم صاحبها ومحتواؤها بالمداد الأسود . أما النوع التاسع عشر فهو مائل للاصفرار ولكن أقل حجماً ، ويرجع تاريخه إلى عصر الملك أودجي (التيبان) وليس عليه نقوش . أما المجموعة الضئيلة مختلفة الأشكال من النوع العشرين فهي من الفخار الأحمر ، ولا توجد عليها نقوش ويرجع تاريخها إلى عصر الملك أوديمو .

وقد قصر استعمال الأنواع الحادى والعشرين إلى الثالث والعشرين على الأسرة الثانية . ولم يعثر عليها أبداً مختومة ، ولكنها غالباً ما كانت تغطي بنكاس صغيرة قليلة العمق في وضع مقلوب ، وكانت تصور غالباً على هذه الصور على آثار ذلك العصر . وكانت تصنع من فخار بني خشن ويفعل جسمها بطلاء أحمر ، بينما كانت حافتها ورقبتها وأكتافها تغطي باللون الأسود . وتنتمي جرار النوع الرابع والعشرين أيضاً إلى عصر الأسرة الثانية وهي ليست شائعة الاستعمال ، وليس لدينا دليل على الغرض الذي كانت تستعمل من أجله .

أما الطاسات من النوع الخامس والعشرين فكانت تصنع من الفخار البني الخشن وكانت شائعة الاستعمال في أوائل الأسرة الأولى ولكن ندر استعمالها بعد عصر أوديمو .

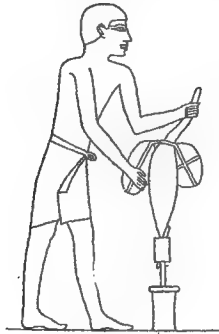
أما الطاسات من النوع السادس والعشرين والسابع والعشرين (شكل ١١٢٢) فمع أنها لم تكن شائعة الاستعمال، إلا أنها ظلت مستعملة طوال عصور الأسرة الأولى والثانية.

أما الطاسات والصحون من الأنواع الثامن والعشرين حتى السادس والثلاثين، فكانت تستعمل جميعها كأواني طعام، وكانت تصنع من الفخار الحشن ذي اللون البني المائل للحمرة، وكانت تطل عادة بلون أحمر كان يزول إذا استعملت في تسخين الطعام. وكانت الأطباق المسطحة الكبيرة من الأنواع السابع والثلاثين والثامن والثلاثين تصنع من نفس الطينة الخشنة وكانت تستعمل أيضاً لحفظ الطعام الساخن وقد ظلت مثل هذه الطاسات والأطباق شائعة الاستعمال طوال العصر العتيق بأكمله. أما الأطباق ذات القاعدة المستديرة من النوع التاسع والثلاثين والأربعين، فيرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية فحسب، مثلها في ذلك مثل الإناء ذي الصنبور من النوع الحادى والأربعين.

هذا والنوع الثانى والأربعين كأس خشن الصنع له قاعدة مخروطية، وقد شاع استعمال هذا جداً فى الأسرة الثانية رغم استعماله منذ أقدم العصور. وقد وجدت مئات من هذه الكؤوس فى إحدى المقابر الكبيرة من الأسرة الثانية بسقارة، ووجد أن نصفها تماماً لم يكن محروفاً وليس لدينا الآن تفسير مرضى عن الغرض من استخدامها، رغم أنه يظن أنها كانت تستعمل لتسوية الحبز، وقد أخذ بعض المؤرخين بهذا رأى. وقد ظل استعمالها شائعاً حتى عصر بناء الأهرام.

ومع أن الفخار كما ذكرنا من قبل كان يصنع كلية لأغراض نفعية، إلا أننا نجد أحياناً الصانع يصمم إناء من الفخار يتعدى هذا الرأى — فهو محاولة لكي يفسخ بوسيلته المتواضعة التصميمات الجذابة التى وضعها الفنان فى صنع الأواني الحجرية. ومن أمثلة هذه الأشكال النوع الثالث والأربعين الذى يرجع تاريخه إلى أوائل الأسرة الأولى.

والأواني الفخارية ذات القاعدة المدببة فقد كان يقصد بها أن توضع في الرمل أو في أرضية ترابية خشنة، أما الأرضيات الصلبة للسكان الراقية فقد استلزمت نوعاً من الحوامل بما دفع الفخاري إلى تزويدها بقواعد مجوفة تتناسب مع قواعد الأواني من الأنواع الرابع والأربعين والخامس والاربعين التي ظلت شائعة الاستعمال طوال هذا العصر . ولم تقتصر مهارة الفخاري على صناعة الجرار والطاسات والأطباق



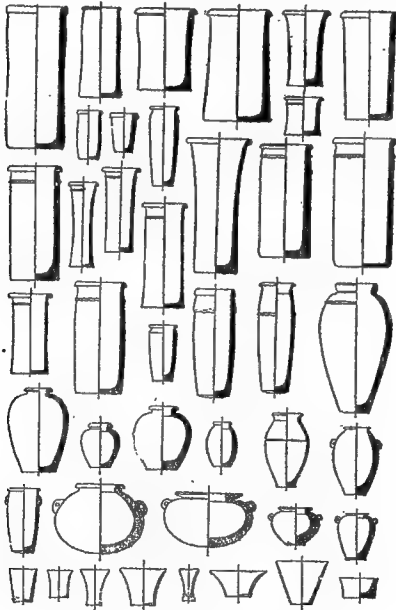
(شكل ١٢٤)

صورة من الدولة القديمة لصناعة الأواني الحجرية

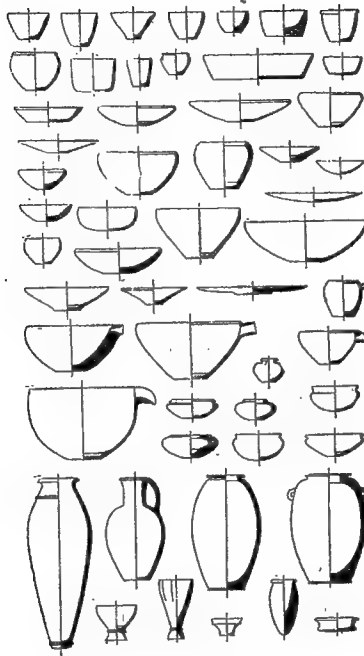
والكتوس، فقد أنتج أدوات ضرورية أخرى تناسب وسيلته . فكانت تصنع من الفخار مخازن غلال أنبوية كبيرة يزيد ارتفاعها أحياناً عن متر . وكانت لهذه المخازن فتحة دائرية في أعلاها لوضع الحبوب ، كما كانت لها فتحة مستطيلة عند القاع يمكن منها أخذ الغلال عند الحاجة . كما صنع الفخاري أيضاً أغطية كبيرة لفتحات مخازن الغلال المبنية ، كما هو مبين في شكل ١٤٠ . وصنع أيضاً أشياء أخرى كسنادج المنازل ومخازن الغلال والقوارب لتكون أثاثاً جنائزياً للقبائر .

الآواني الحجرية

ربما كانت الآواني الحجرية التي صنعها المصريون في العصر العتيق أعظم دليل على قدرتهم الفنية . ولم تبلغ دولة منذ ذلك الوقت حتى الآن مثل هذا الكمال الذي بلغته هذه الصناعة القديمة في محاولتها إنتاج أداة لا تتفاهع بها كانت في نفس الوقت نموذجاً للجمال . وكانت هذه الآواني تصنع بكميات



(شكل ١٢٥) أنواع الآواني الحجرية



(تابع شكل ١٢٥)

كبيرة جداً مع اختلاف أنواعها ، ومع ذلك فقد حققت انتصاراً في جمال الذوق والتصميم ، وروعة في التنفيذ تثير الدهشة .

ولم يكن هناك حجر باستثناء الجرانيت كان من الصلابة بحيث يصعب هابهم نحته ، وقد عثر على أنواع يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى والثانية مصنوعة من الأحجار الآتية : الديوريت ، الشيست ، المرمر ، الزماد

البركاني ، السربنتين (حجر الحية) - الاستيائيت ، اليريشيا ، الرغام ،
الحجر الجيري ، الصخر البورفيرى المنقط بالأسود والأبيض ، السباق
الأرجواني ، الشب الأحمر ، الأوبسيديان ، الكوارتز ، الدولوميت ،
البلور الصخرى ، والبازلت

وليس لدينا للأسف أية بيانات كافية عن طريقة صنع هذه الأواني
الحجرية ، رغم معرفتنا ببعض مراحل هذه الصناعة إلا أن المراحل
الأخرى منها مازالت سرّاً غامضاً . فكيف استطاعوا بلوغ مثل هذه الدقة ،
حتى أنه حينما ندير طاسة قليلة العمق أو صحناً لا نلاحظ فيه أى انحراف عن
الاستدارة الكاملة الدقيقة ، وكيف قدوا الأواني الاسطوانية من البلور
الصخرى بجوانب لا يزيد سمكها عن مليمتر واحد ؟ ورغم أننا لا نعرف
كيف توصلوا إلى ذلك ، إلا أنه يبدو مؤكداً أن الصانع قد استخدم طريقة ما
يسهل معها تحريك المادة الحجرية حول آلة مثبتة ، إذ يبدو مستحيلاً
الوصول إلى مثل تلك الدقة باستخدام الأزميل فقط ونحت المادة تبعاً
للقاييس ، بصرف النظر عن المجهودات العديدة المضمنة في هذا الشأن .

لقد تأكدنا بعد فحص الأواني غير تامة الصنع أنه كان يتم صنع
الإفاء أولاً من الخارج قبل أن يبدأ تحويفه من الداخل . ونعلم أيضاً أن
بداية النحت من الداخل كانت تتم باستخدام مثقاب له مقبض غريب يتدل
منه حجران يضاربان بواسطة حبال . وهذان الثقلان الحجريان اللذان
كانا يفرجان للخارج عند دوران المثقاب ، كانا بذلك يزودانه بقوة لحركة
إضافية . والطرف القاطع لهذه المثاقيب كان نصلاً من الطران شكل على
هيئة رأس سيخ غير مدبب . وقد عثر على كيات كبيرة من رءوس المثاقيب
هذه وكذلك المثاقيب الحجرية ، ولدينا أيضاً صورة من عصر بناء الأهرام
تبين طريقة إدارة هذا المثقاب (شكل ١٢٤) وكان هناك مثقاب أسطوانى
يستعمل أيضاً في صنع الأواني الأصغر حجماً ولكن طريقة الثقب هذه ،
رغم ملاءمتها لقطع الجزء الداخلى من الأواني الاسطوانية كالأنواع من

١ إلى ٢٢ المينة في شكل ١٢٥ إلا أنها لا تكون عملية لتجريف الجانب الداخلى من الأواني من الأنواع ٢٣ إلى ٣٤ . فكيف مثلاً توصلوا إلى طريقة الضغط إلى أعلى ليتمكنوا من قطع الجانب الداخلى لاكتافها ؟ كل هذه المسائل لم نستطع الإجابة عنها حتى الآن ، وربما تظل كذلك حتى يكشف عن حانوت لصانع الأواني الحجرية يوضح لنا بعض الوسائل التى استخدمها فى هذه الصناعة .

وقد استخدمت أدوات الظران والنحاس ، فقد وجدنا دون ريب آثار مشار من النحاس فى الفواصل بين أوراق الإناء المصنوع من الشبست الموضح فى اللوحة رقم ٤٥ .

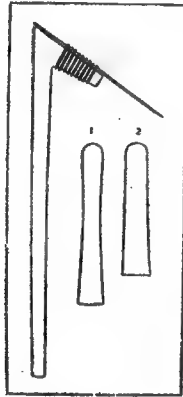
الصناعات الخشبية

إن حرفة النجارة يرجع ظهورها بطريقة فعالة إلى نهاية العصر السابق للأسرات ، بعد أن تأكدت صناعة الأدوات النحاسية . لذلك يدعشنا أنه فى الجزء الأول من الأسرة الأولى ، تدل الأدوات التى أبدع صنعها النجار دلالة واضحة على دراية متقدمة بصناعة الخشب ، لجميع مبادئ الوصول فى النجارة مثل تشبيقة ، التليسة ، واللسان المزدوج والتفريز وما يعرف (بنص على نص) وذيل اليمامة كانت معروفة ومستعملة .

وفضلاً عن ذلك كان الحفر الدقيق وتطعيم الأخشاب بالعاج والقاشانى شائعاً فى ذلك الوقت ، ومع أن أدواتهم كانت قليلة العدد إلا أنها مع ذلك كانت تؤدى كل الوظائف الأساسية فى النجارة الحديثة باستثناء الفارة التى ظلت غير معروفة فى مصر حتى العصر الرومانى .

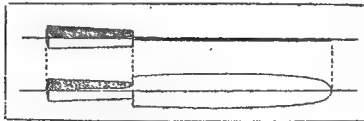
ومن الجدير بالملاحظة أن أشكال هذه الأدوات ظلت على وجه العموم كما هى طوال تاريخ مصر القديم ، وأن الآلة المفضلة لدى نجار العصر العتيق كانت القادوم ، الذى كان يستعمل استمال الفارة ولا يزال أهم آلة من آلات

خلفه في العصر الحديث . والقادوم المين في (شكل ١٢٦) يختلف اختلافاً
بيناً في الحجم : فنه نوع له نصل من النحاس طوله ١٢ سم يربط بمقبض
خشبي طوله نحو ٣٠ سم ، بينما هناك أنواع أخرى لها نصل طوله ٢٨ سم
ومقبض ثقيل طوله ٧٨ سم ويربط النصل بالمقبض بحبل ملفوف أو بسيور
من الجلد .



(شكل ١٢٦) طراز مطرقة من الاسرة الاولى

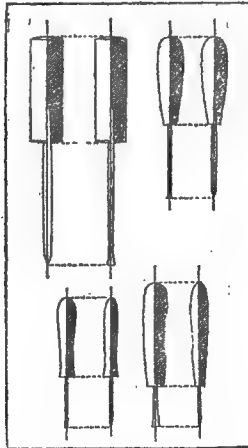
هذا ويختلف المنشار أيضاً (شكل ١٢٧) في الحجم فيتراوح طول



(شكل ١٢٧) طراز منشار من الاسرة الاولى

نصله ما بين ١٢ ، ٤٠ سم وهو مسنن من حد واحد، ولا يشمل القسنيين النصل بأكمله دائماً ، فالأسنان ويبلغ طول الواحدة منها مليمترًا واحدًا تقريباً ، تبدأ على مسافة قليلة من كتف المنشار وتنتهي قبل نهاية النصل . وكان النصل يعتمد في مقبض خشبي مستقيم ، وهو بخلاف المنشار الحديث كان يجذب لا يدفع ، لذلك كانت الحافة القاطعة حيث الأسنان تميل في اتجاه المقبض .

وكانت هناك مجموعة متباينة من الأزاميل، ما بين نوع ثقيل يبلغ طوله نحو ٣٠ سم إلى آلات صغيرة للنقر الدقيق . وأنواع الأزاميل الرئيسية الأربعة مبينة (شكل ١٢٨) . ويغلب أن الأزاميل المثبتة في مقابض مستديرة للكمة ، كانت تستخدم في الأعمال اليدوية بينما استخدمت المقابض المستوية للكمة في الأعمال التي تتغلب طرقاً خفيفاً .



(شكل ١٢٨) أنواع الأزاميل في الأسرة الأولى

ورغم عدم العثور حتى الآن على مطارق النجارة من العصر العتيق ،
فن المحتمل أنها كانت تشبه المجموعة الخشبية التي استخدمت في العصور
التالية وكانت على شكل المراوة . وقد عثر في حوران على مطارق حجرية
ولكن من المحتمل أنها كانت تستعمل في البناء وليس في النجارة .

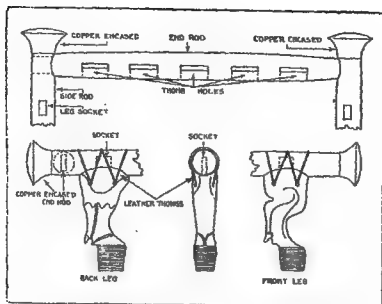
هذا والمخارز أو المثاقب من النوع المبين في (شكل ١٢٩) كان يستخدمها
النجار وصانع الجلود على السواء . ورغم عدم عثورنا على عينات مستعملة
منها ، إلا أنه يبدو من المؤكد فعلاً ، وغالباً أن المثقاب الذي يحرك بالقوس
كان يستخدم في عمل الثقوب الخاصة بالمسامير الخشبية . ونحن نشك في
استخدامهم لإحدى وسائل الحرق (اليدوى) إذ أن أجزاء الأثاث الخشبي
المستديرة المقطع قد بلغت درجة من الدقة يجعلها تبدو في بعض الأحيان
مستحبة الصنع باليد وحدها . ولكن لعدم وجود أى دليل مازال
الاستفسار بلا جواب في الوقت الحاضر .

وبين لنا بوضوح شطف الحواف وتدويرها آثار السكين التي استعملت
في التدوير ، واستخدام سكين بهذه الطريقة قد يفسر لنا النعومة المنتهية
في السطوح المستوية التي ما كان يمكن بلوغها إطلاقاً بطريقة التنعيم
بالحجر .



(شكل ١٢٩) حراذ من المخراز في الأسرة الأولى

ومع أن الربط على طريقة العاشق والمعشوق التي كانت تقوى بوتد
خشبي كانت تستعمل باستمرار تقريباً ، إلا أنه في صناعة الأسرة والمقاعد
وأرجل المائدة نجد أن طريقة الربط بالسيور الجلدية مازالت تستعمل
حتى إلى جانب استعمال الربط بالطريقة السابقة (شكل ١٣٠) . ومع



(شكل ١٣٠) تفصيل تركيب السرير الخشبي

تفضيلهم استخدام الأوتاد الخشبية والأسافين إلا أنهم لم يجهلوا استخدام المسامير النحاسية، وكذلك المسامير الصغيرة لتثبيت جلد التنجيد، والتركيبات النحاسية، كنهايات القضبان الخشبية في الأسرة والكراسي. وقد كان تعليم الخشب أو العاج أو الفاساني يثبت دائماً بالغراء.

النسيج

لقد بلغت صناعة الكنان في بداية الأسرة الأولى درجة عظيمة من الرقي، ويرى الخبراء الذين فحصوا أمثلة له في أيديوس وسقارة وطرخان أنه فيما عدا عدم انتظام المسافات في سداة الخيوط فقد استعمل الصانع القديم كل طرق النسيج البسيطة المعروفة اليوم. وفضلاً عن ذلك فإن لحص خيوط أحسن أنواع التيل في ذلك العصر تربنا غالباً أنها كانت تصنع من كنان أدق من الأنواع الحديثة، كما تربنا أيضاً أن طريقة تمييز الكنان كانت نفس الطريقة المستعملة حالياً. فكانت تزال المسادة للزجة القوية

التي تربط الألياف بالقش بعملية التعتين، وكانت عملية الفصل تتم أيضاً بمهارة ماثلة .

وليس لدينا نموذج أصلي لطراز النول الذي استعمل في ذلك الوقت ، ولكن إذا حكمنا بناء على منتجاته فلا بد أنه كان آلة ذات كفاية في مرحلة متأخرة نسبياً من تطور تصميمها ، تشبه في صفاتها تلك الأنوال المصورة في رسوم مقابر العصور التالية . وتبين جميع منسوجاته نفس نوع النسيج المعروف في لانكشير باسم «نسيج القطن»^(١) وذلك بوحدة بسيطة إلى أعلى وواحدة إلى أسفل . وتختلف الأقمشة الكتانية اختلافاً يبنياً في نسيجها، فبعضها في خشونة الخيش ، بينما توجد أقمشة أخرى كتلك التي عثر عليها في مقبرة دجر في أيدوس تنافس أرق الأقمشة الحديثة التي تبلغ خيوطها ١٦٠ خيطاً في البوصة في السداة و ١٢٠ في اللعنة .

وكان الكتان يستعمل أيضاً في صناعة الجبال التي عثرنا في سقارة على أجود أنواعها ، وهذا الجبل على درجة كاملة من الحفظ، كان محيطه ٣ سم، وكان مكوناً من ثلاث جدائل تسكون الواحدة منها من ١٩٠ خيطاً . وكان يصنع من الكتان أيضاً الجبل الرفيع (اللوبارة) أو القتلة، أما جبل الشد الثقيل فيبدو أنه كان يصنع عادة من الليف .

هذا وكانت صناعة الحصير من البوص أو الأعشاب صناعة هامة دائماً في مصر ، ولابد أنهم مارسوها على نطاق واسع في العصر العتيق ، نظراً لاستخدام الحصير بكثرة في العمارة والآثاث المنزلي، ولعلنا ندرك أهميته من تأثيره على الفن الزخرفي . فزخرفة الحصير كانت أكثر شيوعاً من غيرها من الزخارف المعروفة، سواء على العاج أو الخشب المحفور (شكل ٩٨، ٩٩)، وكان الحصير الخفيف يصنع عادة بوضع شرائح مسطحة من الأعشاب داخل سداة من خيوط الكتان ، بينما يتكون النوع الثقيل منه من جدائل عشبية

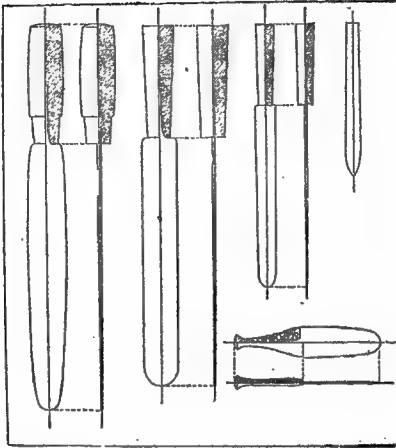
ملتوية مجدولة في سداة من البوص الجاف . وإذا حكنا من تشابه الحصير القديم بالحصير اندى يصنع حالياً في مصر ، ربما بدا لنا من المحتمل أن بناء النول وطريقة العمل واحدة، أى أن النول كان يثبت بأوتاد في الأرض وكان الصانع يتحرك للأمام وهو جالس القرفصاء على الحصيرة نفسها عند تشكيلها . ويمكننا الحكم على مدى تنوع تصميمها من نماذج الحصير الملونة على جدران المقابر ذات اللوحات . ولدينا من البراهين ما يدل على أن الحصير كان يستعمل كجدران في بعض الأبنية التي تتكون من أطراف خشبية ولتغطية الأرضيات ولزخرفة الجدران (انظر لوحة ٧) .

وكانت صناعة السلال ذات أهمية كبيرة أيضاً وتختلف طرزها من السلال المستديرة الصغيرة الخاصة بحفظ الطعام والتي كانت تصنع من سرائح متينة من سعف النخيل إلى أقباص مستطيلة كبيرة يبلغ طولها أحياناً نحو متر . وتصنع الأقباس التي من هذا الحجم عادة من البوص السيلك أو الجريد .

الصناعات المعدنية

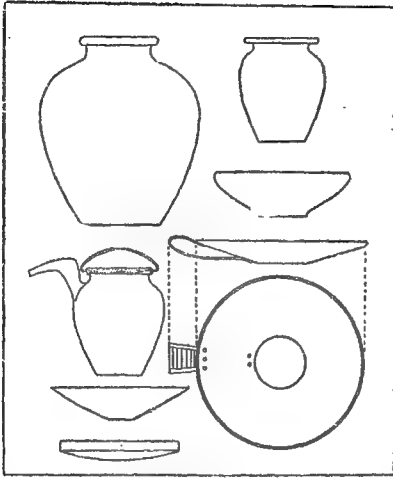
كان الذهب والنحاس المعدنين الوحيدين اللذين عرفهما المصريون في العصر العتيق وصنعوهما . وقد قصر استعمال الأول بصفة خاصة على صناعة الحلى وإلى درجة محدودة في الزينة المعمارية ، بينما كان يستخدم الثاني في صناعة الآلات والأسلحة والأواني .

وكان النحاس معروفاً في العصور السابقة للأسرات ، ولكنه كان يستعمل فقط وإلى درجة محدودة في صناعة الأدوات الصغيرة والحلى . وظل الأمر كذلك حتى عصر الوحدة حين استخدم على نطاق واسع في صناعة الآلات والأسلحة والأواني المنزلية (شكل ١٣١، ١٣٢) . وقد ظن البعض دون برهان أن الأدوات النحاسية الصغيرة التي استخدمها إنسان ما قبل الأسرات كانت مصنوعة من هذا المعدن الذي عثر عليه في حالة معدنية



(شكل ١٣١) أنواع السكاكين البرنزية ذات المقابض الخشبية

وإن كان يجهل طريقة الحصول عليه بصهر خامته . ومن المؤكد أن إدراكه ذلك أدخل مصر فجأة في عصر النحاس السابق مباشرة لتأسيس الأسرة الأولى ، لأنه بعد هذا التاريخ كانت المعادن كلها تستخلص من الخامات المستخرجة من الصحراء الشرقية وسيناء . وكانت هذه الخامات بالطبع تصهر محلياً في أماكن العثور عليها، وينقل النحاس الناتج إلى المصانع في وادي النيل . وعند تشكيل المعدن كانوا يستعملون في ذلك الطرق الباردة والساخنة والصب في قوالب . ونجد أمثلة لكل من هاتين الطريقتين في صناعة الآلات الخفيفة كالسكاكين ونصال المناشير . كان المعدن يقطع بصورة تقريبية ثم يطرق على البارد . أما الآلات الأكثر ثقلاً كالقادوم والبلطة ونصال الفئوس فيبدو أنها كانت تصب في قالب ثم تطرق بعد إخراجها منه وهي



(شكل ١٣٢) أنواع الأواني النحاسية

ما زالت ساخنة. وقد أشار المؤرخون إلى أن الطريقة الوحيدة التي استعملت لتقوية الحواف القاطعة للألات النحاسية كانت بالطرق، وأنه لا جدال في وجود ما يعرف بـ «الفن المفقود» وقد بينت التجارب أن النحاس الذي تبلغ صلابته الأولية ٨٧ يمكن زيادتها إلى ١٣٥ (طبقاً لمقياس برينل) ومع ذلك فإننا نعلم أن المناشير والأزاميل النحاسية استعملت في قطع الشبست والحجر الجيري الصلب، ومع أن الطرق يزيد المعدن صلابة إلا أنه قد يؤدي إلى زيادة قابليته للكسر، لذلك ربما كان «الفن المفقود» في مهارة يد الصانع وليس في صناعة الآلة.

ومن الألفاظ الأخرى التي خلفها لنا الصانع القديم أسنان المناشير

وعيون الإبر . ففي الحالة الأولى كانت الأجزاء المعدنية الناقصة التي بين الأسنان تقرض بعمل ثقوب ، أما في الحالة الثانية فكانت العين تخرم بمخراز دقيق وليس بالثقاب ، والسؤال الذي يعترضنا هو : من أي مادة كان هذا المخراز؟ والمفروض أنه كان لابد أكثر صلابة من المعدن الذي استعمل لثقبه . وفي هذا المجال يجب الإشارة إلى أنه لم يوجد ما يدل على صناعة البرونز إلا بعد انقضاء العصر الحثيقي بمئات عديدة من السنين .

وقد استخدم الصقل اليدوي والصقل بالحجر في إعطاء الآلات النحاسية صورتها النهائية ، ولكن لا يوجد دليل على أنهم بذلوا أية محاولة في تشكيل الآلات بهذه الطرق . وقد صنعت الأواني النحاسية كالأباريق والطاسات والجرار والأطباق وغير ذلك بالطرق والصب على السواء ، ولكن يبدو أن الطريقة الثانية استعملت في الأسرة الثانية فقط ، وأن جميع الأواني التي عثر عليها في مقبرة دجر في سقارة صنعت من النحاس المطروق (لوحة ٤٣) ، وكانت صنادير الأباريق والمقابض وحواف الأواني تلتصق بمسامير نحاسية . كما استخدمت أيضاً الأسلاك في تثبيت المقابض المعقودة كذلك المبينة برقم ٣ (شكل ١٢٢) . ولهذا الحقيقة أهميتها البالغة إذ كان المتقدم حتى الكشف عن هذا الإناء أن طريقة سحب الأسلاك لم تكن معروفة لدى أولئك الصناع الأوائل . وقد صنعت جميع أشكال الأواني النحاسية تقريباً على نهج أصولها الحجرية السابقة ، ويبدو أن صانع المعادن قد وضع تصميمات ينقصها الابتكار . ومع ذلك يبدو أنه قد استغل إمكانيات هذا المعدن ، فقدم لنا على سبيل المثال اليد المعقودة فوق الجزء العلوي من الإناء ، وهي ظاهرة لم تحقق إذ ذاك في الأواني الحجرية أو الفخارية .

ولقد وجدت عروق الذهب الخام والنهر في مصر وبلاد النوبة وحيث أن استخلاص هذا المعدن من الرمل والحصى أسهل من استخراجيه من صخور الكوارتز الصلبة في المناجم ، فمن المحتمل أن المصريين الأوائل قد

اعتمدوا كثيراً على الطبقات الرسوبية في الحصول على ما يلزمهم من هذا المعدن الثمين . ونظراً لآتنا قد وجدنا أيضاً الذهب الخام في مقابر العصر العتيق ، فلا بد أن هذا المصدر كان معروفاً لديهم مثلما كان معروفاً لحلفائهم .

وقد سبك صائغو الذهب هذا المعدن وطرقوه ، وتبين لنا الحلى البديعة التي عثر عليها في مقبرة الملك دجر في أيديوس وفي مقبرة حرثيت في سقارة الدرجة الرفيعة التي بلغت مهارتهم ، حيث نرى فيهما صب اللوحات الصغيرة وقد أجمز سطحها بالمطرقة والأزميل . وكذلك حبات الخرز الأسطوانية أو الزمبوكية الشكل المصنوعة من صحفة ذهبية ، وطروقة وسلك من ذهب والخرزات الكروية الثلاثية المصنوعة من الذهب المطروق وقد خلعت مع بعضها البعض بعناية فائقة حتى أنه لا يوجد أى أثر لتجاوز أو اختلاف في اللون . وكان من الممكن إنتاج الذهب في شكل صحائف متفاوتة السمك مستوية ، كانت تحفر وتنقش لتغطية الأثاث ، أو لتزيين مقابض الأسلحة كدبوس القنال والصولجان على نهج صولجان خع سخموى . وكان من المستطاع الحصول على الذهب بكميات وفيرة كما يتضح من الأعمدة المغلفة بالخشب في قبر من أوائل الأسرة الأولى في سقارة حيث زين الكساء الخشبي بشرائط منقوشة من صحائف الذهب من الأرضية إلى السقف ولا يفصل بين تلك اللوحات سوى ما يقرب من سنتيمتر واحد .

صناعة الحلى

كان المصري في الأسرتين الأولى والثانية مولعاً إلى حد كبير بلبس الحلى على نحو ما كان عليه خلفه في الأزمنة التالية ، وكان صنع العديد من أنواع هذه الحلى الشخصية صناعة هامة . ولكن للأسف بعد ٥٠٠ سنة من السلب أمدتنا المقابر بالقليل منها ، وبين آونة وأخرى يمدنا أحد الكشوف غير

المتوقعة ، كسوار مقبرة الملك دجر في أيديوس ، بدليل على المستوى الذى بلغته مهارة صانع الحلى . فقد عثر على هذه الأساور الرائعة تزين بقايا ذراع آدمى كان لا يزال ملفوفاً فى الكتان فى شق بإحدى جدران المقبرة ، حيث تركها بعض المصوص الأقدمين سهواً . وقد قيل إنه ذراع زوجة الملك دجر ، ولكن لا يوجد دليل يؤيد هذا القول ، كما لا يوجد ما يدل على أن العظام لسيده . ومع ذلك فإياً كان صاحبها فلا يمكن أن يكون هناك أى جدال فى أننا نملك بهذه الحلى مثلاً من أرفع أنواع التزين الشخصى يرجع إلى السنين الأوائل من الأسرة الأولى . ويوضح لنا (شكل ١٣٣) تصميم الأساور



(شكل ١٣٣)

تصميم زخرفى لحلى المقبرة « ز » فى أيديوس

الأربعة ، مع اختلاف المواد التي صنعت منها وهي الذهب والفيروز واللازورد والجمشت .

وكما حدث في العصر التالية ، فضلت أشغال الخرز المعقدة في تركيب العقود والسوار . رغم أنه فيما يختص بالسوار شاع استعمال النحاس المصبوب والمطروق والصدف والعاج . وفي صنع الخرز عرفوا إلى جانب الذهب والفاشاني (الفياس) الأحجار نصف الكريمة التي استعملها صانع الحل في العصر العتيق وهي : حجر الزفر والعقيق اليماني والجمشت والعقيق الأحمر والأبيض والفلسبار الأخضر وحجر السيلان (الكلكدوني) والميماتيت واليشب واللازورد والملخيت والبلور الصخري والفيروز .

وقد عثر في مقبرة الملكة نيت حطب في نقادة على عدد من البطاقات العاجية الصغيرة ، يبدو أنها كانت ملتصقة بالحل الموضوعة في المدفن (شكل ١٣٤) . وعلى كل بطاقة صورة عقد من الخرز ثم الأرقام ٧٥ أو ١٢٣ أو ١٦٤ ، والفروض أن هذه الأعداد كانت تشير إلى عدد الخرز في الحيط الذي ربطت به البطاقة . ومثل هذا التسجيل الدقيق يوحى بالقيمة العظيمة التي كانت لمثل هذه الحل .

التنقش على العظم والعاج

كان العظام والعاج يستعملان في أغراض شتى وقد لبي صانع هاتين المادتين احتياجات تجار الأثاث والحل والأسلحة واللعب وأدوات الزينة والتماثيل .

وفضلاً عن استعمال العاج في أعمال تطعيم الأثاث الخشبي ، فقد كان عادة المادة الأساسية في صنع الأدوات الصغيرة كالمناعد الصغيرة والمقاعد حيث كانت تصنع منه نهايات القوائم الشائعة التي شكلت على هيئة أرجل



(شكل ١٣٤)

بطاقات عاجية من مقبرة الملكة نيت - حتب في نقادة

النور. وقد وجدت رموس السهام من العاج والعظم بكيات وفيرة في أيدوس وسقارة . ولدينا مثل أيضاً لرأس حربة كبيرة من العاج، يبدو أنها صنعت من ناب طبيعي بأقل تهذيب ممكن . أما في صنع قطع اللعب فقد أطلق حفار العاج كل العنان لمهارته كفنان، لا سيما في نحت أرجل الثور باللوحة وكذلك الأسود وقطع الترد (لوحة ٤٨) .

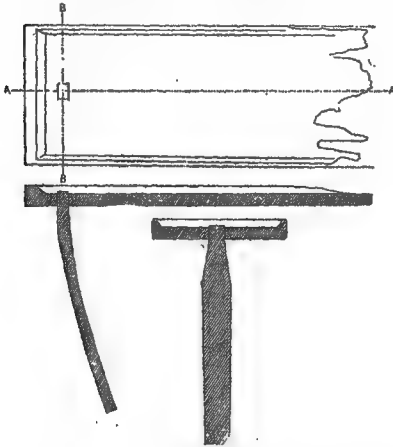
أما في نحت التماثيل فإن أبداع مثل لدينا هو التمثال الصغير العاجي للملك السكمل الذي يرى في اللوحة ٣٠ ب ، كما لا يوجد في أعمال الحفر ما يفوق حفر اسم الملك أوداجي (الثعبان) على قطعة عصا الرمي .

صناعة الجلود

كانت صناعة الجلود صناعة أخرى هامة يحتاج إليها الناس حقاً، فقد استخدم الجلد على نطاق واسع في صنع الأكياس وجعاب السهام والملابس والأثاث . ومن المؤسف أن الجلد يندر وجوده في حالة حفظ جيدة، ولكن يندر أيضاً أن نجده قد تلاشى دون أن يترك أثراً ، وفي العادة إذا فقت شيء مصنوع من الجلد عند اللمس فإنه يمكن التأكد من خاصيته قبل تلاشيه نهائياً . فالجلد الرقيق كالذي يستعمل في صنع الأكياس الصغيرة له عادة قوة تماسك الورق المقوى المحروق ، أما الأنواع الأكثر صمكاً التي استعملت

في صنع النعال فكان من المستطاع غالباً حفظها ، وقد جدنا فملاء في الحفائر الحديثة بسقارة صنادل في أم حالات الحفظ .

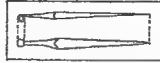
ولا نعرف أى المواد استعملت في الدباغة أو أية عملية اتبعت لإعداد الجلود . ومن المؤكد جداً أننا كانت تنقع في الماء وتمكشط وتطرق وتصل بالهجر . ولدينا مقعد برجل واحدة من الأسرة الأولى بسقارة ربما كان يستعمل عند كشط الجلود وصلها ، فهو يشبه كثيراً الآلة التي استعملت لهذا الغرض الميمنة في آثار العصور التالية (شكل ١٣٥) .



(شكل ١٣٥) مقعده رجل واحدة — من سقارة

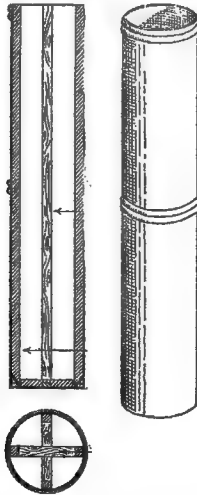
أما حياكة الجلد فكانت تتم بواسطة سيور جلدية وكانت الثعوب المستطيلة اللازمة لمثل هذا العمل تنفذ بواسطة مقب نحاسي ، وقد عثرنا على أمثلة عديدة منه (شكل ١٣٦) . وليس لدينا دليل أيضاً على صباغة الجلد ، ولكن جماع السهام التي وجدت بسقارة لونت في شكل شرائط

زرقاء على أرضية صفراء، وقد صنعت هذه الجعاب من جلد جاف في شكل



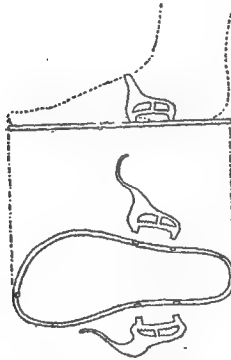
(شكل ١٣٦) مثقاب برونزي من الأسرة الأولى

أسطوانى بقاعدة مستديرة وخياطة متقاطعة بواسطة سيور جلدية . وهناك جعبة أخرى من الجلد لها صفات مماثلة كانت تستعمل لحفظ الخراب والعصى، وشكلها أسطوانى، ولكن نظراً لكبر حجمها ولكي يحافظ على صلابتها كان الجلد يخاط حول إطار خشبي كما هو موضح في (شكل ١٣٧) . وقد وجدت



(شكل ١٣٧) جعبة أنبوية من الجلد من سقارة

نعال جلدية كذلك الموضحة في (شكل ١٣٨) في حالة حفظ لا بأس بها . ولم تكن شرائط الربط توصل بالحياكة ، وإنما كانت تعتمد في النعل وتثبت بمادة صمغية ، وجميع الكراسي والأسرة تقريباً من النوع الممتاز مقاعد وحشوات من الجلد تصنع عادة من شرائط متقاطعة ، ويحق لنا أن نفترض أنهم قد استعملوا وسائد من جلد ناعم ، ولو أننا حتى الآن لم نحصل على دليل يؤكد ذلك . وقد استعملت السيور الجلدية أيضاً في تقوية تشيقات الأثاث الخشبي (شكل ١٣٠) .



(شكل ١٣٨) صندوق من الجلد من سقارة

اشغال الطران

رغم أن الآلات والأسلحة النحاسية كانت شائعة الاستعمال ، إلا أن الطران لم يبطل استعماله ، فظل طوال هذا العصر تصنع منه الأدوات كالسكاكين والمكاشط والأمواس وأسلحة القنوس ورموس الحراب

والسهم ونصال المناجل المسننة ورموس المناقب . ويمكن القول أن صناعة الظران ظلت قائمة حتى الأسرة الثانية عشرة .

وقد بلغت هذه الصناعة أوج مجدها في العصر السابق للأسرات، ولكنها ظلت تحتفظ بمستواها الرفيع خلال الأسرة الأولى وبدأت فقط تفقد قيمتها قرب نهاية الأسرة الثانية وربما كانت السكاكين الكبيرة من أواسط الأسرة الأولى والتي عثر عليها في سفارة أروع أمثلة لمهارة صانع الظران في العصر العتيق (لوحة ١٤٠) .

البردى

إن نبات البردى الذى ينتمى إلى عائلة الخلفاء لا يوجد إلا في مصر ، ولكنه كان يزرع فيها بكثرة في العصور القديمة لعدة أغراض ، أهمها صناعة ورق الكتابة، وكان بعد نزع القشرة الخارجية ويقطع لب النبات إلى شرائط كانت توضع بعد ذلك متوازية متداخلة قليلا في بعضها البعض ثم توضع فوقها طبقة أخرى من الشرائط بحيث تتعاضد معها . وبعد بل طبقي اللب بالماء وطرقهما معا كانتا تلتصقان وتكونان صحيفة واحدة متجانسة رقيقة للكتابة .

ولم يكن هناك حتى الاكتشافات الحديثة في سفارة دليل على وجود البردى كمادة للكتابة . ويبدو في الحقيقة أن اختراع هذه الوسيلة لصنع لم يكن محتما للوقوع في مثل هذه الفترة المبكرة، أى عصر الأسرة الأولى . ومع ذلك فقد عثر على لفافتين من البردى في صندوق صغير يرجع إلى حكم الملك أوديمو ، ومع عدم وجود كتابة عليهما ، فلا يتطرق إلينا الشك في أنهما صنعتا بقصد الكتابة .

الفصل العاشر

الزراعة

الري

كانت مصر في العصر الحثيق ، مع الأعمال العظيمة التي خلفها لنا فنانوها وبنائها وها وصناعاتها ، بلداً زراعياً على نحو ما كان عليه حالها دائماً ، فيجب التنويه إلى أن إحدى المصنوعات البالغة القدم تريتا فرعون وقد أمسك بالقلم في يده ، وهو يحتفل بشق قناة للري . فجميع محاصيل أرضها الغنية هبة من النيل ، وسواء قل المطر أو انعدم فإن مصر دون الرواسب النهرية التي يجلبها النيل العظيم في فيضانه السنوي تصبح صحراء ، ولكن لكي تقوم حضارة عظيمة فلا بد أن يكون هناك تحكم في الفيضان ، حتى يمكن تحقيق أكبر المنافع . لذلك كانت الرقعة الزراعية تقسم بواسطة جسور من التراب إلى أحواض ، تجلب إليها مياه الفيضان في قنوات . ونظام ري الحياض هذا كان يستبق المياه حتى تمتصها الأرض تماماً وكان يمنع تراجعها السريع إذا ما هبط منسوب الفيضان . وهكذا كان النيل يفيض على الوادي والدلتا في شهر يوليو من كل سنة ، وحينما تنحسر المياه في نوفمبر كانوا يبذلون الجهد على الفرش الحصب الذي خلفته وراءها ليجنوا ثماره في إبريل أو مايو .

ويعوزنا الدليل عن الطريقة التي اتبعت لرفع المياه إلى المستويات الأرضية الأكثر ارتفاعاً التي لم تبلغها مياه الفيضان حينما يكون النيل منخفضاً ، وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة في العصور التالية كما هو اليوم باستخدام آلة بدائية تسمى الشادوف . وهو يتكون من عودين

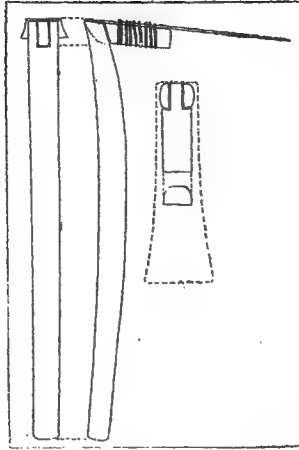
قائمين يتبدل بينهما عمود ثالث يتأرجح على محور ينتهى أحد طرفيه بحبل ودلو، وينتهى الطرف الآخر بثقل مقابل، فهو بذلك آلة بسيطة جداً ربما عرفت في هذا العصر المبكر، فلدينا دليل ملموس على أن الماء كان يرفع بكليات كافية إلى الأرض المرتفعة حيث كانت تزرع الشجيرات.

الحرث والعزق

نحن نعلم القليل عن طبيعة آلاتهم الزراعية، ورغم احتمال استخدامهم للحراث، إلا أنه ليس لدينا دليل مؤكد على وجوده في أزمنة العصر العتيق. وفي الحقيقة إن الآلة الوحيدة التي بقيت لنا منذ ذلك العهد وكانت تستخدم لعزق الأرض هي الفأس، ولدينا لها رسوم توضيحية ونماذج حقيقية ومن المحتمل أن النوع الشائع جداً للفأس هو ذلك الذي استخدمه الملك في شكل ٣، وكان يصنع من الخشب يقويه جبل مضافور. ولكن هناك آلات أخرى بأسلحة من النحاس أوالظران، فهي رغم مشابهتها لقادوم النجار فمن المحتمل بسبب حجمها وخفة سلاحها أن تكون نوعاً من الفتوس الحقيقية (شكل ١٣٩).

الحبوب

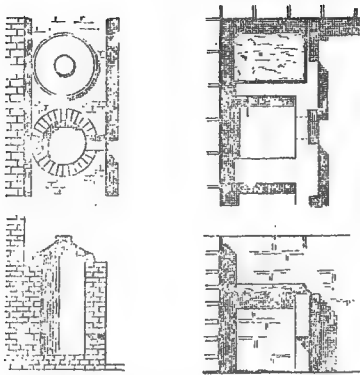
ومن الحبوب التي بذرها المصريون أمكننا التحقق من القمح والشعير والذرة، ومن الفاكهة لدينا البلح والجوز والعنب والنبق وهو من ثمار شجرة الصدر ويشبه الكرز. وقبلنا نشك في أنهم زرعوا الخضروات، ولكننا لانعرف أنواعها. ومن الجلى أنهم زرعوا الكتان بكليات كبيرة لصناعة الأقمشة، ونعلم أنهم فضلوا زراعة الأشجار في صفوف منتظمة، وقد عثرنا على بقايا شجيرات لانعرف نوعها زرعت في صفوف من الحفر على حافة منحدر في جبانة العصر العتيق بسقارة.



(شكل ١٣٩) نوع فأس لها سلاح من النحاس

الحصاد

لقد استعملوا المنجل للحصد ، فقد عثرنا على عدد من النماذج الدقيقة لهذه الآلة الزراعية في القبر رقم ٣٠٣٥ (لوحة ٤٠) وكانت تصنع من الخشب بعد قاطع من فصال القاران المسننة ، نظمت في مجرى وثبتت فيه بمادة لاصقة سوداء لم نعرفها بعد . وكانوا يخزنون القمح بعد حصده في صوامع ذات أشكال مختلفة . أكثرها شيوعاً ، النوخ الممكن نقله وهو أسطواني الشكل مصنوع من الفخار ، أما مخازن الحبوب المبنية فكانت من نوعين : أحدهما أسطواني من الداخل ، والآخر مستطيل ومقسم إلى عدة أقسام ، وكانت الحبوب في كلا النوعين تصب في داخلها من أعلى وتُسحب من باب صغير عند القاعدة (شكل ١٤٠) .



(شكل ١٤٠) أنواع مخازن قمح محاطة بالبناء

الحيوانات الأليفة

وإلى جانب زراعة الأرض كان الفلاح في العصر العتيق يربي الماشية على نطاق كبير، فإذا حكمنا بالكمية الهائلة من بقايا الحيوان التي تركها القدماء كتقدمات من الطعام ومن قرون رموس الثيران التي عثر عليها على أرائك المقابر . يبدو أن ثيرانهم كانت من الأنواع غير المعروفة الآن في مصر، ولكنها مازالت تربي اليوم في السودان، وكانت تتميز بقرونها الطويلة ومن النوع الشبيهة بما يعرف باسم الزينة (Zebu) .

ومن الحيوانات الأليفة الأخرى الحمار والماعز والخنزير والغنم وربما الجمل .

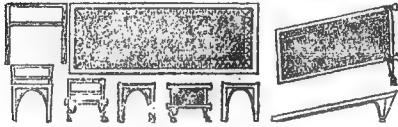
الفصل الحادي عشر

الحياة المنزلية

المنازل والآثاث

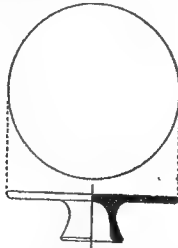
إن دليلنا الوحيد على وجود المنازل في مصر في العصر العتيق . مصدره المقابر والتوابيت بوصفها مساكن للبوق ، وكانت غالباً صورة معقولة ، لتلك المنازل التي سكنوها في حياتهم . ورغم أن الأكواخ المستديرة التي سكنها الناس فيما قبل الأسرات ، بقيت ولا شك في المناطق الريفية وكذلك في الأحياء الفقيرة من المدن ، فربما استخدم غالبية أهل الحضر منازل مستطيلة الشكل من اللبن أو الخشب بسقوف منخفضة مقيمة . وكانت منازلهم تختلف في حجمها ونوعها تبعاً لحالة أصحابها الاجتماعية ، ولكنهم تمكن مساكن بدائية ، فلا شك أنه إذا حكمنا على ذلك من مقابرهم ، فإن بيوت التبتلاء لا بد وأنها بلغت درجة من الرخاء بحيث كانت تحتوي على حمامات ودورات مياه ، وأجنحة منفصلة للنوم وجدران تحمل زخرفة بالحصير . ويؤكد هذا المستوى الرفيع في المعيشة وجود أثاث منزلي مريح لنا منه أمثلة واقعية هترنا عليها ، إما كقطع منقولة بالحفائر ، وإما صور على جدران مقبرة حسي بسقارة . ورغم أن هذا القبر بني في أوائل الأسرة الثالثة ، إلا أن صورته الملونة تمثل الآثاث والقطع الأثرية الأخرى التي لا بد أن كانت شائعة الاستعمال طوال العصر العتيق . وكانت السكرامى والأسرة تصنع من الخشب بتركيبات من الخشب والنحاس ، وفي كثير من الحالات كانت لها مقاعد ومراتب من الجلد أو القماش مثبتة في الإطار الخشبي بسور جلدية . وكانت أرجل مثل هذا الآثاث تنحت على شكل الأرجل الأمامية والخلفية للثور ، ومع

ذلك لم تكن الأنواع إلا كثر بساطة غير شائعة (شكل ١٤١) وكانوا يفضلون كثيراً تصميمات أرجل الثيران، وكانت تستعمل في أرجل الصناديق ولوحات اللعب والأدوات الأخرى الصغيرة. كانت الأسرة عادة منخفضة ونادراً ما يعلو ارتفاعها ١٢ بوصة ، ولم تكن الكراسي في الغالب تعدو هذا الارتفاع حتى أن الجالس عليها عليه أن يتخذ وضع المقرَّب تقريباً . وربما كانت مثل هذه الكراسي تستعمل حول الموائد المنخفضة في الحجرة التي كانت تستخدم لتناول الطعام . ومع ذلك فقد شاع استعمال الكراسي إلا كثر ارتفاعاً مما يعتبر الآن ارتفاعاً عادياً .



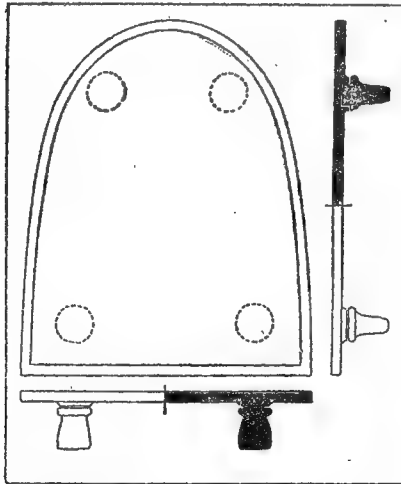
(شكل ١٤١) صور أثاث مقبرة خشبي

وكانت الموائد تصنع دواماً من الحجر، وكانت على نوعين، أكثرهما شيوعاً له سطح مستدير وقاعدة على شكل قائم في الوسط (شكل ١٤٢) ،



(شكل ١٤٢) طراز الموائد المنخفضة ذات السطح المستدير

بينما النوع الآخر له أربعة أرجل وسطح على شكل الدرع (شكل ١٤٣) والنوعان كانا يصنعان من المرمر أو الشيست ، وكأما عادة منخفضين يبلغ ارتفاع الواحد منهما نحو ٩ بوصات فقط من مستوى الأرضية . وهي صغيرة الحجم ، فبإعداد القليل النادر ، وإذا ما استخدمت للطعام كانت بكل وضوح تسكنى وجبة شخص واحد . ويمكننا على ذلك أن نستنتج أن كل مصري في العصر العتيق كانت له مائدته الخاصة عندما يشتركون في الولائم وقدشاع أيضاً استعمال قواعد مرتفعة من الحجر ، كان يوضع فوقها سطح المائدة العلوى المستدير ، حتى أن وضع الفرفصاء عند تناول الطعام لم يكن قطعاً القاعدة التي لا تتغير (شكل ١٤٤) ، وبما يؤيد ذلك في الأسرة الثانية الصور التوضيحية النادرة التي تبينها بعض اللوحات التي اكتشفها حديثاً زكى سعد بحلوان .



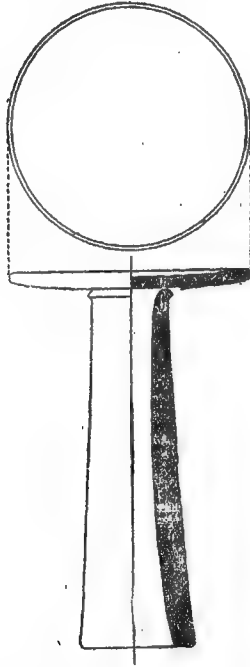
(شكل ١٤٣) طراز المائدة المنخفضة ذات السطح العتيق بالدرع

الطعام والشراب

نحن نعرف الكثير عن طعام المصريين في العصر العتيق وشرابهم ، حيث قد جرت العادة أن تركوا وجبة أكل بجوار الميت في مقابرهم . ففي قبر سيدة من الطبقة الأقل ثراء بسقارة من الأسرة الثانية شاء الحظ أن نعثر على وجبة كاملة ، في حالة حفظ كاملة بجوار تابوتها (لوحة ٢٩) ، وقد بلغت من جودة الحفظ أن تمسكنا من التعرف بسهولة على ما كان موجوداً في كل طبق ، ولا يعزونا إلا إدراك الترتيب الذي كان يتبع في تناولها . وكان بعض الطعام يردم في أوعية فخارية خشنة ، وبعضها في صحنون جميلة وطاسات من المرمر والديوريت ، ويشير ذلك إلى أنواع الطعام التي كانت تؤكل ساخنة حيث أنه من الطبيعي أن الإنااء الحبرى لم يكن بذى فائدة في تسخين الطعام ، وكانت قائمة هذه الوجبة المتقنة كما يلي :

- ١ - نوع من العصيدة من دقيق الشعير .
 - ٢ - سمعان مطهى ، نظيف ووضعت رأسه تحت جناحه .
 - ٣ - كليتان مطبختان .
 - ٤ - طاجن حمام .
 - ٥ - سمكة مطبوخة نظافت وقدمت بعد إزالة رأسها .
 - ٦ - أضلاع من اللحم البقرى .
 - ٧ - أرغفة صغيرة مثلثة من القمح .
 - ٨ - كملك صغير مستدير .
 - ٩ - فاكهة مطبوخة ، يحتمل أنها تين .
 - ١٠ - فاكهة نبق طازجة من شجرة السدر ويشبه السكرز .
- وكانت هناك مع هذه الوجبة أوان صغيرة تحوى على نوع من الجبن

كما كانت هناك أوران فخارية كبيرة للنيذ وربما كانت للجمعة . وتذكر من الصور التي توجد على لوحات من الأسرة الثانية أن الأوز كان أيضاً يؤكل . والمفروض أن هذه الولية الفخمة كانت فوق مستوى عامة الشعب ولكنها مع ذلك تدلنا على نوع الطعام الذي كان يؤكل في ذلك العهد العتيق منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة .



(شكل ١٤٤) للمائدة ذات الحامل العادى .

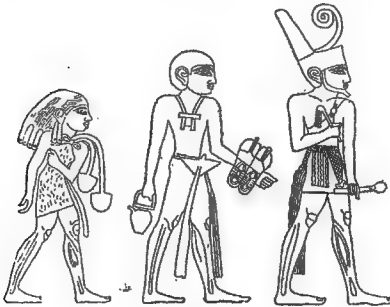
أما عن المشروبات الروحية فلدينا دلائل مؤكدة عن وجود نبيذ العنب ومن المحتمل كما كان عليه الحال في العصور التالية أنهم كانوا يصنعون أيضاً النبيذ من البلح ، أما الجمرة فكانت تصنع من الشعير .

ولتمليح الطعام كان الملح يوجد بكثرة دائماً في مصر ، ولتحليته ربما استعملوا عسل النحل ، لأنه لا شك في أن سكر القصب لم يكن معروفاً حتى العصور الحديثة نسبياً .

الآزياء والأدھنة

إن طرز الملابس ولا شك تغيرت خلال الأربعمائة سنة تقريباً وهي مدة العصر العتيق وإن كانت التغيرات الأساسية في هذا المجال تبدو قليلة ، فإن مظهر النيل من الأسرة الأولى ولا شك ما كان يثير انتقاداً كبيراً في عصر بناء الأهرام (١٤٥) .

وفي الحقيقة أن كل الآزياء تقريباً التي استحدثت في العصور التالية كان

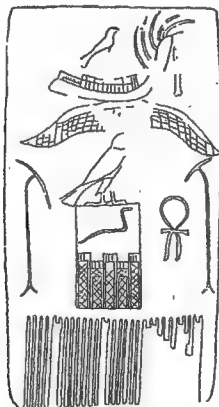


(شكل ١٤٥) نماذج من ملابس الرجال على لوحة نارمر

الرجال والنساء يلبسونها في الأمرين الأولى والثانية . فالرداء الملصق كان بالطبع أكثر غفامة ، ولكنه كان يختلف عن غيره فيما كان يلحق به من شعارات كغطاء الرأس وذيل الثور الذي كان يتصل بالحزام من الخفاف ، بينما كان إزار الملك وقيصه مشابهين لما يابسه رعاياه .

والصندل المصنوع من الجلود هو النوع الوحيد من الملابس التي لدينا منها نماذج واقعية ، وهذه النماذج تؤكد إلى حد بعيدة تصويره على الآثار كلوحة نعرمر (شكل ١٣٨) .

ولا يمكننا التأكد من أنهم لبسوا الشعر المستعار على نحو ما فعلوا في العصور التالية ، وإن كان ذلك يبدو محتملاً من الأدلة المحدودة المصورة . وكانت النساء تستفطن بشعورهن طويلة ، وقد عثرنا على أمشاط من الخشب والعاج ، وربما من أجملها ذلك المشط الذي يحمل اسم الملك أودجي (الثعبان) (شكل ١٤٦) . وكان كحل العيون الأخضر اللون يصنع من



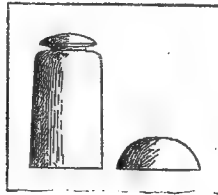
(شكل ١٤٦) مشط أودجي

الملخيت ، والكحل الرمادى الداكن من الغلينة (كيريتور الرصاص) وكان
الاثنان يخلطان على لوحات مستطيلة من الأردواز . وكانوا يلجئون إلى
زيتة الوجه باستعمال مسحوق أحمر من الحمايت .

هذا وكانت المراتد الرقيقة من العاج والخشب أداة لاستعمال
الأدهنة ، بينما كانت الأوعية الصغيرة من المرمر والرغام والشيست والبلور
تستخدم لحفظ الأدهنة والعطور الأخرى .

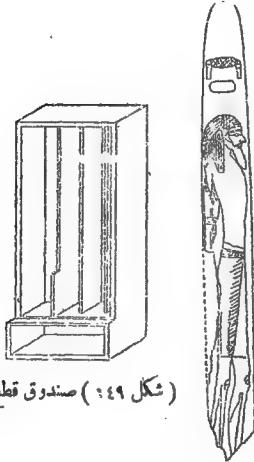
وسائل التسلية

كانت اللعبة المفضلة لتسلية داخل المنزل أحد أنواع الشطرنج . ولكن
رغم عشورنا على مجموعات كاملة لقطع اللعب واللوحه التي كانت توضع عليها ،
فلازلنا نجهل قواعد اللعب بها الحقيقية . وكانت هناك ولاشك طرق مختلفة
لهذه اللعبة ، فقد وجدنا لوحات عليها ثلاثة صفوف أو صفان من المربعات
(لوحة ٤٨) وتختلف المجموعة السكالة للبيادق في العدد ، فبعضها
يتكون من ١٤ قطعة ، ٧ في كل جانب ، والبعض الآخر يتكون من
٢٦ قطعة يأخذ كل لاعب ١٣ منها . وكانت البيادق تصنع من العاج
أو الخشب ، وهى من تصميمين : نصف كرة للقطع الجاهزة بجانب ، وأسطوانة
مسلوبة تنتهى بقمة على شكل قرص للجانب الآخر (شكل ١٤٧) . ووجود



(شكل ١٤٧) أنواع قطع اللعب

عصى النرد مع هذه المجموعات يوحي بأن اللعبة لم تعتمد كلية على المهارة، إذ يبدو من المحتمل أن تحركات اليادق كانت تخضع للتجراح أو للفشل في رمي العصي التي كانت تقوم مقام النرد في العصور المتأخرة (شكل ١٤٨) وكانت مجموعات قطع اللعب تحفظ في صناديق ملائمة لها (شكل ١٤٩) .

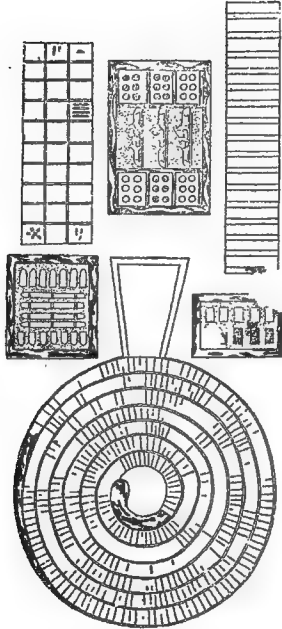


(شكل ١٤٩) صندوق قطع اللعب

(شكل ١٤٨) عصا الزهر لقافا

وكانت هناك لعبة أخرى ذات تحركات ربما كانت تخضع لرمي عصي النرد، تلعب على منصدة مستديرة، عليها صورة ثعبان ملفوف رسمت على جسمه علامات الأماكن، وكانت هذه اللعبة تتطلب ٦ قطع، ٣ منها لكل جانب وتمثل حيوانات رابضة كانت في العادة ٣ أسود و ٣ لبوات من العاج أو الخشب (شكل ١٥٠) وغالباً ما عثر بجانب مجموعات اللعب سواء من نوع

الشطرنج أو الثعبان على كرات صغيرة من الحجر يبدو أنها استعملت
كوسيلة للعد .



(شكل ١٥٠) أطقم اللعب كما رسمت في مقبرة حسي

وقد عثر في سفارة على أحد بقايا الصواني الخشبية، بها مجموعة من الأقراص^(١) الحجرية والنحاسية والخشبية والقرنية والعاجية، زخرف كثير منها بدقة، ومع أنه لا يمكننا التأكد بصفة قاطعة، إلا أنه قد يكون من المحتمل أن هذه القطع أيضاً تشكل جزءاً من لعبة هذه الأقراص التي يبلغ قطرها نحو ٤ بوصات، لها ثقب في الوسط كان به عصاً صغيرة مديبة، طولها نحو ٦ بوصات، وقد اتضح لنا بالتجربة العملية أننا إذا أدركنا هذه العصا بين أصابعنا بسرعة فإن القرص يدور كما تدور النحلة لمدة طويلة. وللأسف فإن الصينية الخشبية التي كانت تحوى هذه الأقراص كانت مكسورة، حتى أنه لم يبق هناك أى أثر للعلامات التي كانت عليها. ولكن ربما استطعنا أن نتخيل لعبة كانت النحلة الدوارة فيها تستقر في مكان ما محددة بذلك الرمية الصائبة. ولم نعر في المخطفات الضئيلة التي تركت لنا بعد ٥٠٠٠ سنة على أية آثار يمكن أن نجد من بينها أدوات موسيقية، ولكن مما لاشك فيه أن هذه الأدوات كانت موجودة، فرتص النساء على وقع تصفيق بالأيدي يظهر بوضوح على رأس دبوس قنال الملك العقرب (شكل ٣).

أما عن الرياضة الخلوبية فقد ركز المصري في العصر العتيق ألبابه على صيد الحيوانات البرية كالأسد وفرس النهر والخنزير البري والغزال. وكانت أسلحة القنص تتمثل في الحربة والبلطة وعصا القتال وعصا الرمي والقوس والسهم وحبل الصيد. وبالرغم من عدم وجود صور توضيحية لدينا إلا أننا نكاد نكون متأكدين أن المصري في ذلك العصر تتمتع برياضة صيد الطيور والسماك في المستنقعات على نحو ما فعل خلقه في عصر بناء الأهرام.

(١) مثل أقراص الطاولة الحديثة (الترد).

ملحق

تقرير مانيتون عن الاسرة الأولى والثانية نقلًا عن أفريكانوس

الاسرة الأولى

١ - فيما بعد أرواح الموتى ، أنصاف الآلهة ، أول بيت ملكي وعدد ملوكه ثمانية ، أولهم مينيس Menes من طينة الذي حكم مدة اثنين وستين عاماً . هاجمه فرس نهر وهلك .

٢ - أثوثيس Athôthis ، ابنه ، مدة سبعة وخمسين عاماً ، بنى القصر في منف . مؤلفاته الفلكية لازالت موجودة ، لأنه كان طبيباً .

٣ - كنكينيس Konkenos ، ابنه ، مدة واحد وثلاثين عاماً .

٤ - يونيفيس Uenphes ، ابنه ، مدة ثلاثة وعشرين عاماً ، خلال حكمه عم بلاد مصر قحط كبير . شيد هرمًا بالقرب من كوتشيمي Kochimi .

٥ - يوسافيدوس Usaphaidos ، ابنه ، مدة عشرين عاماً .

٦ - ميبيدوس Miebidos ، ابنه ، مدة ستة وعشرين عاماً .

٧ - سمبسيس Semempses ، ابنه ، مدة ثمانية عشر عاماً . خلال حكمه حلت بمصر كارثة عظيمة جداً .

٨ - بينيخوس Bienechos ، ابنه ، ستة وعشرون عاماً .

بمجموع سني حكمهم ٢٥٢ عاماً .

الأسرة الثانية

تشمل الأسرة الثانية تسعة ملوك من طيبة

١ - بوئوس Boethos ، ثمانية وثلاثون عاماً ، خلال حكمه قُتِلَ شق كبير (زلزال) في بوبسطة^(١) ، هلك بسببه كثيرون .

٢ - كايخوس Kaichos ، مدة تسعة وثلاثين عاماً ، خلال حكمه عبدت عجول آيبس كآلهة في منف وعجول منيفيس Mnevis في هليوبوليس (عين شمس) ، والماعز في منديس^(٢)

٣ - بينوثريس Bienothris ، مدة سبعة وأربعين عاماً ، خلال حكمه تقرر ان تتولى المرأة الحكم .

٤ - تلاس Tlas ، مدة سبع عشرة سنة .

٥ - سيثينيس Sethenès مدة واحد وأربعين عاماً .

٦ - خايريس Chai rès ، مدة سبع عشرة سنة

٧ - نفركيريس Nephhercherès ، مدة خمس وعشرين سنة ، خلال حكمه ، كما تقص الرواية ، فاض النيل عملاً لمدة أحد عشر يوماً .

٨ - سيزوكريس Sesochris ، مدة ثمانية وأربعين عاماً ، كان طوله خمسة أذرع وثلاثة كفوف .

٩ - كينيريس - مدة ثلاثين عاماً

بمجموع سنى حكمهم ٣٠٢ سنة

وبمجموع سنى حكم الأمرين الأولى والثانية بعد الطوفان ٥٥٥ عاماً طبق ما أوردته الطبعة الثانية لأفريكانوس .

(١) مدينة أثرية قديمة كانت عاصمة مصر خلال حكم الأسرة الثانية والعشرين ، وموسمها بالقرب من الزقازيق .

(٢) منديس : عاصمة المتاعلة (١٦) في مصر القديمة ومكانها حالياً على الريح وفي الأمديد مركز السبلاتون محافظة الدقهلية .
(المترجم)

بيان باللوحات

- رسم
- ١ (أ) المقبض العاجى المنحوت لسكين جبل العرق .
- ١ (ب) لوحة الصيادين .
- ٢ (أ) رأس صولجان الملك العقرب .
- ٢ (ب) لوحة الملك أوادجى (الثعبان) الجنازية .
- ٣ (أ) لوحة فعرمر .
- ٣ (ب) جزء من لوحة الثور .
- ٤ الواجهة الشرقية لقبر الملكة حرنيت بسقارة .
- ٥ د الغربية د د مررت نيت د .
- ٦ د الشرقية للقبيرة ٣٥٠٦ بسقارة .
- ٧ زخرفة ملونة على واجهة قبر قاعا بسقارة .
- ٨ جزء من مصطبة رهوس المعجول بالواجهة الشرقية لقبر أوادجى بسقارة .
- ٩ منظر مصطبة رهوس المعجول من أعلى .
- ١٠ مدخل مدرج لقبر نموذجى من الأسرة الثانية بسقارة .
- ١١ سداة حجرية أمام حجرة الدفن لقبر من الأسرة الثانية بسقارة .
- ١٢ تنظيف حشو المبنى العلوى لقبر من الأسرة الثانية به مجموعات مبشرة من الآوانى .
- ١٣ داخل المبنى العلوى بعد الحفر وبعض الآوانى المكتشفة فيه .
- ١٤ جزء من أرضية المعبد الجنازى للملك قاعا بسقارة .

- رقم
- ١٥ السقف الخشبي المدخل المدرج بالمقبرة ٣٥٠٦ بسقارة .
- ١٦ سداذة أمام مدخل غرفة الدفن بالمقبرة ٣٥٠٦ بسقارة .
- ١٧ المدرج والباب المبنى بالحجر بالمقبرة ٣٥٠٦ .
- ١٨ حفرة مركب لقبر من الأسرة الأولى أسفل قبر آخر من الأسرة الثالثة بسقارة .
- ١٩ نموذج ضيعة الملك حور صحا بسقارة .
- ٢٠ جرار الخمر المخزونة بالحجرات العلوية لقبر من الأسرة الأولى بسقارة .
- ٢١ أرضية خشبية لحجرة الدفن بقبر من الأسرة الأولى بسقارة .
- ٢٢ دفنة جانبية من أوائل الأسرة الأولى .
- ٢٣ بها هيكل قزم
- (١) ٢٤ تابوت خشبي لدفنة قرفساء من الأسرة الثانية
- (ب) ٢٤ لدفنة ممددة
- (١) ٢٥ مومياء بغير تابوت من الأسرة الثانية
- (ب) ٢٥ تابوت في لجوة للدفن من الأسرة الثانية
- ٢٦ دفنة كاب عند مدخل قبر الملكة حرنيت بسقارة
- ٢٧ بقايا تماثيل خشبيين بالمعبد الجنائزي للملك قاعا بسقارة
- ٢٨ وليمة جنائزية في صحاف من الحجر والفخار
- ٢٩ . . كما عثر عليها بقبر سليم من الأسرة الثانية بسقارة .
- (١) ٣٠ لوحة النيل مركا بقبر قاعا بسقارة
- (ب) ٣٠ تماثيل صغير من العاج من أيديوس
- ٣١ تماثيل إردواز للملك خع سخم من هيرا كونيوليس
- (١) ٣٢ لوحة جنائزية من الأسرة الثانية بسقارة
- (ب) ٣٢ جزء من عتب من الحجر الجيري عليه نقش أسد من حجرة الدفن بقبر الملكة حرنيت بسقارة

- ٢٣
(١) ٢٣ قدر نثار من بلاد أجنبية يرجع لاواخر الأسرة الأولى
(ب) ٢٣ كأس صغير من المرمز بخارف زهور من الأسرة ٢
(١) ٢٤ إناء نثار أجنبي يرجع لاواخر الأسرة ١
(ب) ٢٤
(١) ٢٥ صحن من الحجر الجيري الأصفر من الأسرة الأولى بسقارة
(ب) ٢٥ صحن من المرمز من الأسرة الثانية بسقارة
٢٦ أوان مرمية من قبر الملك حور دحا بسقارة
٢٧
(١) ٢٨ صحن إردوازي يشبه ورقة الشجر من منتصف الأسرة ١
(ب) ٢٨ كأس من الإردواز والحجر الجيري الأحمر القرنفل من قبر
الملكة حرنيت بسقارة .
(١) ٢٩ أجزاء من صحن إردوازي يشبه ورقة الشجر وملعقة من الإردواز
يرجعان لمنتصف الأسرة الأولى .
(ب) ٢٩ صحن من الإردواز في شكل سلة من الخوص من الأسرة ٢
(١) ٤٠ سكاكين من الطران من منتصف الأسرة ١
(ب) ٤٠ منجل من الخشب نبت فيه أسنان حادة من الطران يرجع
لمنتصف الأسرة الأولى
٤١ أدوات نحاسية وأسلحة وأوان كما عشر عليها بقبر الملك جر
بسقارة .
(١) ٤٢ أزاميل من النحاس ونخارز وإبر من قبر جر بسقارة
(ب) ٤٢ مقبض فأس خشبي منحوت من الأسرة الأولى .
(١) ٤٣ أوان نحاسية من قبر جر بسقارة
(ب) ٤٣ صحن نحاسية من قبر جر بسقارة

- رقم
(١) ٤٤ قنوس بنصل نحاسى ومقبض خشبي من منتصف الأسرة ١
(ب) ٤٤ قادوم بنصل نحاسى ومقبض خشبي ١ د د د
(١) ٤٥ منشار وسكاكين من النحاس من منتصف الأسرة ١
(ب) ٤٥ صولجان مذهب من بلاد النوبة ويرجع للأسرة الأولى
(١) ٤٦ تمثال أسد من الفخار من الأسرة ٢ - هيراكونبوليس
(ب) ٤٦ قرص من الاستيديات الأسود المطعم بالمرمر من الأسرة الأولى بسقارة .
١٧ علبة أسطوانية من الخشب المطعم بالإنوس من عهد الأسرة الأولى كانت به لفافة من البردى غير مكتوبة من سقارة
٤٨ قطع اللعب العاجية من قبر الملك أوادجي بسقارة

بيان بالأشكال

- | | | |
|----|-----|--|
| ١ | شكل | يد سكين جبل العرق |
| ٢ | د | خريطة مصر |
| ٣ | د | رأس صولجان اذلك ، عقرب ، |
| ٤ | د | لوحة نعرمر |
| ٥ | د | رأس صولجان نعرمر |
| ٦ | د | اسم نعرمر في وادى القاش |
| ٧ | د | مسقط أفق ومسقط رأسي لمقبرة نيت حتب في نقادة |
| ٨ | د | الكتابة الموجودة على عاتم إماء للبسكة نيت حتب |
| ٩ | د | الاسم الحوريسى لحور عحا |
| ١٠ | د | بطاقة عاجية من نقادة |
| ١١ | د | بطاقة خشبية من أيدوس |
| ١٢ | د | بطاقة خشبية من أيدوس |
| ١٣ | د | بطاقة عاجية من أيدوس |
| ١٤ | د | مسقط أفق للمجموعة الشمالية القرية من مقابر أيدوس |
| ١٥ | د | مسقط أفق للمقبرة ٣٣٥٧ في سقارة |
| ١٦ | د | قطاع للمقبرة ٣٣٥٧ في سقارة |
| ١٧ | د | نموذج لمجموعة مباني حور عحا وحفرة مركبة |
| ١٨ | د | (أ) نماذج أختام جرار مكتوبة للملك حور عحا |
| ١٨ | د | (ب) نماذج أختام جرار مكتوبة للملك حور عحا |
| ١٩ | د | الاسم الحوريسى للملك جر |
| ٢٠ | د | بطاقة عاجية للملك جر من أيدوس |
| ٢١ | د | بطاقة خشبية للملك جر من سقارة |

شكل ٢٢	نص صخرى للملك دجر
٢٣	بطاقة مكتوبة للملك دجر
٢٤	مسقط أفقى للقبعة و (O) فى أيدوس
٢٥	نماذج لوحات من المدافن الجانبية فى أيدوس
٢٦	لوحة الملك دجر التى هُتِرَ عليها فى أيدوس
٢٧	مسقط أفقى ومسقط رأسى للقبعة ٣٤٧١ فى سقارة
٢٨	اسم مريت - نيت
٢٩	لوحة مريت - نيت من أيدوس
٣٠	مسقط أفقى ورأسى للقبعة ٣٥٠٣ فى سقارة
٣١	مسقط أفقى للقبعة (ى) فى أيدوس
٣٢	الاسم الحورىسى لوادجى
٣٣	مسقط أفقى للقبعة ز (Z) فى أيدوس
٣٥، ٣٤	مسقطان أفقى ورأسى للقبعة ٣٥٠٤ فى سقارة
٣٦	الاسم الحورىسى لأوديمو
٣٧	بطاقة أوديمو الخشبية من أيدوس
٣٨	مسقط أفقى للقبعة ٣٠٣٥ فى سقارة
٣٩	مسقط رأسى للقبعة ٣٠٣٥ فى سقارة
٤٠	مسقط أفقى للقبعة ت (T) فى أيدوس
٤١	الاسم الحورىسى للملك عندج - إيب
٤٢	مسقط أفقى للقبعة س (X) فى أيدوس
٤٣	مسقطان أفقى ورأسى للقبعة ٣٠٣٨ فى سقارة
٤٤	مسقط أفقى للتصميم الثانى للقبعة ٣٠٣٨ فى سقارة
٤٥	مسقط رأسى للتصميم الثانى للقبعة ٣٠٣٨ فى سقارة
٤٦	الاسم الحورىسى للملك سمرخت
٤٧	مسقط أفقى للقبعة ى (U) فى أيدوس

- ٤٨ شكل لوحة الملك سمرخت من أيدوس
- ٤٩ > بطاقة سمرخت العاجية من أيدوس
- ٥٠ > الاسم الحوريى للملك قاعا
- ٥١ > مسقط أفقى للبقرة ق (Q) فى أيدوس
- ٥٢ > لوحة قاعا من أيدوس
- ٥٣ > مسقطان أفقى ورأسى للبقرة ٣٥٠٥ فى سقارة
- ٥٤ > الاسم الحوريى للملك حتب سخموى
- ٥٥ > الاسم الحوريى لرع — نب
- ٥٦ > اسم منقوش على الصخر لرع — نب
- ٥٧ > الاسم الحوريى للملك ثرن
- ٥٨ > مسقط أفقى للبقرة ٢٣٠٢ فى سقارة
- ٥٩ > الاسم الحوريى لسخم أيب واسم بر — إيب — سن يعلوه
الاله ست
- ٦٠ > مسقط أفقى للبقرة ب (P) فى أيدوس
- ٦١ > الاسم الحوريى للملك خع سخم
- ٦٢ > نقوش وكتابة على قاعدتى تمثالى خع سخم
- ٦٣ > نقوش كتابة للملك خع سخم على إناء حجرى
- ٦٤ > جزء من لوحة خع سخم
- ٦٥ > حوريس وست يعتليان اسم خع سخموى
- ٦٦ > مسقط أفقى للبقرة ف (V) فى أيدوس
- ٦٧ > خاتم إناء للملكة نى — معات — حتب
- ٦٨ > تيجان مصرية الأبيض والأحمر والمزدوج
- ٦٩ > الألقاب الملكية العظيمة الثلاثة
- ٧٠ > عاربون من المصر العتيق على لوحة الصياد
- ٧١ > أنواع السهام

- ٧٢ شكل المقبض الذهبي للصولجان من النوبة له رأس حجرية
- ٧٣ " أنواع الرموس الحجرية للصولجان
- ٧٤ " جزء من لوحة تبين معسكرات أو مدناً لكل منها سياج محصن
- ٧٥ " مسقط أفقي لبوابات محصنة
- ٧٦ " منظر أكسونومتري لبوابة محصنة
- ٧٧ " تابوت خشبي من أواخر الأسرة الثانية من سقارة
- ٧٨ " رسم تصوري لحفرة مركب
- ٧٩ " رسم تصوري لخارج مبنى علوى من اللبن
- ٨٠ " رسم تصوري للقبرة ١٥٣٠ في نجع الدير
- ٨١ " مقبرة طبقة الصانع والخدم في أوائل الأسرة الأولى
- ٨٢ " مقبرة الطبقة الفقيرة في أوائل الأسرة الأولى
- ٨٣ " رسم أكسونومتري للقبرة ٣٥٠٤ في سقارة
- ٨٤ " تفصيل وضع السدادة الحجرية في المدخل ذى الدرج
- ٨٥ " مساقط تخطيطية لمقابر حر - نيت (أوائل الأسرة الأولى)
وعندج - إيب (أوائل الأسرة الأولى) وزوسر
(أوائل الأسرة الثالثة)
- ٨٦ " مسقطان أفقي ورأسى للقبرة ١٣٧٤ في حلوان
- ٨٧ " منظر أكسونومتري لمقبرة صانع من أواسط الأسرة الأولى
- ٨٨ " مقبرة الطبقة الفقيرة من أواسط الأسرة الأولى
- ٨٩ " مسقطان أفقي ورأسى لمقبرة في سقارة
- ٩٠ " مقبرة لأحد طبقة الصانع أو الخدم من أواخر الأسرة الأولى
- ٩١ " مقبرة صخرية من أواخر الأسرة الأولى
- ٩٢ " مسقطان أفقي ورأسى لمقبرة من أوائل الأسرة الثانية

- ٩٣ شكل المبني السفلى لمقبرة من أوائل الأسرة الثانية
- ٩٤ مسقطان أفقي ورأسى لمقبرة من أوائل الأسرة الثانية
للطبقة الوسطى
- ٩٥ مسقطان أفقي ورأسى لمقبرة الطبقة الفقيرة في الأسرة الثانية
- ٩٦ مسقطان أفقي ورأسى للمبنى العلوى في أحد مقابر أواخر
الأسرة الثانية
- ٩٧ مسقطان أفقي ورأسى لمقبرة الطبقة الفقيرة في أواخر
الأسرة الثانية
- ٩٨ نماذج للوخرفة باللون على الجدران
- ٩٩ نماذج التصميمات الزخرفية على الخشب والعظم والعاج
- ١٠٠ واجهة قصر على لوحة وادجى
- ١٠١ منظر أكسوفومترى لمبنى نموذجى
- ١٠٢ الهيكلان القوميان لمصر العليا والسفلى
- ١٠٣ رسم تصورى لواجهة قصر من أوائل الأسرة الأولى
- ١٠٤ نماذج طرق تماسك قوالب اللبن
- ١٠٥ تفصيل للبناء باللبن
- ١٠٦ تفصيل لوضع السقف الخشبي
- ١٠٧ تفصيل لوضع السقف الخشبي
- ١٠٨ تفصيل لوضع السقف الخشبي
- ١٠٩ تفصيل لوضع السقف الخشبي
- ١١٠ واجهة بناء من عصر جمدة نصر
- ١١١ تفصيل للأعمدة المكسوة بالخشب
- ١١٢ نماذج لبطاقات خشبية وعاجية
- ١١٣ نماذج لاختتام جرار أوائل الأسرة الأولى
- ١١٤ نماذج لاختتام جرار أواسط الأسرة الأولى

- نماذج لاختتام جرار أواخر الأسرة الأولى ١١٥ شكل
- خاتم إناه للوزير حماكا ١١٦ د
- نماذج للكتابة بالحفر على أوان حجرية ١١٧ د
- نماذج للكتابة المرسومة على أوان حجرية ١١٨ د
- أنموذج للكتابة بالحفر على الأواني الفخارية ١١٩ د
- أنموذج للكتابة المرسومة على الأواني الفخارية ١٢٠ د
- علامات الأواني ١٢١ د
- أنواع الأواني الفخارية ١٢٢ د
- أنواع أختام طينية للأواني ١٢٣ د
- صورة من الدولة القديمة لصناعة الأواني الحجرية ١٢٤ د
- أنواع الأواني الحجرية ١٢٥ د
- طراز المطرقة في الأسرة الأولى ١٢٦ د
- طراز المنشار في الأسرة الأولى ١٢٧ د
- أنواع الأزاميل في الأسرة الأولى ١٢٨ د
- طراز المخراز في الأسرة الأولى ١٢٩ د
- تفاصيل تركيب السرير الخشبي ١٣٠ د
- أنواع السكاكين البرنزية ذات المقابض الخشبية ١٣١ د
- أنواع الأواني النحاسية ١٣٢ د
- تصميم زخرفي لحلي المقبرة (ز) في أيلدوس ١٣٣ د
- بطاقات عاجية من مقبرة الملكة نيت — حتب في نقادة ١٣٤ د
- مقعد له رجل واحدة — من سقارة ١٣٥ د
- مخراز برنزي من الأسرة الأولى ١٣٦ د
- خزينة أنبوية من الجلد من سقارة ١٣٧ د
- صندل من الجلد من سقارة ١٣٨ د

- ١٣٩ شكل فأس لها سلاح من النحاس
١٤٠ » أنواع مخازن قبح محاطة بالبناء
١٤١ » أثاث مقبرة خشبي
١٤٢ » طراز الموائد المنخفضة ذات السطح المستدير
١٤٣ » طراز المائدة المنخفضة ذات السطح المستدير الشبيه بالدرع
١٤٤ » المائدة ذات الحامل العادي
١٤٥ » تماذج من ملابس الرجال على لوحة نعر مر
١٤٦ » مشط وادجي
١٤٧ » أنواع قطع اللعب
١٤٨ » عصا الزمر لقها
١٤٩ » صندوق قطع اللعب
١٥٠ » أطقم اللعب كما رسمت في مقبرة حسي

BIBLIOGRAPHY

- Amélineau, E. *Les Nouvelles Fouilles d'Abydos*. Paris, 1896-1902
- Baumgartel, E. *The Cultures of Prehistoric Egypt*. Oxford, 1947
- Bénédicté, G. 'Le Couteau de Gebel el Arak.' *Monuments Piot*, XXII, 1916
- Borchardt, L. 'Das Grab des Menes.' *Zeitschrift für Aegyptische Sprache*, XXXVI, 1938
- Capart, J. *Primitive Art in Egypt*. London, 1905
- Daressy, G. 'La Pierre de Palerme et la chronologie de l'ancien empire.' *Bulletin de l'Institut Français*, XII, 1916
- Derry, D.E. 'The Dynastic Race in Egypt.' *Journal of Egyptian Archaeology* 42, 1956
- Drilotton, E. and Vandier, J. *Les Peuples de l'orient méditerranéen*. Paris, 1938
- Emery, W.B. *The Tomb of Hemaka*. Cairo, 1938
- Hor-aha* Cairo, 1939
- 'A Cylinder Seal of the Uruk Period.' *Annales du Service des Antiquités de l'Égypte*, XLV, 1947
- Great Tombs of the First Dynasty*, I. Cairo, 1949
- Great Tombs of the First Dynasty*, II. London, 1954
- Great Tombs of the First Dynasty*, III. London, 1958
- Engelbach, R. 'An essay on the advent of the Dynastic Race.' *Annales du Service des Antiquités de l'Égypte*, XLII, 1943
- Frankfort, H. *Studies in Early Pottery of the Near East*. London, 1924
- 'The origin of Monumental Architecture in Egypt.' *American Journal of Semitic Languages*, LVIII, 1941
- The Birth of Civilisation in the Near East*. London, 1951
- Gauthier, H. 'Quatre Nouveaux Fragments de la pierre de Palerme.' *Le Musée égyptien*, III. 2 fasc. 1915
- Glanville, S. R. K. 'An Archaic Statuette from Abydos.' *Journal of Egyptian Archaeology*, XVII, 1931
- Grdseloff, B. 'Notes d'épigraphie archaïque.' *Annales du Service des Antiquités de l'Égypte*, XLIV, 1944
- Hall, H. R. *The Ancient History of the Near East*. London, 1920
- Hayes, W. C. *The Scepter of Egypt*. New York, 1953
- Junker, H. *Turah*. Vienna, 1913
- Kantor, H. J. 'Further evidence of Early Mesopotamian relations with Egypt.' *Journal of Near Eastern Studies*, XI, Chicago, 1952

- Legge, G.F. 'The Tablets of Nagadeh and Abydos.' *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology*, XXVIII, 1906, XXIX, 1907
'The Titles of the Thinite Kings.' *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology*, XXX, 1908
- Mace, A. C. *The Early Dynastic Cemeteries of Naga-ed-Der*. Part II. Leipzig, 1909
- Macramallah, R. *Un Cimetière archaïque de la classe moyenne*. Cairo, 1940
- Massoulard, E. *Préhistoire et protohistoire d'Égypte*. Paris, 1949
- Morgan, J. De. *Recherches sur les origines de l'Égypte*. Paris, 1896-7
- Murray, G. W. 'Early Camels in Egypt.' Extrait du *Bulletin de l'Institut Fouad Ier du Désert*, tome II. Cairo, 1952
- Needler, W. 'A Flint Knife of King Djer.' *Journal of Egyptian Archaeology*, 42, 1956
- Newberry, P. E. 'Menes, the founder of the Egyptian monarchy.' *Great Ones of Ancient Egypt*. London, 1929
'The Wooden and Ivory Labels of the First Dynasty.' *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology* XXXIV, 1912
'The Set Rebellion of the Second Dynasty.' *Ancient Egypt* (1922), pp. 40 ff.
- Newberry, P.E. and Wainwright, G. 'Udimu and the Palermo Stone.' *Ancient Egypt* (1914)
- Peet, T.E. 'Antiquity of Egyptian Civilisation.' *Journal of Egyptian Archaeology*, VIII.
- Petrie, W. M. Flinders. *Abydos*. London, 1902-4
Coptos. London, 1896
Diospolis Parva. London, 1901
A History of Egypt, vol. I. London, 1923
Nagada and Ballas. London, 1896
'New portions of the Annals.' *Ancient Egypt*, 1916
Prehistoric Egypt. London, 1920
Prehistoric Egypt Corpus. London, 1921
The Royal Tombs of the First Dynasty. London, 1900-1
Tarkhan. London, 1914
Tombs of the Courtiers and Oxyrhynchos. London, 1925
- Petrie, W. M. F. and Wainwright, G. *Tarkhan I and Memphis V*. London, 1913
- Quibell, J. E. *Archaic Objects*. Cairo, 1904-5
Archaic Mastabas. Cairo, 1923
El Kab. London, 1898
Hierakonpolis. London, 1900-2

- Read, M. F. W. 'Nouvelles Remarques sur la pierre de Palerme.' *Bulletin de l'Institut Français*, XI, 1916
- Reisner, G. *The Development of the Egyptian Tomb*. Oxford, 1936
The Early Dynastic Cemeteries of Naga-ed-Der. Leipzig, 1908
- Saad, Z. Y. *Ceiling Stelae in Second Dynasty Tombs*. Cairo, 1957
Royal Excavation at Saqqara and Helwan. Cairo, 1948
Royal Excavation at Helwan. Cairo, 1951
- Sethe, K. *Beiträge zur ältesten Geschichte Ägyptens*. Leipzig, 1905
- Simpson, W. K. 'A Statuette of King Nynetjer.' *Journal of Egyptian Archaeology*, 42, 1956
- Vandier, J. *Manuel d'archéologie égyptienne*, vol. 1 Paris, 1952
- Waddell, W. G. *Manetho*. London, 1940
- Weigall, A. *A History of the Pharaohs*. London, 1925
- Weill, R. *Les Deuxième et Troisième Dynasties égyptiennes*. Paris, 1908

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة :
٧	مقدمة المؤلف :
٨	تمهيد : اكتشاف العصر العتيق
٢٩	الفصل الأول : الوحدة
٩٧	الفصل الثاني : الدولة
٩٧	الملكية
١٠٢	الحكومة
١٠٢	الطبقات الاجتماعية
١٠٥	الفصل الثالث : الجهاز الحربى
١١٢	الفصل الرابع : الديانة :
	الآلهة - العبادة والطقوس
	عادات الدفن
١٥١	الفصل الخامس : الفن :-
	فن النقش - فن نحت التماثيل - فن الرسم -
	التصميم الزخرفى
١٦٤	الفصل السادس : العمارة :-
	التصميم - مواد البناء - البناء
١٨١	الفصل السابع : اللغة :-
	النقوش الأثرية - البطاقات - اختتام الجرار -
	نقوش الأواني الحجرية والفخارية - نقوش
	الأدوات الأخرى - علامات الأواني

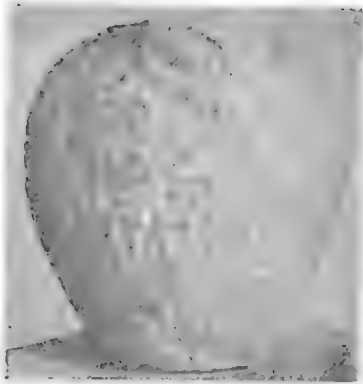
المصنعة	الموضوع
١٩١	الفصل الثامن : التجارة :-
	الواردات - الصادرات - النقل
١٩٤	الفصل التاسع : الصناعة :-
	الأواني الفخارية - الأواني الحجرية - الصناعات الخشبية - النسيج - الصناعات المعدنية - الحلى - النقش على العظم والعاج - صناعة الجلود - اشغال الطران - البردى
٢٢٤	الفصل العاشر : الزراعة :-
	الرى - الحرث وعزق الأرض - الحبوب - الحصاد - الحيوانات الأليفة
٢٢٨	الفصل الحادى عشر : الحياة المنزلية :-
	المنازل والأثاث - الطعام والشراب - الأزياء والعطور - وسائل التسلية
٢٣٩	ملحق :
٢٤١	بيان باللوحات
٢٤٥	بيان بالأشكال
٢٥٢	مراجع الكتاب



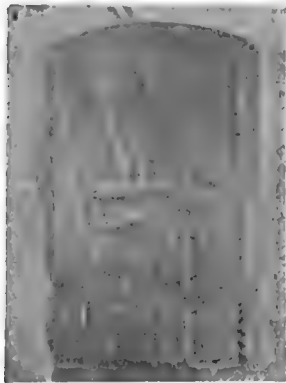
لوحة الببادين



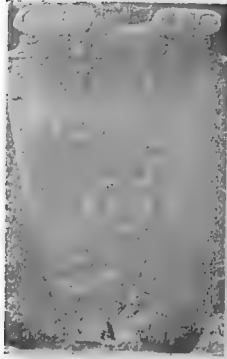
القبض العاجي المنحوت لسكين جبل العرق



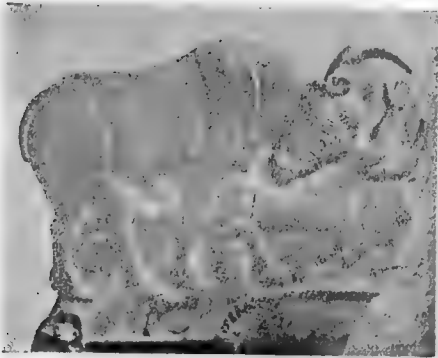
رأس سرجان الملك العتري



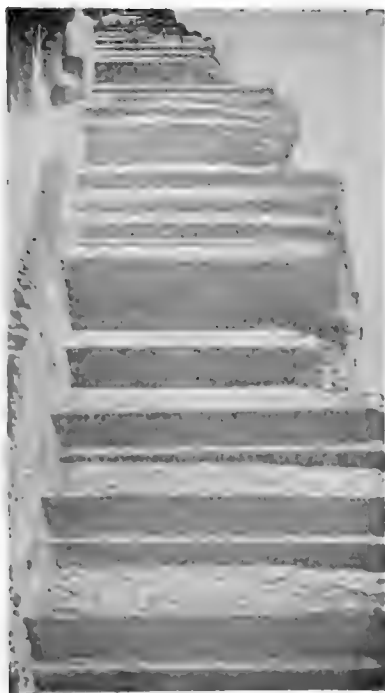
لوحة لك أواديس (البان) الجنترية



لوحة لمرمر



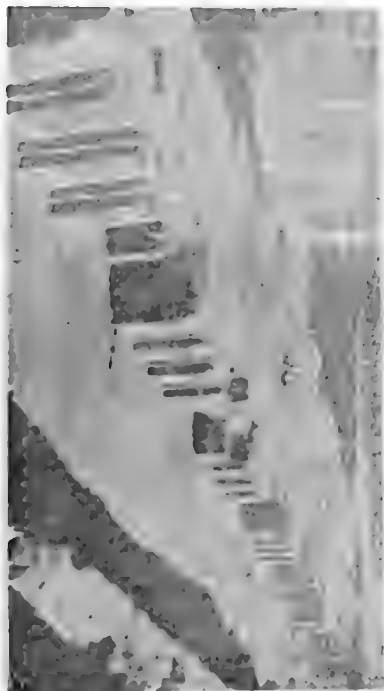
جزء من لوحة النور



الواجهة الشرقية للقبور الملكية بمقبرة

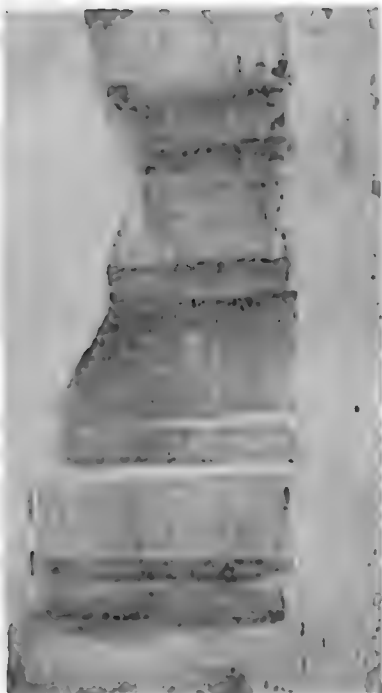


الواجهة الغربية للملكة مريت بنت سخاوية

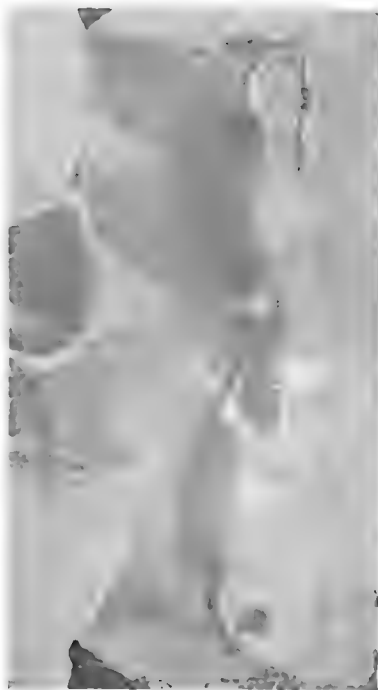


البنية التحتية للقطاع ٢٠٠٠ - ٢٠٠١

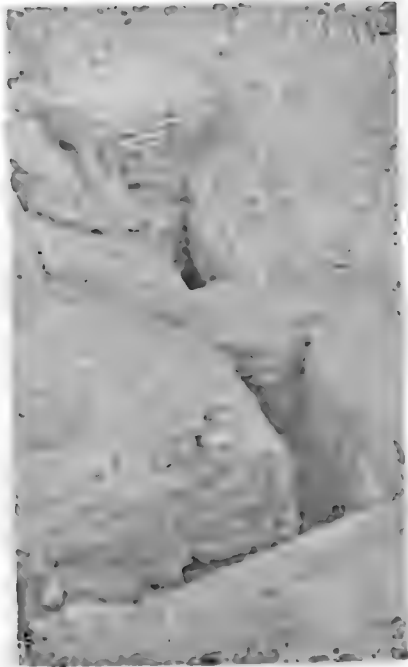
ذخیره انباری محل راننده بر قفسه انباری







مطرح صحنه، دروس اصولی می آید



مدخل مدرج لدير غوزجي من الأسرة الثانية بستانة



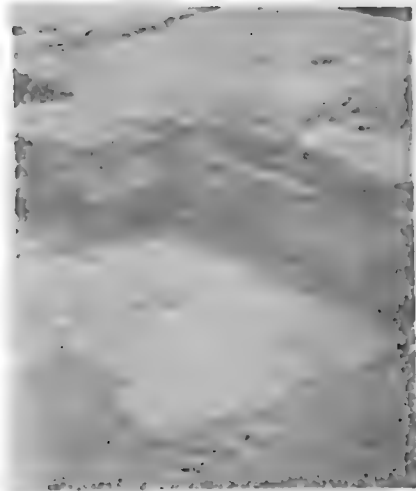
سادة حجرية أمام خزانة القبر من الأسرة الثانية بحداد



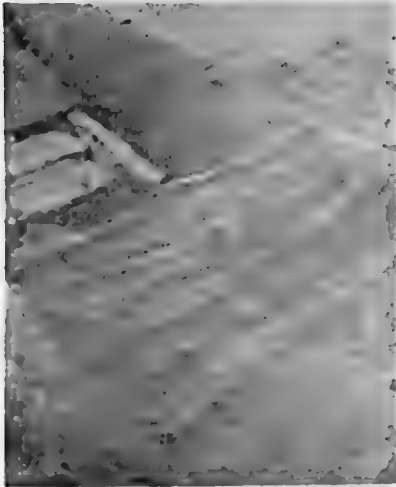
تطابق جنود الجيش المصري في القاهرة مع القوات المصرية في الأقصر



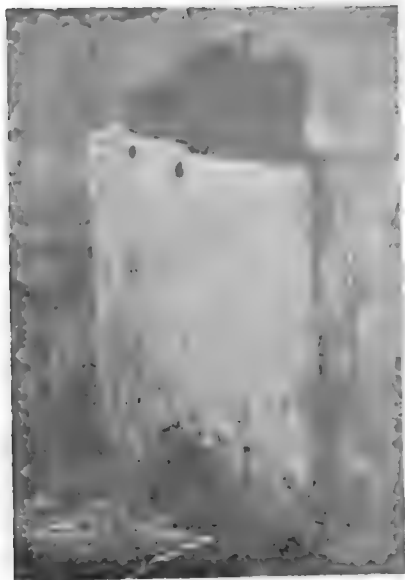
داخل مبنى القوي بعد انفجار راس الأواني المكسفة به



جره من أرضية البعد الجنازى للملك قاهما بقارة



السفح الحشمي للفضل المدرج الفقرة ٢٥٠٦ بقارة



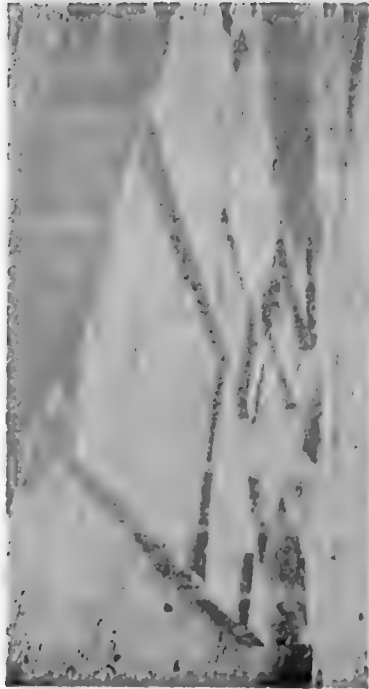
صفحة أتم مسح ٥٠٠ من المجلد ٥٠٠٠٠٠



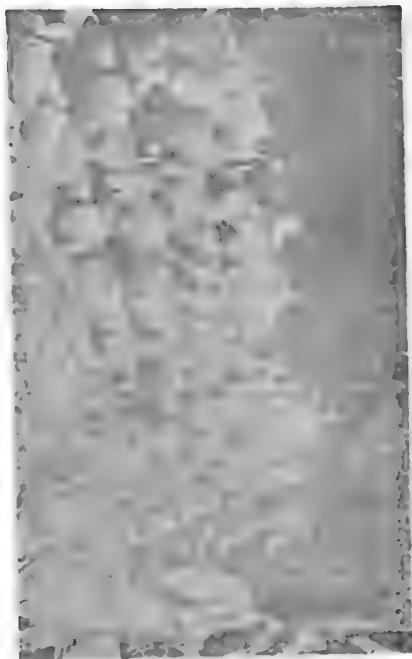
الدرج والباب المني بالحجر بالمقبرة ٣٥٠٦ بقارة



مدراء مركب الله من الأسيرة الأولى أسدل در آخر من الأسيرة الثالثة بشاردة



توزيع جبهة الملك سعود على الساحة



جاء الحق الخروية ما ليرات القوية القه من الأسرة الأولى بسيرة



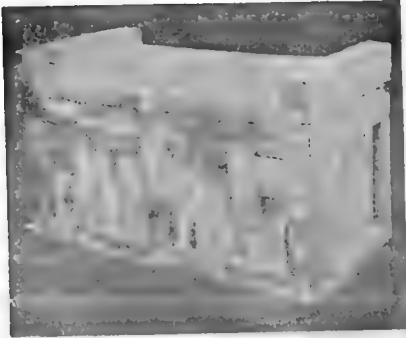
أرضية خشبية لحجرة الدفن بقبر من الأسره الأولى بمصر



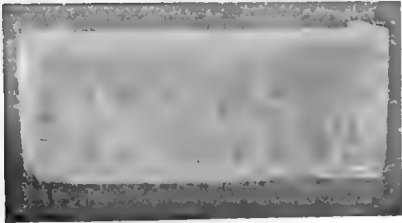
دعته جديده من اوائل الاسره الاولى



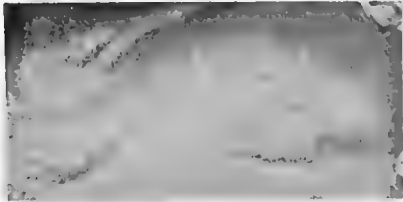
دفعة جازية من أوائل الأسرة الأولى بنو ميكل لزم



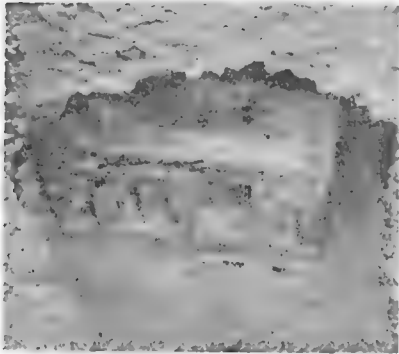
تابوت خفي لفنة لقصاء من الأسرة الثانية



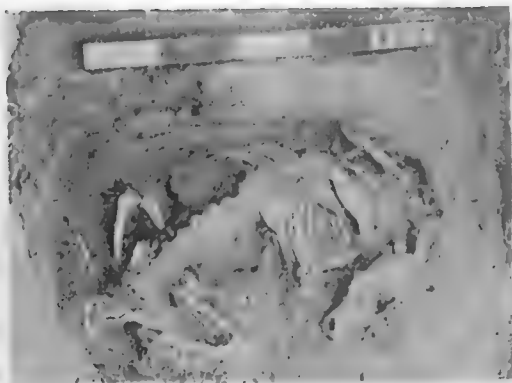
تابوت خفي لفنة ممددة من الأسرة الثانية



مومياء بيم نابوت من الأسرة الثانية



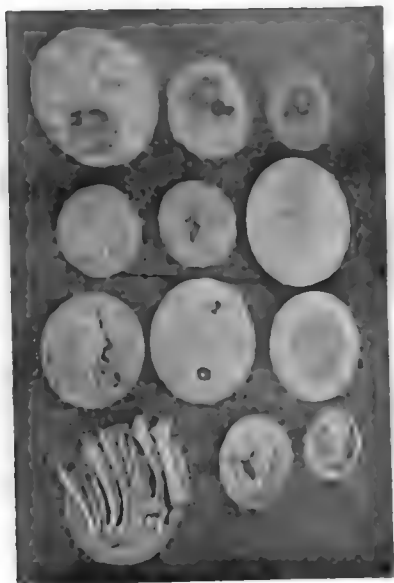
نابوت لي لجوة الدفن من الأسرة الثانية



دفن كلب عند ممسك قبر للسكا حريت بعلارة

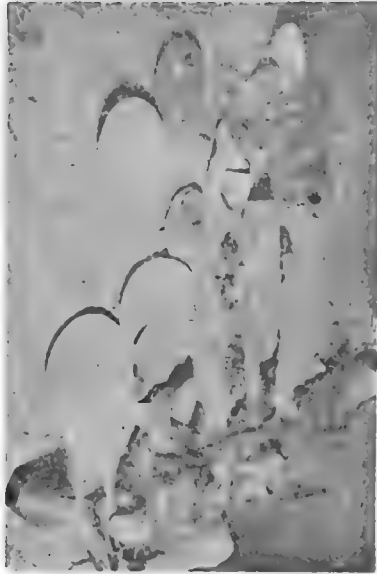


بقايا عمالين خمدون بالمسد الجنائزى لذلك لاما بمساحة



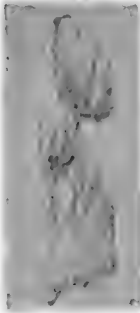
وَقِيَّةُ جَنْدَارِيَّةٍ فِي صَافٍ مِنَ الْخَبَرِ وَالْخَبَرِ

وليد جارية كاهن من الأسماء الإسلامية .

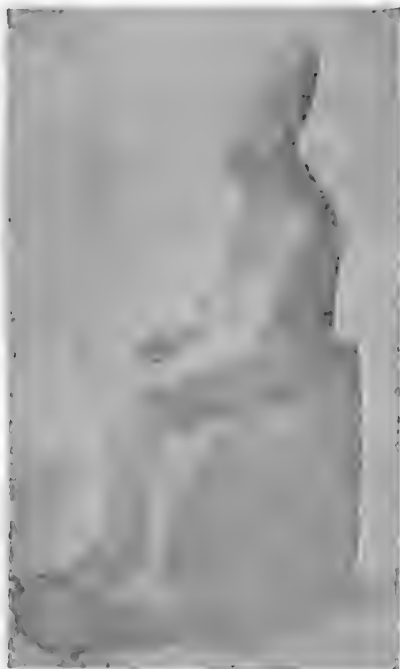




شال صمغ من الحاج من
أبو دوس



لوحة الخشب من كاهن قديم في
البحر الأحمر



تنگه اردواز لك خم سخم من همدا كر بوليس



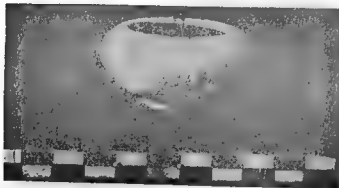
لوحة جانبية من الأسرة الثانية بقلعة



جره من حطب من الحجر الجيري عليه نقش أسد من حجرة العمن بقر
الملك حريت بقلعة



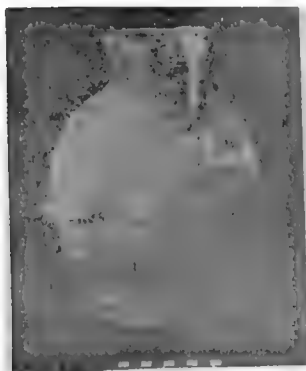
قدر نثار من بلاد أجنبية يرجع لأواخر الأسرة الأولى



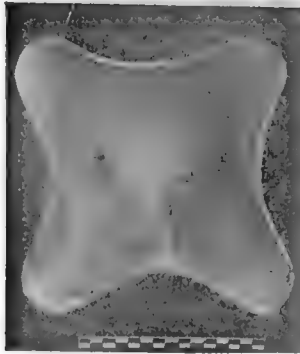
كأس صغير من اللوم بزخارف زهوب من الأسرة ٢



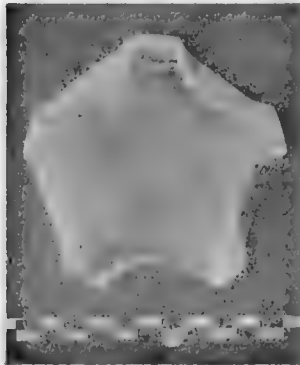
أناه غار أجني برجم لأولفر الأميرة ١



أناه غار أجني برجم لنتصف الأميرة ١



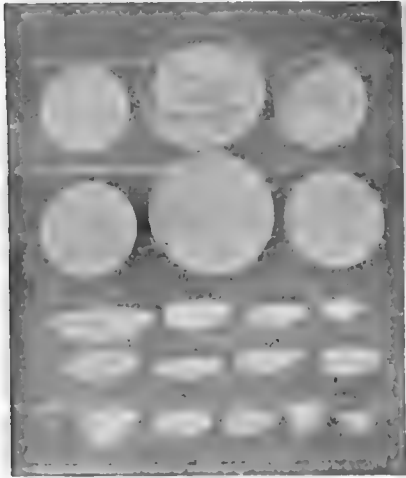
صحن من الحجر الجيري الأصفر من الأسرة
الأولى بقطارة



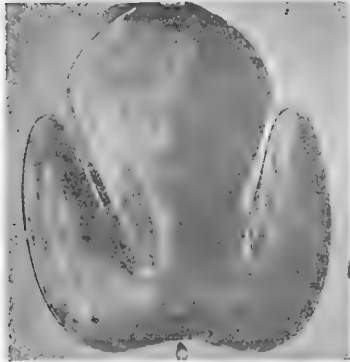
صحن من الرمرمر من الأسرة الثانية بقطارة



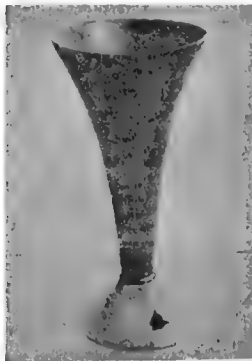
أوان مرمية من قبر الملك حورفا سقارة



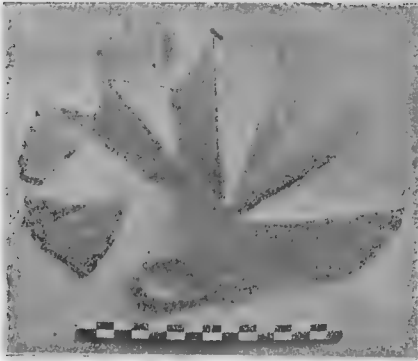
أواني مرمية من قبر الملك حورعما بشاره



صن أردواني يشبه ورقة الشجر من منتصف الأسرة ١



كأس من الأردواز والحجر الجيري الأحمر المرقط من
قبر الملكة حزنيت بشاردة



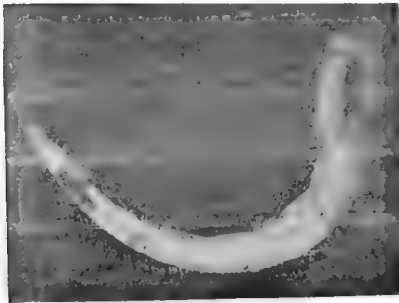
أجزاء من صحن أردوازى يشبه ورقة الفجر وملقطه من الأردواز برجمان
للمتحف الأسرة الأولى



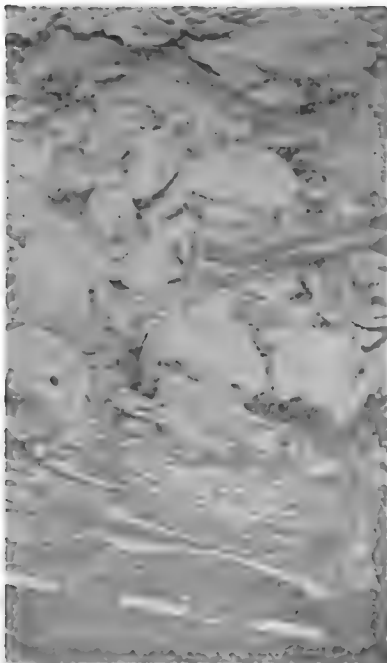
صحن من الأردوازى شكل سلة من الخوص من الأسرة ٢



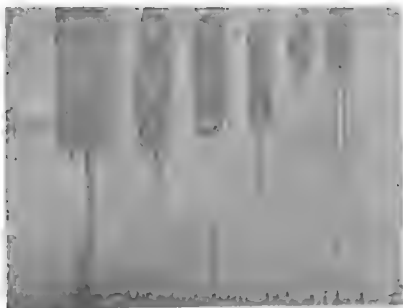
سكاكين من الطران من منصف الأسرة ١



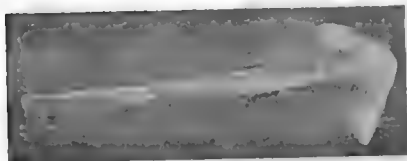
منجل من الخشب نحت فيه أسنان حادة من الطران يرجع لمنصف
الأسرة الأولى



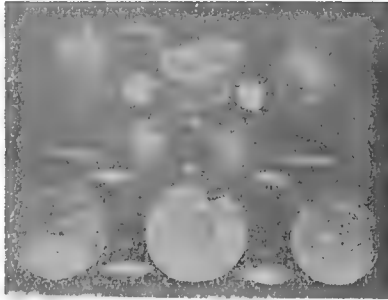
أدوات نحاسية واسلحة وأواني كما عثر عليها بدير الملك جر سارة



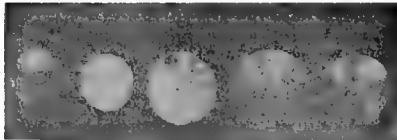
أولليل من الناس ولأول ولأول من غير بلاد



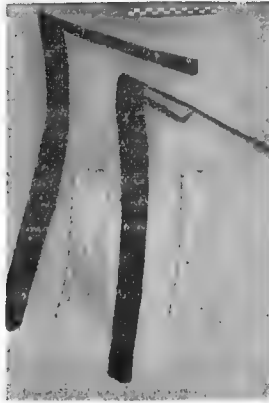
مجلس فاس خشي منحوت من الأسرة الأولى



أواني نحاسية من قبر جر بسلاوة



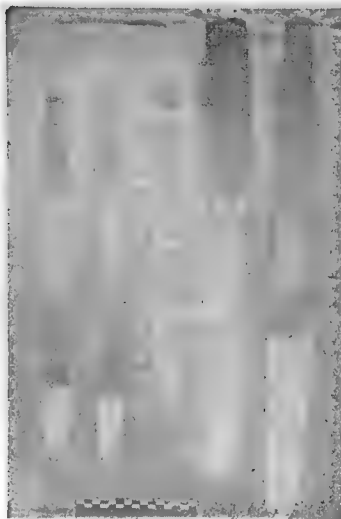
صون نحاسية من قبر جر بسلاوة



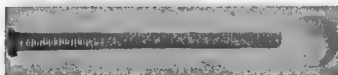
شوس بنعل نحاس ومقبض خفي من متحف الأسرة ١



لادوم بنعل نحاس ومقبض خفي من متحف الأسرة ١



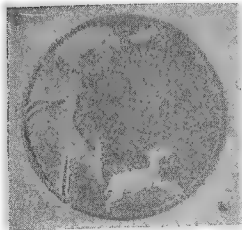
منشار وسكاكين من النحاس من منتصف الأسرة ١



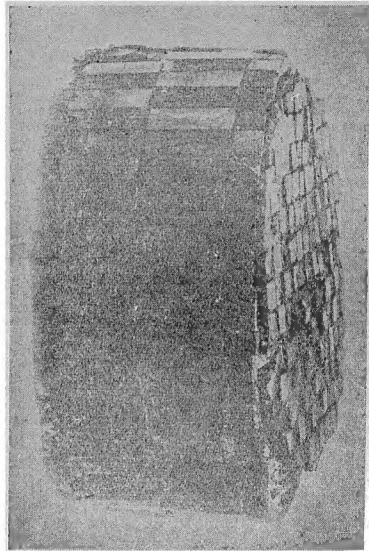
سولجان منجم من بلاد النوبة ويرجع للأسرة الأولى



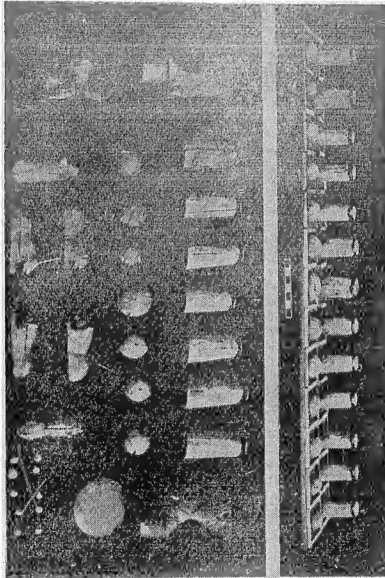
تمثال أسد من القنطار من الأسرة الثانية
هيراكوتبوليس



قرص من الأسطوانة السوداء المطعم بالرمس
من الأسرة الأولى بسقارة



عليه أسطوانية من الخشب المطم بالأبوس من عهد الأسرة الأولى كانت به لفافة
من البردي غير مكتوبة من سقارة



قطع الذهب الداجية من قبر الملك أرواحى بمقبرة

دَارُ الْفَضْلِ وَمُضَرِّ
لِلطَّبْعِ وَالنَّشْرِ

Bibliotheca Alexandrina



06222865

المن ٢٣٥